أهل البيت عليهم السلام

ومصلحة الإسلام العليا

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي

أهل البيت عليهم السلام ومصلحة الإسلام العليا

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي

سلسلة كتب دورية تصدر عن مجلة رسالة الثقلين

الكتاب: أهل البيت و مصلحة الاسلام العليا
المؤلف: الشيخ فؤاد كاظم المقدادي
الناشر: المؤسسة الثقافية للمجمع العالمی لأهل البيت (عليهم السلام)
الطبعة: الاولیٰ
المطبعة: الهدیٰ
الكمية: ٣٠٠٠
سنة الطبع: ١٤١٩ هـ. ق ١٩٩٨ م
شابک: ٤ـ ١٤٥ ـ ٤٧٢ ـ ٩٦٤ ISBN : 964 - 472 - 145 - 4

سلسله اصدارات المعاونية الثقافية للمجمع العالمی لأهل البيت (عليهم السلام)

تهران. ص. ب ١٥٨١٥/٣٥١٦ ت ٨٩٠٧٢٨٩
قم. ص. ب ٣٧١٨٥/٨٣٧ت ٣ ـ ٧٤٠٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

كـلمة المجلـة

الشجرة الطيّبة

باسم الله الذي اليه يـصعد الكـلم الطـيب، وعـلىٰ حبّ حـبيبه الكـلمة الطيّبة:

﴿ كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربّها ﴾.

وتحت ظلال الثقلين تركة الحبيب وأمانته في أمة محبّة متّبعة، ينطلق أتباع أهل البيت، لا ليستجدوا رسالة، فرسالتهم هي الإسلام تحت رايتها استشهد أهل البيت، وما كان قدرهم وقدر أتباعهم الأوائل إلّا أن يذوبوا في الإسلام رسالةً ويعيشوه قضية ويحفظوه كياناً ويجذّروه عقيدة ويتمثّلوه خلقاً ويجسّدوه سلوكاً.

وما كانت كربلاء إلّا خلاصة مركّزة لما قبلها من تاريخ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وابتلاءاتهم، ولما بعدها من تاريخ الأئمة عليهم السلام ومعاناتهم.

ودفاعاً عن الاسلام كلّه، والمسلمين جميعاً ـ كما هو خطّ أهل البيت ـ تجرّع أتباعهم الغصص فنوناً وألواناً، فمن الارهاب الفكري؛ لأنهم حملوا فكر أهل البيت، إلىٰ الحرمان الاقتصادي ؛ لأنهم عاشوا قيم أهل البيت، إلىٰ الاضـطهاد

السياسي؛ لأنهم اتّبعوا منهج أهل البيت، ودفعوا الثمن بصدر رحب وقلب منفتح؛ لأنّهم علىٰ يقين وبصيرة أنّ أهل البيت، فكراً وقيماً ومنهجاً، مدرسةُ الإسـلام، حيث ينطق القرآن وتتألّق السنّة.

وبدّدتهم ريحٌ عاتية في كل أفق، وشرّدتهم في كل صقع، فإذا هم كمنثور اللؤلؤ يصبو إلىٰ سلك ينتظمه، ومتىٰ ما لاح لهم طالب حقّ وبارقة أمل لإقامته انشدّت إليه قلوبهم، ولكنّهم لم ينسوا هموم الرسالة ولم يتنكّروا لأعبائها، بـل جهدوا وجاهدوا في ابلاغها إلىٰ كل متطلّع إلىٰ الحقّ متقبّل له.

وعاش في أعماقهم شوق وفي أشواقهم أمل أن يتاح لهم ذلك المحور شاملاً مستوعباً، يستقطب حركتهم ويلملم طاقاتهم ويجمع قياداتهم ؛ لتكون المسيرة واحدة رائدة في خدمة الإسلام والمسلمين، تتناسق فـيها الخـطىٰ وتـتعاضد الهمم: ﴿ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوىٰ علىٰ سوقه ﴾.

وغدا الأملُ حقيقةً والأمنيةُ واقعاً حين تفتّقت بقعة من بقاعهم عن ثورة إسلاميّة، وقامت فيها ـ بنداء الله اكبر وتحت راية لا إله إلّا الله ـ دولة إسلامية هي دولة الإسلام المحمدي الأصيل، دولة الولاية لأهل البيت عليهم السلام، تقودها حكومة تنبثق من عمق مفاهيم الإسلام وشموليّته، هي حكومة الوليّ الفقيه، التي أرشد أهل البيت إليها وألزموهم باتّباعها.

وإذا النور يشعّ فتهلّلُ قلوبُ المسلمين، وإذا الخيرات والبركات في بقاع شتىٰ: انتصار علىٰ المستعمر، وطرد للمحتل، وانتفاضة علىٰ الدخيل.

لقد آن الأوان ليعرف العالم كله مَنْ هم أهل البيت عليهم السلام ؟ ومـا نـهجهم ؟ وليجد عندهم الدواء الشافي لدائه، وليستنير بهداهم في ظلمائه.

آن الأوان ليعتصم المسلمون جميعاً بحبل الله، ويتمسّكوا بالثقلين : « إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي... »، إحياءً للمعارف الاسلامية

الأصيلة من منبع الثقلين ونشرها، ودفاعاً عن حريم القرآن الكريم وسنّة الرسول الشريفة وخط أهل بيته المعصومين، وذباً عن كيان الاسلام وحقوق المسلمين وأتباع أهل البيت، وتحقيقاً للوحدة والتكافل بين أتباع أهل البيت في ظل قيادة الوليّ الفقيه، لتكون ركيزة وأساساً في تحقيق الوحدة الشاملة بين المسلمين، وتدعيمها لمجابهة الاستكبار العالمي ومؤامراته المتعاقبة.

وبين يدي القارئ الكريم الكتاب السادس من سلسلة « كتاب الثقلين » هو مفردة تصب في هذا السبيل، فقد تناول مدخله حب أهل البيت عليهم السلام ؛ لكونه المنطلق للوحدة الاسلامية،والمحور في توحيد المسلمين، وسلّط الضوء علىٰ حقيقة هذا الحب وارتباطه بالولاء لأهل البيت عليهم السلام ؛ لينفتح منه علىٰ الباب الذي يدخل منه محبّوهم عليهم السلام، ليحلّوا في باحة معرفتهم، مبيناً ضرورة هذه المعرفة، والنهج الذي يجب السير عليه للوصول إلىٰ واقعها، واللوازم الحتمية لها، ثم يطرق ابواب مدرستهم الكبرى التي مثلت الاسلام المحمّدي الاصيل بصدق وامانة منبعاً ومساراً واهدافاً، فيشير لمعالمها الاساسية في ثلاثة أُصولٍ مبدئيّة : الاصل الاول في منهجهم العلمي لحفظ الرسالة الاسلامية المتمثل بحركة الاجتهاد والتجديد، والاصل الثاني في مبدأ الحفاظ على بيضة الاسلام ومصلحته العليا، والاصل الثالث في رسم الاسس المبدئيّة للوحدة الاسلامية.

ونظراً للشبهات والتزوير الذي طال موقعهم القيادي الذي اراده الله ورسوله لهم، فقد تناوله الكتاب جذوراً واطروحة بطريقة منطقية تحليلية، يذعن لها العقل السليم والمنصف من أهل الحق وطلاب الحقيقة.

ويمكننا القول : إن الكاتب المحقق سماحة الشيخ المقدادي قد اراد بكتابه القيم هذا توجيه دعوة كريمة لكل المسلمين، بل للمجتمع الانساني التائق إلى سبيل الحق والعدل والخلاص، بالانفتاح الواعي على حقيقة وحق أهل البيت عليهم السلام

بمعرفتهم ومعرفة مدرستهم، ومن ثم التسليم بقيادتهم التي اصطفاهم الله ورسوله لها؛ ليخوضوا معها تجربة الهدم للباطل والظلم، وبناء الحق والعدل في واقع أعيته سطوات الجبابرة وانتهازية المنحرفين، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ أفمن يهدي إلىٰ الحق احق أن يُتّبع أم من لا يَهِدّي إلّا أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون ﴾ [يونس: ٣٥]، وتصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: « الزموا مودّتنا أهل البيت... فو الذي نفس محمد بيده لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفتنا » [أمالي المفيد: ٨٢].

فيا أيها المسلمون، ويا أيها الناس أُمماً وشعوباً، لنتعبّأ ولنتأهّب لوفادةٍ علىٰ معين مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهو المنهل الصافي إلى الحق المطلق، والصراط المستقيم إلىٰ الله ورسوله، الىٰ الكتاب والسنّة.

ولنقدّم عطاءاتها الثرّة لنروي بها ظمأ الأجيال في آفاق الأرض، ونستنقذها من غياهب الحيرة والضلال؛ لتعيشوا مع أهل البيت عليهم السلام رافدين لمسيرتهم، أوفياء لخطّهم، متمسّكين بالثقلين، لا تفصلون بينهما ولا تنفصلون عنهما، لتهتدوا « ولن تضلوا أبدا ».

«التحرير»

مقـدمـة

الامين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
ورئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية

أهل البيت عليهم السلام مصطلح اصيل أصالة الثقافة الاسـلامية ولد مـع ولادة الاسلام وتعيّن افراده في عصر الرسول صلى الله عليه وآله حتى لم يعودوا يخفون على أحد آنذاك فضلاً عن الذين جاؤوا من بعدهم. وقد جرت محاولات للتشكيك فـي المصاديق عبر بعض الادعاءات الروائية ولكنها فشلت وبـقي المـفهوم عـلى وضوحه ليشمل الامام علياً والزهراء والحسن والحسين عند جميع المسلمين، وابناء الحسين عليهم السلام إلى الامام المهدي (عج) عند الشيعة (على اخـتلاف لدىٰ فرقهم) وذلك من خلال ادلّة ساقوها لتوسعة هذا المفهوم ليعود يشمل الباقين من قبيل احاديث (الاثنىٰ عشر خليفة) وهي احاديث يندر من ينكرها من اهل السنة.

ومهما كان الأمر فان التركيز على هؤلاء الذين طهّرهم الله تعالىٰ بـنص قرآنه المجيد، وتكثرت الروايات التي ترجع الامة اليهم وتؤكّد على مـودّتهم ومحبّتهم والاقتداء بهم واتباع آثارهم وفي طليعتها أحاديث (الثقلين) وهي بدورها مما لا يمكن ان ينكرها إلّا مكابر مجانف للحق، انما جاء ليفتح امام الامة

طريقاً مهيعاً للخير، يرسم لها نماذج عملية مجسّدة من الصياغة الاسلامية للشخصية الانسانية جرياً على عادة الاسلام في كل ثقافته وهي أن لا يعطي المفاهيم ذهنية مجملة وفكرية خالصة، وانما يقدم للامة اطروحته العملية فيها أو نماذجه المجسّدة، بل نجد الاسلام من خلال اهتمامه بالجانب الحسّي وتقديره لأهميته التربوية يجسّد حتىٰ المفاهيم التي لا تقبل التجسيد إلّا تمثيلاً، وما كون الكعبة بيتاً لله تعالىٰ، وكون الجمرات نماذج للشيطان الرجيم وما تشبيهات القرآن الكثيرة للصفات الالهية كالرضا والغضب والاستواء على العرش وامثالها إلّا صور لذلك الاهتمام والتركيز.

واخشىٰ ما اخشاه ان يقود النزاع بين المسلمين حول عصمة أهل البيت عليهم السلام واحقيتهم بالخلافة الظاهرية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمثال ذلك مما قسّم المسلمين إلى سنّة وشيعة، ان يقود إلى ان تنسىٰ طائفة من المسلمين ان هناك حقيقة مسلّمة فوق هذا النزاع وهي المرجعية العلمية لهذه المجموعة الطاهرة، وانهم عصمة هذه الامة إلى جانب الكتاب الكريم (كما ذكرت ذلك احاديث الثقلين): عصمتها من الضلال والانقسام والانحراف، وانهم سرّ وحدتها وتراصّها وانهم النماذج الانسانية العليا التي قدمها الاسلام لسنين طويلة لتعرف من خلال التأمل في سيرتها كيف تسلك وانّىٰ تستهدف.

ولئن كنت أأسىٰ على شيء فلن يصل اساي إلى الحالة التي اشاهدها من تأثير الخلاف السني الشيعي على هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس.

وعلى ايّ حال فان سماحة العلامة الشيخ المقدادي مؤلف هذا الكتاب سعىٰ سعيه الحثيث ليركّز هذه الحقيقة في الاذهان.

واذا كان نشر بعض مقاطع هذا الكتاب في فترات متفرّقة يؤثّر على استحكام الترابط المطلوب في بحثٍ حول هذه الحقيقة المهمة، فان الذي يعذره هو

عظمة هذه الحقيقة نفسها وسعة دائرتها التي لا يمكن ان يحيط بها كتاب، كما يعذره انه يصدر هذه المجموعة في كتاب من كتب (الثقلين) وهي بطبيعتها لا تقتضي ذلك الترابط المطلوب بقدر ما يهمها من وجود محور واحد للمقالات المنشورة في اعداد متفرقة.

وفّق الله تعالى المؤلف لخدمة هذه القضية وجعلنا جميعاً من انصار أهل البيت عليهم السلام واعوانهم والسائرين على منهجهم الرصين.

محمد علي التسخيري

مدخــل

حبُّ أهل البيت عليهم السلام منطلق وحدة المسلمين

لم نجد محوراً أجمع عليه المسلمون بعد وفاة رسـول الله وحـبيبه ﷺ ـ بالرغم من تنوع آرائهم واتجاهاتهم ـ، كحبّ أهل البيت عليهم السلام ؛ فقد استقطب اهتمام الأولين والآخرين منهم، واغتنت به كتاباتهم، وطُـرّزت بـه مـؤلفاتهم، وتواترت عليه الروايات في مسـانيدهم وصـحاحهم ومـجاميعهم، بـل إنـهم تسالموا علىٰ وجوب حبهم، وذكر فضائلهم.

ومن بليغ ما ورد فيها : أن أعرابياً جاء إلىٰ النبي ﷺ وقال : « يا محمد، اعرض عليّ الإسلام، فقال : اشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. قال : تسألني عليه أجراً ؟ قال : لا، إلّا المودة في القربىٰ. قـال : قرابتي أو قرابتك ؟ قال : قرابتي. قال : هاتِ أبايعك، فعلىٰ من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله. فقال النبي ﷺ : آمين »[1].

كما لم يجمع المسلمون علىٰ مصداق متيقن لقرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، حيث لم يترك رسـول الله ذلك غائماً، « فعندما نزلت الآية : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ ﴾[2]، قيل : يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين وجبت مودتهم ؟ فـقال : عـلي وفـاطمة وابناهما »[3].

---

(١) أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية : ٣١، من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمد بن أحمد بن مخلّد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

(٢) الشورىٰ : ٢٣.

(٣) أخرجه أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثعلبي وأبو

وترنّم العلماء، الأدباء منهم، شعراً في وجوب حبهم، وأن من وحي آي القرآن الكريم أن أجر الرسالة ودّهم. منه ما أنشده ابن العربي قائلاً :

رأيت ولائـــي آلَ طـــه فـــريضة   عـــليّ بـرغم البـعد يـورثني القـربا
فما طلب المبعوث أجراً علىٰ الهدىٰ   بـــتبليغه إلّا المـــودة فـي القـربىٰ[١]

وزاد ابن جبير عليه سناءً بذكر أسماء أهل البيت عليهم السلام مسوقة بحب حبيب الله ومصطفاه حين قال :

أحب النـبي المـصطفىٰ وابـن عـمّه   عـــلياً وســـبطيه وفـــاطمة الزهـــرا
همُ أهل بـيتٍ أُذهب الرجس عـنهم   وأطلعهم أفـق الهـدىٰ أنـجماً زُهـرا
موالاتـهم فـرض عـلىٰ كـلّ مسـلم   وحبهم أسنىٰ الذخـائر للأخـرىٰ[٢].

من هنا فلا غرو أن يكون حب أهل البيت ثَقلاً ثانياً في واقع المسلمين، بعد حب القرآن الكريم كتاب الله العظيم، ينهلون من نبعه الصافي، ويوحّدون كلمتهم وحركتهم علىٰ هداه، وإن تفاوتت الدرجات وتباينت المستويات.

ويتألق الخطاب النبوي في حقهم قائلاً : « **أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسّك بنا اتّخذ إلىٰ ربّه سبيلاً** »[٣].

ويترقّىٰ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في المقام من وحي قول الله عـزوجلّ : **﴿ وإنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ﴾**[٤]، قائلاً : « **الصراط ولايتنا أهل البيت** »[٥].

نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس.

(١) ذكره ابن حجر في الصواعق : ١٠١.

(٢) ذكره الشبلنجي في نور الأبصار : ١٣.

(٣) أخرجه أبو سعيد في شرف النّبوة بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذخائر العقبىٰ : ١٦).

(٤) المؤمنون : ٧٤.

(٥) أخرجه الحمويني في الفرائد عن أصبغ بن نباتة.

فإذا أردنا أن نعرف كيف يتعانق هذان الثقلان كتاب الله والعترة أهل البيت ،في قلوب المسلمين لتتشكل منهما حركة الرسالة في إنسان الرسالة، فلنيمّم شطر كلام صادق أهل البيت عليهم السلام، وهو يناغي ضمائرنا ويرشدها إلىٰ سرّ الحبّ وأساس المحبة بقوله : « الحبّ فرع المعرفة »[١]، فما همزة الوصل ومعقد الربط بيننا وبين حب المحبوب إلّا معرفته.

وبهذا تكون معرفة أهل البيت ـ كما هي معرفة كتاب الله ـ دليلاً عليهم، وسبيلاً إليهم، ومنطلق الحب، وشفيع القرب.

ويمتزج الثقلان في قلب المؤمن ليكون منهما الدين، و « هل الديـن إلّا الحب ؟!»[٢] كما عن باقر آل محمد صلى الله عليه وآله، وكذلك قال صادق أهل البيت عليهم السلام: « الدين هو الحب، والحب هو الدين »[٣].

وما مقدار حبّ أهل البيت عليهم السلام إلّا ملاك الثبات علىٰ الصراط، تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: « أثبتكم علىٰ الصراط أشدّكم حباً لأهل بيتي »[٤].

إلّا أنّ حقيقة الحبّ تأبىٰ إلّا أن يكون قرينها العمل، وأمارتها السعي علىٰ طريق المحبوب وإن قصر العمل. وهذه الحقيقة تحكيها لنا عبقات الإمام الباقر عليه السلام في قوله لجابر: « يا جابر، لا تذهبنّ بك المذاهب، أحَسِبَ الرجل أن يقول : أحبُّ علياً وأتولّاه ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً ؟! فلو قال : إني أحبُّ رسول الله ـ فرسول الله خير من علي ـ ثم لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إياه شيئاً، فاتّقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلىٰ الله عزّ وجلّ أتقاهم وأعملهم بطاعته.

(١) مصباح الشريعة ٢ : ٢.
(٢) بحار الأنوار ٦٩ : ٢٣٧.
(٣) نور الثقلين ٥ : ٢٨٥.
(٤) أخرجه ابن عدي والديلمي كما في الصواعق : ١١١.

يا جابر والله ما يتقرّب إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلّا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا علىٰ الله لأحد من حجة. من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، ما تُنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع »[١].

هذه هي حقيقة الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وهذا هو شأنه وشرفه.

وكيف لا نواليهم وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ؟

وكيف لا نتابعهم « والمرء مع من أحب »[٢] ؟ يأنس ظلاله ويؤثره علىٰ ما سواه.

وهٰهنا واحدة من آيات العناق بين الثقلين، ودلالة من دلالات أحدهما علىٰ الآخر.

فكما أن القرآن الكريم تزخر سوره وتتناغم آياته في الشهادة لأهل البيت بالتطهير، فإنّ أهل البيت أشدُّ الناس التصاقاً وعناقاً واشتياقاً إلىٰ علوم القرآن ومعالمه وأسراره وآفاقه.

فهذا علي عليه السلام يرتقي المنبر ليقول للناس : « سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله ؛ فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلّا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلمني تأويلها »[٣].

ويبقىٰ أن نعرف للاتّباع حقّه ونلتزم شروطه، وقد ارشدنا الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في الثقلين : « فلا تَقَدّموهما فتهلكوا، ولا تُقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم »[٤].

---

(١) أصول الكافي ٢ : ٧٤.

(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ورواه مسلم في صحيحه ٨ : ٤٢، والطبراني والبزار كما في مجمع الزوائد ١٠ : ٢٨٠.

(٣) برواية سليم بن قيس الهلالي، صبحي الصالح، نهج البلاغة ١ : ١٩٢ الخطبة القاصعة.

(٤) ينابيع المودة ١ : ٣٤.

إذن فالواجب علينا معرفة أهل البيت إذْ إنهم عباد الله المخلصون، واوجب علينا إتّباعهم إذْ هم الأدلّاء علىٰ الله الهادون إليه :

﴿ أفمن يهدي إلىٰ الحق أحقّ أن يُتّبع أم من لا يهِدّي إلّا أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون ﴾[1].

فلعلنا بذلك نمتثل أمر الله، ونصدق الأجر لرسول الله، ونعمل بسنته، ونكون من شيعته، ونتحرك لإعلاء كلمة الدين، وتوحيد المسلمين.

---

(١) يونس : ٣٥.

الفصل الأول

معرفة أهل البيت عليهم السلام

* حبُّ أهل البيت عليهم السلام وولاؤهم
* ضرورة معرفة أهل البيت عليهم السلام
* النهج الواقعي لمعرفة أهل البيت عليهم السلام
* حبُّ أهل البيت عليهم السلام احياء أمرهم

حبُّ أهل البيت عليهم السلام وولاؤهم

يبقى الحديث عن أهل البيت عليهم السلام قائماً دائماً كالحديث عن القرآن الكريم، لا ينتهي أمده، ولا يقف عند حدٍّ ذكره، فإنهما حبلان لا ينقطعان إلىٰ يوم القيامة عهد من الله لرسوله أنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليه الحوض، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ألا فتمسّكوا بهما فإنهما حبلان لا ينقطعان إلىٰ يوم القيامة** »[1].

ويبقىٰ ودّهم أجر الرسالة،لقوله تعالىٰ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ** ﴾[2]. وليس للرسالة من أمد، لأنهم العترة الطاهرة، والعروة الوثقىٰ، وهم صراط الله المستقيم، لقول أمير المؤمنين عليه السلام : « **الصراط ولايتنا أهل البيت** »[3] وهم ورثة الانبياء والمرسلين، لقول الامام الرضا عليه السلام : « **نحن ورثة أُولي العزم من الرسل** »[4]، وقول الامام الصادق عليه السلام : « **إن سليمان ورث داود، وإن محمداً ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمّداً، وإن عندنا علم التوراة والانجيل والزبور وتبيان ما في الألواح** »[5]. وهم منطلق الوفاق لقول فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبتها المعروفة : « **جعل الله... وطاعتنا نظاماً للملّة**

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٢، وسنن الترمذي ٢: ٣٠٧، ومسند أحمد ٣: ١٤ و ١٧، وخصائص النسائي: ٣٠.

(٢) الشورىٰ : ٢٣.

(٣) الشبلنجي، نور الابصار : ١٣.

(٤) الشبلنجي، نور الابصار : ١٣.

(٥) المصدر السابق.

وإمامتنا أماناً للفرقة »[١]، ومفترق الايمان والنفاق، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « يا علي، لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق »[٢]، والحق منهم ومعهم يدور حيث يدورون لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « علي مع الحق والحق مع علي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة »[٣]، ومن تمسّك بهم نجا، ومن تخلّف عنهم غرق وهوىٰ، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوىٰ »[٤].

وقد قلنا إن حبّهم عليهم السلام محور يتوحّد به المسلمون وترصّ صفوفهم ويعلو به بنيانهم وشأنهم، وتقوىٰ به شوكتهم، ويكون الدين كلّه لله.

وهنا نتساءل عن حقيقة هذا الحب الذي هو أجر للرسالة، ماذا يراد منه ؟ وماذا يريد به أمين الرسالة ؟

ويأتي نداء السماء مؤكداً ومنساباً إلىٰ النفوس الصافية، والعقول اللبيبة في خطاب الروح الأمين : ﴿ قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ﴾[٥].

ويتتابع الخطاب الإلهي كاشفاً عن حقيقة هذا الحب، وواقع هذا الاتّباع، ومدىٰ ارتباطهما بالايمان والارتداد بكل صراحة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يُحبّهم ويُحبّونه أذلةٍ علىٰ المؤمنين أعزّةٍ علىٰ الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾[٦] والحبّ فضلٌ من الله، وجهاد في سبيله، لا يخاف

---

(١) الاحتجاج : ٩٩ الطبعة البيروتية.
(٢) كنز العمال : ح٣٢٨٧٨.
(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣: ١٢٠.
(٤) سفينة البحار ١: ٦٣٠، والمناقب لابن المغازلي الشافعي : ١٣٢، ح ١٧٣.
(٥) آل عمران : ٣١.
(٦) المائدة : ٥٤.

أهله فيه لومة لائم ولا سطوة ظالم.

وتكتمل مسيرة الايمان، وتنتظم جهود المؤمنين، وتتبلور الرعاية الربّانية في القدوة المتفانية في خط الولاية الإلهية، والقاعدة الملتفّة حولها، المنشدّة إليها حبّاً وولاءً وإخلاصاً واتّباعاً، وبهذا تتمّ النعمة ويكتمل الدين، كما قال جل من قائل : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾[١].

وإن لم تكن الولاية لله ولرسوله ولأهل بيته فلمن تكون ؟ والعقل والوحي يتطابقان : ﴿ أفمن يهدي إلىٰ الحق أحق أن يُتّبع أم من لا يهِدّي إلّا أن يهدىٰ فما لكم كيف تحكمون ﴾[٢].

ولا يجتمع في قلب انسان حبّان متنافران، إذ : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾[٣]. فالإيمان هو محض الحب لله سبحانه دون سواه، بل ﴿ الذين آمنوا أشدّ حباً لله ﴾[٤]، وحبّ الله هو حبّ كل وليّ محبوب له، فقد ورد في الدعاء عنهم عليهم السلام : « اللهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كل عمل يقرّبني إليك ».

وهكذا يترشّح حبّ أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة من حبّ الله، وولاؤهم من ولاء الله، فإن سبيلهم هو سبيل الله، بل إن ولاءهم ـ الذي هو أجر الرسالة ـ هو السبيل إلىٰ الله ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلّا من شاء أن يتّخذ إلىٰ ربّه سبيلاً ﴾[٥].

---

(١) المائدة : ٣.

(٢) يونس : ٣٥.

(٣) الاحزاب : ٤.

(٤) البقرة : ١٦٥.

(٥) الفرقان : ٥٧.

ولا غرابة أن تتركّز هذه العقيدة عند أتباع أهل البيت عليهم السلام بوضوح وجلاء عبر تاريخ مسيرتهم الطويلة، وتصبح سمة بارزة وعلامة فارقة للصادق منهم عن غيره.

فعندما دخل بعض الموالين علىٰ أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قالوا : « إنّما أحببناكم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما أوجب الله عزّ وجلّ من حقّكم. ما أحببناكم للدنيا نصيبها منكم إلّا لوجه الله والدار الآخرة، وليصلح لامرئ منّا دينه. فقال أبو عبدالله عليه السلام : صدقتم صدقتم، ثم قال : من أحبّنا كان معنا يوم القيامة هكذا ـ ثم جمع بين السبّابتين ـ ثم قال : والله لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل ثم لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا أهل البيت للقيه وهو ساخط عليه، ثم قال : وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالىٰ ولا ينفقون إلّا وهم كارهون * فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾، ثم قال : إن تكونوا وحدانيين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وحدانياً، يدعو الناس فلا يستجيبون له، وكان أول من استجاب له علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبيّ بعدي »[1].

وقد دخل رجل آخر علىٰ الامام الصادق عليه السلام أيضاً، فقال له الامام عليه السلام : « ممّن الرجل ؟ فقال : من محبّيكم ومواليكم، فقال له جعفر عليه السلام : لا يحبّ الله عبدٌ حتىٰ يتولّاه، ولا يتولّاه حتىٰ يوجب له الجنّة. ثم قال له : من أي محبّينا أنت ؟ فسكت الرجل. فقال له سدير : وكم محبّوكم يابن رسول الله ؟ فقال : علىٰ ثلاث

---

(١) روضة الكافي : الحديث ٨٠: صحيح البخاري ٥ : ١٢٩ صحيح مسلم ٢ : ٣٦٠.

طبقات : طبقة أحبّونا في العلانية ولم يحبّونا في السر، وطبقة يحبّونا في السر ولم يحبّونا في العلانية. وطبقة يحبّونا في السر والعلانية، هم النمط الأعلىٰ، شربوا من العذب الفرات، وعلموا بأوائل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الاسباب، فهم النمط الأعلىٰ.

والطبقة الثانية النمط الأسفل، أحبّونا بالعلانية وساروا بسيرة الملوك، فألسنتهم معنا وسيوفهم علينا.

والطبقة الثالثة النمط الاوسط، أحبّونا في السرّ ولم يحبّونا في العلانية. ولعمري لئن كانوا أحبّونا في السرّ دون العلانية فهم الصوّامون بالنهار القوّامون بالليل، ترىٰ أثر الرهبانية في وجوههم، أهل سلم وانقياد.

قال الرجل : فأنا من محبّيكم في السرّ والعلانية.

قال جعفر عليه السلام : إن لمحبّينا في السرّ والعلانية علامات يُعرفون بها.

قال الرجل : وما تلك العلامات ؟ قال : تلك خِلال أوّلها أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته، وأحكموا علم توحيده، والايمان بعد ذلك بما هو وما صفته، ثم علموا حدود الايمان وحقائقه وشروطه وتأويله »[١].

وما افتتن المسلمون في مسيرتهم الرسالية إلىٰ الله تعالىٰ كما افتتنوا بأمر الولاية.

ومن أجلها يدعو صادق آل محمد ربّه طالباً معرفة الحق في الدين قائلاً : « اللّهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللّهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني ».

---

(١) تحف العقول : ٣٢٤، من كلامه عليه السلام في وصف المحبّة.

والمعرفة يستلزمها الحب، والحب يقتضي الطاعة والعمل، والطاعه تتقوم بالصبر والمصابرة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. ولقد شكىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس فقال له : « يا علي، إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظـهورنا، وأحباؤنا خلف ذريتنا، وأشياعنا عن أيماننا وشمائلنا »[١]. ولنعلم أن الله سبحانه لا يُخدع عن جنّته « هيهات لا يخدع الله عن جنته »[٢]، فقد أعدّها للذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق[٣].

وليعلم كل من أحب أهل البيت عليهم السلام حبَّ علمٍ ودراية وطاعة وولاية، أن أمانتهم عظيمة لا يحملها إلّا من امتحن الله قلبه للايمان، ووطّن نفسه علىٰ طريق ذات الشوكة، وهم كما وصفهم صادق آل محمد : « مسّتهم البأساء والضرّاء، وزلزلوا وفتنوا، فمن بين مجروح ومذبوح، متفرّقين في كل بلاد قاصية... وهم الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً »[٤].

يغمرهم ربّهم بلطفه ورحمته، ويهديهم بإيمانهم كما وعدهم، إنه لا يخلف الميعاد : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربّهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللّهم وتحيّتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾[٥].

---

(١) المفيد، الارشاد : ٢٦.
(٢) الامام علي عليه السلام، نهج البلاغة، خ ١٢٩.
(٣) إشارة إلىٰ الآية الكريمة من سورة الرعد : ٢٠.
(٤) تحف العقول : ٢٤٠.
(٥) يونس : ٩ ـ ١٠.

ضرورة معرفة أهل البيت عليهم السلام

لم يختلف المسلمون منذ نزول الوحي والصدع بالرسالة إلىٰ يومنا هذا، في أن تنزيلاً إلهياً قد جاء بنصّ القرآن الكريم والسنّة الشريفة بتنزيه أهل البيت عليهم السلام عن الرجس وتطهيرهم، ولزوم حبّهم والولاء لهم. ولهذا نجد أنه لا يكاد يخلو كتاب حديث لأي محدّث من فرق الاسلام وطوائفه من إيراد ذلك مسنداً بطرقه العديدة، معتبراً برواته ومناسباته، علىٰ الرغم ممّا طال الحديث من تحريف هادف، ووضع مغرض لمقاصد سياسية حاول رجاله طمس معالم ومقام أهل البيت عليهم السلام، وموقعهم العلمي والقيادي في حركة الرسالة والأمة، وتوظيف كل ذلك التحريف والوضع لإضفاء الشرعيّة علىٰ القيادات والحكومات الغاصبة للحكم الاسلامي في العهود الأموية والعباسية، وتبرير الجور والظلم الذي صبّته تلك الحكومات علىٰ أهل البيت عليهم السلام، وعلىٰ الأمة الموالية لهم والسائرة علىٰ هديهم والقائلة بحقّهم.

إلّا أن الاختلاف جاء ـ كعادة من أعيته السبل لحرف النصّ الحق والذكر المبين ـ علىٰ صورة تكلّف للتأويل، وتمحّل للدلالة إلىٰ غير ما تفصح به النصوص علىٰ اختلاف صيغها ومناسباتها، حتىٰ وصل الامر إلىٰ التأويل الغريب للنصّ الواضح بحدّه المبين.

وقد خاض أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم المخلصون جهاداً مريراً، ملؤه العلَق

والعرَق والشهادة والسجون والتجويع والتشريد في الآفاق، دفاعاً عن التنزيل الإلهي والتأويل النبوي للكتاب الكريم والسنّة الشريفة، فزادهم ذلك تجذّراً في الأمة، وسطوعاً في حقيقتهم وموقعهم من الرسالة، وما زاد أعداءهم إلّا خبالاً، فتخبّطوا ولم يحصدوا إلّا السقوط في مهاوي الدجل والضلال وسبل الظلم والجور، وتداعت دولهم وتلاشت دعواتهم، دولة بعد أخرىٰ وجيلاً بعد جيل، ولم تنزوِ الحقيقة في زوايا ظلامهم، ولم يُطمر الحق في مقابر ضلالتهم، بل امتدت إلىٰ كل طلّابها، واتسعت دائرة أتباع أهل البيت، فلا تجد مصراً إلّا ولهم فيه عشّ كبر أو صغر، ظاهر معلن، أو خفي مستور.

ولم نجد لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ـ بحقّ ـ تخلّفاً، عبر تأريخهم الطويل، عن كل ما من شأنه حفظ بيضة الاسلام، والدفاع عن كيانه السياسي وأصوله العقائدية أمام قوىٰ المشركين ودولهم، خصوصاً بعد أن دالت لها الامور وقويت شوكتها، علىٰ أثر تداعي الحكومات التي نسبت نفسها للاسلام رسماً واسماً، ونأت عنه حكماً وتطبيقاً، فبان علىٰ أثر ذلك عمق أطروحة أهل البيت عليهم السلام في قيادة الأمة نحو حاكمية الاسلام المحمدي الأُصيل، ودورها الاساسي في رسم الخط السياسي الثوري الذي وضع كل تلك الحكومات وأجهزتها الممتدة في أمصار البلاد الاسلامية، أمام محكمة الأُمة التي تربّت علىٰ أيديهم ونهجت نهجهم، وصولة علمائها المجاهدين من روّاد مدرستهم الكبرىٰ، حتىٰ جاء عصر الاستعمار الحديث الذي مهّدت له القوىٰ الطامعة بأكبر حملة استطلاعية، وأعظم عملية استكشافية حاولوا بها معرفة الدينَ الإسلامي في مبانيه وأحكامه، ومدارسه وفرقه، وتراثه وآثاره، والأمة الاسلامية بشعوبها وأقطارها، وعاداتها وتقاليدها، ونقاط قوّتها وضعفها، ومكامن العلم من الجهل لدىٰ أبنائها، وذلك بهدف ضربها في مكامن الضعف وتضعيف نقاط القوة، وقد وضعت كل هذه المعلومات والدراسات في

خدمة وزارات المستعمرات الاوربية، وبدأت مهمّة التقويض الكبرىٰ للاسلام وأمته المجيدة.

وكان الركن الاساسي في الحملة تهرئة قدسية هذا الدين بتوهين أمّهات عقائده وأصوله، وتفريق أمته وتمزيق وحدتها بزرع مقولات الجاهلية الجهلاء، وإحياء البدع والسنن الوضعية، ونشر الشاذّ من الحديث والتأويل، وتتبّع السقطات السوداء في تاريخ حكّام المسلمين ودولهم، وأثمرت جهودهم رجالاً ومدارس تدعو بدعواتهم، وتنهج نهجهم، وتحكم بأطروحتهم، وساد سلطانهم في أوساط الأمة، وقامت لهم دول وانتظمت علىٰ نموذجهم في أوربا المشركة.

وخاضت شعوب الأمة الاسلامية بقيادة علمائها وقادتها المخلصين صراعاً شاملاً، للوقوف في وجه هذه الموجة العلمانية الكافرة بقيم الدين ومُثله العليا، فانتصرت في بقاع، وقام لها كيان ودولة، وأينع عودها، وقويت شوكتها. ولا زالت بين كرّ وفرّ في بقاع أخرىٰ، وادرك الممتحنون من أبناء هذه الأمة قيمة القيادة الإلهية، وضرورة الوحدة الاسلامية علىٰ صراط محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وراحوا يتساءلون عن سرّ النصر ومكمن الهدىٰ الإلهي، الذي يتمتّع به أتباع أهل البيت الكرام عليهم السلام في جهادهم المتواصل وقدرتهم الفائقة، ومنهجهم المبدئي في إعلاء كلمة الله تعالى، وإجابة واعية المسلمين المضطهدين في كل مكان وفي كل أرض دوّىٰ عليها نداء يا للمسلمين.

ولعلّ من أهم وأبرز أهداف علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو تحقيق هذه الغاية السامية، والأمل الكبير لأمة محمد صلى الله عليه وآله في نفض الغبار عن حقائق التنزيل الإلهي المبين، والتأويل النبوي الشريف، واستجلاء حقيقة الثقلين، والتمسّك بحبل القرآن الكريم والعترة الطاهرة، وذلك للتصدّي لقوىٰ الاستكبار المشرك والاستعمار الفاجر، بما لديهم من الحق بحدوده الإلهية المطلقة، والنهج

بمعالمه المحمديّة الأصيلة التي أثبتت عبر هذا التاريخ الطويل صمودها ورسوخها أمام كل صور المواجهة والكيد، وأعلت كلمة الله تعالىٰ أينما حلّت.

وليس بخافٍ عنّا كيف حفظ أهل البيت عليهم السلام ـ بتسديد إلهي ـ الاسلامَ في كتاب الله الكريم وسنّة نبيه العظيم، وكيف قادوا الأمة وبنوا الجماعة الصالحة بعلمها السامق، وجهادها المتواصل، واندكاكها في ذات الله، فاستحقّوا وصف الحق بقوله العزيز: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1]، وسار أتباعهم الصالحون علىٰ نهجهم، لم يتحكّم فيهم سلطان غير سلطان الله عزّوجلّ، ولم تلفّهم دولة، ولا خضعوا لقيادة غير القيادات الشرعية.

وتحقيقاً لهذه المهمّة الرسالية العظيمة انبرىٰ المخلصون من أصحاب الفكر والرأي والقلم لخوض هذا الغمار، والانفتاح بكل صدق وموضوعية وإخلاص علىٰ أطروحة أهل بيت النبوّة عليهم السلام، ومدرستهم الكبرىٰ، نظريةً وتأريخاً وتجربةً، تبصّراً في أمرها، ومعرفة للحق من أجل اتباعه، وللباطل من أجل رفضه فإن العاقل من رفض الباطل وتمسّك بالحق.

ونوجه خطابنا إلىٰ كل الحواضر والمؤسسات العلمية والاعلامية للدائرة الاسلامية الواعية، أن تطرح نفسها منبراً من منابر هذه الدعوة الكريمة، للتعريف بأهل البيت عليهم السلام وبمعالم مدرستهم الكبرىٰ، وتفتح أبوابها لكل مجيب مخلص، وعالم مجاهد، ورائد وافد، وأن تواصل مهمتها هذه بعون الله وتسديده حتىٰ يتبيّن الحق وهداته فيتّبع، ويتحقق الحق في قوله تعالىٰ: ﴿ أفمن يهدي إلىٰ الحقّ أحقّ أن يتّبع أم من لا يهِدّي إلّا أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون ﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) يونس: ٣٥.

النهج الواقعي لمعرفة أهل البيت عليهم السلام

إنّ حركة التاريخ الاسلامي وعملية التغيير المتواصلة فيها جانبان جوهريان :

الجانب الأول : هو محتوىٰ الرسالة الإسلامية، ومضمون أطروحة التغيير الإلهية المتمثّل بالتنزيل الحكيم والقرآن الكريم والسنّة الشريفة. وهذا الجانب إلهي تكفّله الله سبحانه وأنزله علىٰ نبيّه محمد صلى الله عليه وآله كاملاً لا نقص فيه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلامَ دِيناً ﴾[1] وسدّده بالوحي : ﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾[2] وصانه بالطهارة والعصمة.

والجانب الثاني : في عملية التغيير هذه جانب اجتماعي حركي، بما هو متجسّد في الرسول وأهل بيته والصفوة من أتباعهم، بكلّ ما في هذا الجانب من صراع وكفاح بين تلك العصبة الإلهية وبين التيّارات الاجتماعية المختلفة الرابضة حولها، والمشتبكة معها في أشكال الصراع العقائدي والاجتماعي والسياسي والقتال العسكري.

فهي هنا عملية تغييرية ببعدها البشري المتجسّد واقعاً حيّاً علىٰ ساحة

---

(١) المائدة : ٣.

التاريخ وحركته الميدانية، وهي بهذا مرتبطة ارتباطاً فعلياً مع الوجودات والتيّارات البشرية الاخرىٰ، التي تعيش هذا التجسيد وتقف منه مؤيدة أو رافضة مقاومة. فهي إذن ـ بهذا اللحاظ ـ عملية بشرية يتحكّم في أفرادها وتجمّعاتها ما يتحكّم في سائر الناس أفراداً وجماعات، من سنن وقوانين اجتماعية علىٰ مرّ الزمن ومختلف الأعصار والأمصار: ﴿ وَتِلْكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ ﴾[1].

وكون هذا الجانب في حركة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام والصفوة الصالحة من أصحابهم، عملية بشرية محكومة للسنن والقوانين الاجتماعية، لا يخرجها عن أصولها الإلهية المتضمّنة في محتوىٰ الرسالة الاسلامية، بل هي وجه كاشف وسيرة حاكية عن تلك الأصول، إلّا أنها في تفريعاتها تفترق عنها في المصاديق الجزئية والموضوعات الخارجية. وهي بهذا تعتبر متحرّكة متغيّرة بلحاظ الزمان والمكان، وتُرىٰ وكأنّها منطقة فراغ في الرسالة تفتقر إلىٰ تشخيص مواطن المصلحة ومواطن المفسدة في مفرداتها، فتكون حركة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومواقفهم فيها كاشفة عن تلك المصالح والمفاسد، ومشخّصة للموقف الاسلامي منها.

ومن خلال هذه النظرة المركّبة يمكننا اكتشاف وتحديد معالم المنهج المتكامل في معرفة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومعرفة دعوتهم التبليغية في الناس وإعدادهم للصفوة الرائدة وبنائهم للأمة الراشدة.

لذا يجب أن يُلحظ الجانبان متعانقين في تقويم المفردات الموضوعية لسيرتهم عليهم السلام، واستخلاص الحقائق والرؤىٰ منها.

فمن حيث انتسابهم للاسلام مبلّغين هادفين هم ربّانيون مهيمنون علىٰ

---

(١) آل عمران: ١٤٠.

الواقع الانساني، وحاكمون مستوعبون لحركة التاريخ، بما اختصّهم الله به من رسالة الوحي وشرعة التنزيل، ومن حيث كونهم دعاةً مغيّرين متقوّمين بواقع الانسان وجهده الخاص في حركتهم الميدانية علىٰ ساحة التاريخ، بما فيها من قوىً بشرية أخرىٰ تنسجم معها أو تقاومهم وتصارعهم في حركتهم تلك، هم بشر تحكمهم سنن وقوانين اجتماعية، وتتحكّم فيهم ضوابط وشروط وضعها الله سبحانه وتعالىٰ لتنظيم حركة الانسان والمجتمع، ورسم مساره في الحياة، سواء اختار مسار الانحطاط والشقاء، أو مسار الكمال والسعادة : ﴿ سُنَّة اللهِ الَّتِي خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّة الله تَبْدِيلاً ﴾[1].

ففي معركة بدر الكبرىٰ، مثلاً، عندما التقىٰ الجمعان ؛ المسلمون بقيادة الرسول الامين صلى الله عليه وآله، والمشركون بقيادة أبي جهل وطغاة قريش، تحقّق النصر الاكبر والفرقان الاعظم للحق علىٰ الباطل، عندما توفّرت الشروط الموضوعية لهذا النصر بحسب السنن والقوانين الكونيّة لحركة الانسان الاجتماعية، وكان أساس شروط النصر هذه وأهمّها التقوىٰ، وصبر المسلمين في الله وفي طاعة رسوله الذي استحق رفد يد الغيب، وفيض المدد الإلهي ونفوذ سنّة النصر للمسلمين في تلك المعركة الفاصلة : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللهُ بِبَدْرٍ وأنْتُم أذِلَّةٌ فاتَّقوا الله لَعَلَّكُم تَشْكُرون * إذْ تَقُولُ للمُؤمِنِين ألَنْ يَكْفِيَكُم أنْ يُمِدَّكُم رَبُّكُم بِثَلاثةِ آلافٍ مِن المَلائِكَةِ مُنْزَلِين * بَلىٰ إنْ تَصْبِروا وَتَتَّقوا وَيَأتوكُمْ مِنْ فَوْرِهِم هذا يُمْدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِن المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَما جَعَلَهُ اللهُ إلّا بُشْرىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلوبُكُم بِهِ وَما النَّصْرُ إلّا مِنْ عِنْدِ الله العَزِيز الحَكِيم ﴾[2]. وبنفس الرؤية وزاوية اللحاظ خسر المسلمون معركة أحد مع المشركين ؛ لأنّهم فقدوا في

---

(١) الفتح : ٢٣.
(٢) آل عمران : ١٢٣ ـ ١٢٦.

اللحظات الحاسمة من المعركة الشروط الاساسية للنصر، فهم بعد أن خالف أكثرهم رأي رسول الله ﷺ في التحصّن في المدينة المنورة، وتشتيت المشركين وسحقهم في طرقها وأزقتها، أصرّوا علىٰ الخروج الىٰ المشركين خارج المدينة وقتالهم بعيداً عن مدينتهم، ثم جاء منعطف الوهن الثاني من خلال المنافقين المندسّين في صفوف المسلمين بقيادة عبدالله بن أُبي بن سلول، الذي استطاع أن يثني أكثر من ربع الجيش عن المعركة لينسحب بهم بعيداً عنها، وفي أوج النصر الاولي للمسلمين في المعركة حدثت الثلمة الثالثة التي أجهزت علىٰ ذلك النصر وتلك الغلبة، عندما عصىٰ الرماة الذين أمرهم رسول الله ﷺ بحماية ثغور المسلمين الخلفية، وتركوا مواقعهم واندفعوا نحو الغنائم، فانكشف ظهر الجيش الاسلامي، فكانت فرصة المشركين لضرب المسلمين من الخلف وبعثرتهم وكسر شوكتهم، ونزل في ذلك الوحي علىٰ رسوله الكريم بقرآن مبينٍ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُم بإذْنِهِ حَتّىٰ إذا فَشِلْتُم وَتنازَعْتُم في الأمْر وَعَصَيْتُم مِنْ بَعْدِ ما أراكُم ما تُحِبُّونَ مِنْكُم مَنْ يُريدُ الدُّنيا وَمِنْكُم مَنْ يُريدُ الآخرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُم لِيَبْتَلِيَكُم وَلَقَدْ عَفا عَنْكُم واللهُ ذو فَضْلٍ علىٰ المُؤمِنِين * إذْ تُصْعِدونَ وَلا تَلْوونَ علىٰ أحَدٍ وَالرَّسولُ يَدْعُوكُم في أُخراكُمْ فَأثابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنوا علىٰ ما فاتَكُمْ وَلا ما أصابَكُمْ واللهُ خَبيرٌ بِما تَعمَلون ﴾[١].

وفي مسألة المرجعيّة بعد رسول الله ﷺ لم يكن جزافاً تأكيده على تحديد هويّة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم، في كل مناسبة مواتية وفرصة سانحة، لتثبيت الوحي والأمر الإلهي بخلافتهم وإمامتهم من بعده، فهو يعلم كل العلم أن الأمّة ستعيش من بعده مشكلة القيادة لمسيرة الاسلام وحاكميّته علىٰ الارض،

(١) آل عمران: ١٥٢ ـ ١٥٣.

تلك المسيرة التي عمل وتحمّل ما تحمّل من أجل حفظها وحمايتها من الانتكاس والانكفاء عن أهدافها التي رسمها القرآن الكريم.

إنّ هذه النظرية في تناول تلك السيرة المباركة تنسجم انسجاماً تامّاً مع المنهج الشمولي والنظرة المترابطة لها، فمن يتناول وفق هذه النظرية سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، وعناياته الخاصة بأمّهات المسائل العقائدية والسياسية الكبرىٰ في الاسلام وحركته الميدانيّة، ويربط ذلك بسير القيادة الاسلامية عبر العصور التالية ، يعِ بوضوح وعمق حقيقة ومرامي مواقف أمير المؤمنين عليه السلام القائل عنها: « **فأمسكت يدي حتىٰ رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلىٰ محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرىٰ فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّامٍ قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتىٰ زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدّين وتنهنه** »[١]، كما يدرك حكمة صلح الامام الحسن عليه السلام، وعظمة الهدف في نهضة الامام الحسين عليه السلام، والطريقة المأساوية في تفاصيل وقائع الثورة الدامية التي كانت أحد عوامل خلودها وتعاظم أثرها في المسلمين، بل في غيرهم عبر التاريخ الاسلامي والانساني المديد، ويسبر أغوار النهج التربوي الذي سلكه الامام السجاد عليه السلام، ليكشف أسراره وآثاره البليغة في إيجاد الارضية الخصبة لمدرسة التجديد والاحياء لدين محمد صلى الله عليه وآله علىٰ يد الصادقين عليهما السلام ؛ ليتّصل كلّ ذلك بأدوار الأئمّة من بعدهم التي رافقها ولازمها شتّىٰ أنواع الارهاب والبطش والسجن والتشريد والاغراء والاغواء، حتىٰ الشهادة دون أهدافهم الإلهية التي جاهدوا

---

(١) نهج البلاغة، ك ٦٢.

من أجلها.

إنّ انتهاج هذا السبيل التكاملي والطريقة الشمولية في دراسة تاريخ وسيرة أهل البيت عليهم السلام، سوف يحقق لنا رؤية إسلامية واقعية تجمع بين المبادئ والمثل الاسلاميّة العليا، التي تمثّلها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، والسنن والقوانين الاجتماعية التي حكمت مسيرتهم التغييرية في الواقع الانساني. وبذلك نحصل على المعرفة الصادقة لهم، وتتكامل لدينا نظرية التأسّي والاقتداء بهم عليهم السلام ، سواء في سلوكهم الفردي أو في حركتهم الاجتماعية، اللذين سيكون بهما علاج أهمّ مشكلة يعاني منها المسلمون اليوم في صراعهم الحضاري مع قوى الكفر والاستكبار، وتحقيق شروط بناء كيانهم الاجتماعي والسياسي في خضمّ هذه المواجهة الدامية، فوفق هذا المنهج يمكننا اكتشاف القوانين والاساليب والشروط التي أودعها الله تعالى الواقعَ الاجتماعي، والمتحكّمة في مسيرة العمل التغييري التي باستهدائها ـ في الكفاح والجهاد الذي يخوضه المسلمون اليوم ـ تتحقق الاهداف الإلهية التي يرمون إليها، ويكون النصر حليفهم في كل بقاع الارض، ويحقّ القول الإلهي الكريم فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا وَإنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِين ﴾[1].

---

(١) العنكبوت : ٦٩.

حبّ أهل البيت عليهم السلام إحياء أمرهم

عن الأزديّ، عن الامام ابي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «قال لفضيل: تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إنّ تلك المجالس أُحبّها فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا...»(١).

وعن الهروي قال: «سمعت أبا الحسن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام يقول: رحم اللّه عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يُحيا أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا»(٢).

وقبل الخوض في الكيفية نشير إلى أن بعض علمائنا ومفكرينا، قد ذهب إلى أن مسألة إحياء أمرهم عليهم السلام تعني احياء نظريتهم السياسية، في بناء الكيان السياسي الاسلامي على أساس مبدأ الإمامة والولاية في الحكم، فقد ورد في الحديث عن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: «الإمامة نظام الأمة»(٣).

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام: «بُني الاسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»(٤).

وعن الامام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام: «... إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام

---

(١) المجلسي، بحار الانوار ٤٤ : ٢٨٢، عن قرب الاسناد ص٢٦. وعيون أخبار الرضا ٢ : ٢٧٥. وللمزيد راجع: وسائل الشيعة ج ١٤، كتاب الحج، باب المزار.

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٣٠، ح ١٣.

(٣) الآمدي، غرر الحكم.

(٤) الكليني، الكافي ٢ : ١٨.

المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين. إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي...»[١].

كما وأن الأحاديث متواترة في أنّ إمامة المسلمين وولاية أمرهم لا تعدو أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، كحديث الثقلين المعروف وأمثاله، ومنها ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «... من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنّة التي وعدنيها ربي... فليتولّ علي بن أبي طالب وأوصياءه من بعده، فإنّهم لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدىً، فلا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، وإني سألت ربّي ألّا يفرّق بينهم وبين الكتاب حتى يردا عليّ الحوض...»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله: «... أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيكذّبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس مني ولا معي، وأنا منه بريء»[٣].

وغير ذلك من الروايات والنصوص الشريفة.

ومما لا شك فيه أن من أهم الوسائل للتوعية هو إقامة المجالس لذكر فضائلهم وفواضلهم، وبيان مقامهم وسيرتهم، والعرض الواعي للمحن التي مرّت بهم، والمصائب التي وقعت عليهم، وما انطوت عليه أدوارهم من أسرار وحقائق في طريق حملهم للأمانة، وتبليغهم للرسالة، ودعوتهم لإقامة الدين، وحفظهم لمعالمه، وحمايتهم للشرعة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبلغ في بيانها، وجاهد

(١) الكليني، الكافي ١ : ٢٠٠.
(٢) الكليني، الكافي ١ : ٢٠٩.
(٣) المصدر: ٢١٥.

لإعلائها. ولقد شكلت بعض الحوادث منعطفات في هذا المسير، وكان في طليعتها واقعة الطف الكبرىٰ وما اشتملت عليه من وقائع دامية وحوادث مروعة، فإنّه لم يمر تاريخ الانسانية بمثلها، ولا عرفت سيرة الأمم والشعوب نظيراً لها، من قتلٍ فجيع لأهل بيت النبوة الطاهرين وأصحابهم البررة، وسلبٍ وحرق وسبي لبنات الرسالة، وأطفال العترة الطيبة من أولاد علي وفاطمة وأهل بيتهما عليهم السلام.

وإحياء أمرهم هذا إحياء للضمائر الانسانية، وإجلاء للفطرة البشرية، فتكون بذلك في معرض التدبر والتأمل والتفكّر والتذكّر دروساً وعبر، فيصدق عليها قول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام فيها: «من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[١].

ولعلّ أول مجلس أحيا أمر أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وشعّت منه معالم رسالة أهل البيت عليهم السلام، وصدعت بحقهم مقالة الصدق فيه، وأجلت عن البصائر غبشها، وعن القلوب رينها، فظهر الحق وردع الباطل بها، هو المجلس الحسيني والمأتم التأبيني للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه الكرام، الذي أقامه الامام زين العابدين عليه السلام في الشام معقل يزيد وبطانته الفاسدة مدة ثلاثة أيام[٢]. ومنه انطلق أتباع العترة الطاهرة في مجالسهم العامرة ومواكبهم المتواصلة، واتسعت رقعتها يوماً بعد آخر، حتىٰ أصبحت شعاراً عظيماً من شعائر أهل البيت عليهم السلام، وصدق فيها قوله عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّٰهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوىٰ الْقُلُوب﴾[٣].

ولذلك معانٍ ومبانٍ كثيرة لا يتّسع المقام هنا لبيانها، إلّا أننا لا نشك في أن من أهمها ما يلي:

---

(١) المجلسي، بحار الانوار ١ : ٢٠٠، ح٦.
(٢) شبّر، عبدالله، جلاء العيون ٢ : ٢٦٤.
(٣) الحج: ٣٢.

١ ـ إن تتبع سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المليئة بالاحداث والوقائع، والتحليل الواعي لها، والوقوف علىٰ أسرارها ونكاتها، خصوصاً وقائع ثورة الإمام الحسين عليه السلام الدامية، سيكشف لنا عن موقف الرسالة من تلك الاحداث والوقائع، ويبين لنا حكم اللّٰه فيها، مما يجعل إحياء ذكراها عاملاً أساسياً في وعي الأمة الاسلامية لتاريخها الصادق، وامتلاكها للرؤية الاسلامية الصحيحة في العمل السياسي، وقضية الحكم وطريقة مواجهة الظلم والجور، والصدع بالحق وإقامة العدل، وأسلوب أداء فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهجية الدعوة إلى الاسلام وسبلها القويمة.

٢ ـ إن ترسيخ وتجذير الحب الروحي والارتباط الوجداني والعاطفي بالرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، كان ـ وما زال ـ من أبرز طرقه الفاعلة وأساليبه البليغة، هو إحياء ذكريات أحزانهم التي تجسدت من خلال المآسي والظلم والجور، الذي وقع عليهم خلال مسيرتهم الجهادية المتواصلة لإعلاء كلمة اللّٰه، والحفاظ على دينه الحق. وأشد تلك المآسي حزناً ولوعة مأساة الطف الدامية، وقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه البررة بتلك الصورة المروّعة، وسبي نسائه وأطفاله بكل قسوة ووحشية مغللين بالاصفاد يدار بهم بين العباد من بلاد إلى بلاد.

٣ ـ إن في تعاهد إحياء أمرهم، وإقامة شعائر الله في ذكريات أحزانهم وأفراحهم، تنمية لروح العصبة المؤمنة بالله وبرسالة وقيادة الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام للمسيرة الاسلامية الكبرىٰ، وتشييداً لأواصر الجماعة الموالية لهم، والمتكافلة على خطهم، والمتفانية في البذل والتضحية من أجل إرساء قواعد مدرستهم، وتوعية الأمة ودعوة البشرية لاستهداء أطروحتهم الاسلامية، في إقامة حكم الحق والعدل الالهي على ربوع الارض، والخلاص من الظلم والجور

الذي يطالهم على يد الطغاة والجائرين من المستكبرين والمفسدين في الارض.

ولا بد لنا هنا من وقفة تصحيحية تمليها الضرورة الراهنة لمصلحة الاسلام العليا، نقول فيها حقاً ونردع باطلاً، تلك هي بيان حكم الله الحق، حكم الاسلام الأصيل في بعض البدع والممارسات الشاذة، التي توهم بنسبتها إلى الاسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، الحكم الذي ظلّ طي الكتمان في صدور الكثير من فقهائنا وعلمائنا في أغلب الأدوار والعهود، خلا مقاطع كان بعضهم يشخّص فيها ضرورة التصدّي والبيان لمساوئ هذه الممارسات وسلبياتها، وكونها خارجة عن الاسلام، ولا تسوغ ممارستها سواء في الحواضر الدينية أو في غيرها.

إن بعض الممارسات الشاذة التي يقوم بها البعض عند إقامة مراسم العزاء على الحسين عليه السلام، مما لم يندب اليه نص اسلامي ولا قام عليه توجيه من المعصوم، إنما هو بدعة من جهة، وخرافة وتشويه للاسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام لدى الرأي العام الاسلامي والعالمي من جهة اخرى. وإن هذه الممارسات وأمثالها لو كانت مشروعة أو مستحبة لنقلت إلينا في سيرة أئمتنا الطاهرين عليهم السلام وعلمائنا الابرار، ولبادر إليها أهل الدين والصلاح، بل على العكس من ذلك أظهر علماؤنا آراءهم باستهجان مثل هذه الممارسات. وإن عدم تصدّي البعض الآخر إنما كانت علته غالباً عدم كون الاسلام ونظامه في موقع السلطة والمسؤولية، وفي معرض الطرح بديلاً لسعادة الانسانية على المستوى العالمي.

كما أن هذه الممارسات لم تكن تنعكس في دائرتها المحلية إلى الدائرة العالمية، من خلال وسائل الاعلام المضادة، إلّا بعد أن برز الاسلام وامتدت صحوته إلى آفاق الدنيا، ودخلت تقارع الكفر في عقر داره.

إن علينا أن نطهّر سلوكياتنا من أي مظهر مبتدع لم يأت به الاسلام، ولم يدع اليه حتى بنص عام، ثم إن الاسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام هما اليوم في

معرض الاختبار، وتحت مرصد عيون الاستكبار الكافر وعملائه الحـاقدين، فيجب ألّا نسمح ببروز هذه البدع والممارسات الخرافية والشاذة، خصوصاً وأن الكفر في أوربا وأميركا يتربص بنا لتصعيد هجومه الثقافي المضاد، للنيل من عظمة هذا الدين وشموخ مدرسته الرائدة، منها عرضه الافلام الوثائقية والصور المثيرة، ونشر المقالات حول هذه الممارسات، في الوقت الذي يحرص علماؤنا الابرار وقادتنا المجاهدون والنخبة الصالحة من الدعاة العاملين، علىٰ طرح الاسلام عقيدة شامخة ونظاماً بديلاً وفكراً رائداً للبشرية المعذبة؛ لينتشلها من محنتها ومعاناتها، ومن الظلم والفساد الذي لحق بها أجيالاً تلو أجيال.

هذه الدعوة المباركة التي أخذت موقعها السامق في وسط عشاق الحق والعدل، وطلاب الحقيقة والصدق، وبدأت تتنادىٰ لها الشعوب والجماعات، ويتوالى للالتحاق بركبها رجال الفكر والقلم الحر، يجب ألّا نسمح للـجهلة أو المغرر بهم أن يشوهوها ويصادروا مكاسبها الجبارة.

حان الوقت أن ينبري علماؤنا الاعلام وخطباؤنا الفضلاء وأهل الكلمة الصادقة والقلم الأمين، لبيان عظمة الاسلام والقرآن وعظمة سيرة الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، وبخاصة القيمة الرسالية الفريدة لثورة الامام الحسين عليه السلام، والآثار الكبرىٰ التي تمخّضت عنها وتنامت من خلالها، حتى وصل شعاعها إلى كل أمصار الأمة الاسلامية وأغلب الأحرار في أرجاء العالم، واقتدىٰ بها واستقىٰ من دروسها أهل الملل والنحل، ورجال الاصلاح والتغيير في بلاد الله وعباده.

فمن ذكرىٰ التضحية والهجرة إلى اللّٰه في أيام الله الكبرىٰ، أيام الدم والشهادة، أيام السبي والتشريد لأصفىٰ عترة وأطهر بيت، وأنقىٰ المخدرات، وخير الشيعة والاصحاب، وعلى أرض كربلاء الطاهرة، ورمال الطف الملتهبة، تُستلهَم عبر، وتستقىٰ دروس، ليكون يومنا أفضل من أمسنا، وغدنا أشرق من يومنا.

ومن هجرة الامام الحسين ﷺ بأهل بيته وخلّص أصحابه يستمد الثائرون المؤمنون عزمهم الجهادي، ويرسمون خطاهم على طريق ذات الشوكة، مزلزلين عروش البغي، أو مهاجرين ومشرّدين في الاصقاع.

ومن بذله دمه الطاهر في سبيل اللّه تتدفق ينابيع الشهادة لتروّي العطش الكربلائي، وتغمر وجه الارض لتطهره من الدنس اليزيدي.

وممّن تضرّج أهل بيته بدمائهم بين يديه على أرض الطفوف، تستلهم القلوب المفعمة بالعشق الحسيني مواقفها الجريئة، وتقدم أنفسها على أكف البذل والعطاء مشاعل من نور تضيء دروب السراة.

ومن فداء أصحابه بأنفسهم من أجله في سبيل الله، تهوي كواكب الفداء والتضحية قرابين مكلّلة بغار الفخر وصدق العزيمة، مشفوعة بالابتهال إلى بارئها بحسن القبول، كما علمتنا زينب ﷺ حين وضعت جسد أخيها الحسين ﷺ بين يديها قائلة: «اللهم تقبل منا هذا القربان».

ومن سبي أهل بيته ونسائه وأطفاله وتشريدهم في الامصار، يتأسى المسلمون في العراق وفلسطين ولبنان والجزائر والبوسنة وكشمير وغيرها من بلاد الاسلام المنكوبة، ويستلهمون الصبر والصمود في مواجهة النكبات وهتك الحرمات على أيدي الطغاة والجزارين، الذين يمثلون دور يزيد وعبيدالله بن زياد وعمر بن سعد وشمر وزجر، وينكّلون بالأحرار، ويعتدون على أعراض الحرائر المغيبات في الزنزانات والسجون، وهن صامدات يستلهمن من الصمود الزينبي عزيمة لا تلين، ومواقف لا تعرف الخنوع.

ومن موقف الامام الحسين ﷺ في وجه طاغوت عصره، الذي رام محو الدين وطمس أسسه ومعالمه، استوحىٰ المجاهدون من أتباع أهل البيت ﷺ والغيارىٰ من أبناء أمة محمد ﷺ منهجاً ثورياً حرّاً، وموقفاً بطولياً راسخاً لا تثنيه

التهديدات ولا تكسر شوكته المغريات ووسائل العنف، فصمدوا بوجه أعتىٰ طغاة العصر، وأقذر أساليب القمع والارهاب حتىٰ تخضبوا بدماء الشهادة، وتكلّلوا بتيجان الرضوان الأكبر.

ومن حرب البيان ومقارعة الطاغوت بكلمة الحق التي خاضتها بطلة كربلاء زينب العقيلة عليها السلام، وانبرىٰ بها الإمام السجّاد عليه السلام، هدرت حناجر الصدق وأقلام العقيدة الصلبة بصوت الحق الإلهي الخالص، في وجوه الظلمة في كل مكان لأتباع أهل البيت عليهم السلام صولة فيه وجولة.

ومن مسيرة الطف التي توالت عبر أجيال المحبين لأهل البيت عليهم السلام، والموالين لهم ولمنهجهم الأصيل ومدرستهم الرائدة في إقرار الحكم الاسلامي، وإعلاء كلمة الله في الارض، تتقدم المسيرة الجهادية في طريق الحبّ والمودّة للعترة الطاهرة.

ومن الثورات التي اندلعت والدماء التي أُريقت والأنفس التي أُزهقت على طريق الحسين الشهيد، تأخذ ثورات الشعوب الاسلامية في كل الأمصار والأدوار العبر، وتستمد الدروس لتحقق الامل المنشود تحت راية قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه، في ملء الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

﴿قُلْ هذِهِ سَبيلي أَدْعُو إلى اللّهِ علىٰ بَصيرَةٍ أنا وَمَن اتَّبَعَني﴾[1].

---

(١) يوسف: ١٠٨.

الفصل الثاني

الأصول الفارقة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام

□ الأصل الأول: حفظ الاسلام عقيدةً وتشريعاً

«حركة الاجتهاد والتجديد»

* أساس مرجعية أهل البيت عليهم السلام
* جذور حركة الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
* حقيقة الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

□ الأصل الثاني: حفظ مصلحة الاسلام العليا

نماذج كبرىٰ:

* الامام علي عليه السلام ومصلحة الاسلام العليا
* فاطمة الزهراء عليها السلام ومصلحة الاسلام العليا
* الامام الحسن عليه السلام ومصلحة الاسلام العليا
* الامام الحسين عليه السلام ومصلحة الاسلام العليا
* حفظ مصلحة الاسلام العليا نهج متواصل في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام

□ الأصل الثالث: حفظ وحدة المسلمين

(الأسس المبدئية للوحدة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام)

* الأساس الأوّل: وحدة العقيدة الاسلامية
* الأساس الثاني: وحدة التشريع الاجتماعي والسياسي العام

الأصل الأول: حفظ الاسلام عقيدةً وتشريعاً
« حركة الاجتهاد والتجديد »

أساس مرجعية أهل البيت عليهم السلام

إنّ إفراد مدرسة خاصة لاهل البيت عليهم السلام وتميزها عن غيرها من المدارس الاسلامية لم يأت جزافاً أو محاكاة لدعوىٰ مدارس اخرىٰ، وإنّما هو في الحقيقة تطبيق لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله التي اودعها أمّته في قوله المشهور بحديث الثقلين: «إنّي تارك فيكم أمرين إنْ اخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عزّوجلّ واهل بيتي عترتي. أيها الناس، اسمعوا وقد بلّغت. إنكم ستردون عليّ الحوض فأسألكم عمّا فعلتم في الثقلين، والثقلان كتاب الله جلّ ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[1]، وكذلك انطلاقاً من الاوامر الالهية المتظافرة في تأسيس المرجعية الاسلامية المطلقة لأهل البيت عليهم السلام وإعداد وإبراز مدرستهم الكبرىٰ وجعلها معلماً إلهياً لمن اراد إليه سبيلاً. وقد حكت هذه الحقيقة المئات من آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومنها:

١ ـ آية التطهير: ﴿إنّما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهرَكم

---

(١) الاصول من الكافي (كتاب الحجة) ١: ٢٩٤، وينابيع المودة: ٣٤ باختلاف في بعض الالفاظ واضافة «ولا تخلفوا عنهم».

تطهيراً﴾[١] فقد روي عن ام سلمة زوج النبي انّ رسول الله ﷺ كان في بيتها علىٰ منامة له عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة فقال رسول الله ﷺ: **ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾،** فأخذ النبي ﷺ بفضلة إزاره فغشّاهم إيّاها ثم اخرج يده من الكساء وأومأ إلىٰ السماء ثم قال: «**اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**».

وفي رواية أُخرىٰ أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلىٰ صلاة الفجر ويقول: «**الصلاة يا اهل البيت الصلاة ﴿إنّما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجس اهلَ البيت ويطهرَكم تطهيراً﴾**»[٢].

٢ ـ آية المودة: **﴿قُل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾**[٣] فعن ابن عباس قال: «**لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿قل لا أسألكم عليه اجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾** قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: **علي وفاطمة وابناها**»[٤].

٣ ـ آية المباهلة: **﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالَوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهلْ فنجعلْ لعنة الله علىٰ الكاذبين﴾**[٥] وقد نزلت هذه الآية في قضية المباهلة، وهي كما رواها

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) ابن مردويه عن ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وحسنه، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه، وابن مردويه عن انس. يراجع: الميزان للطباطبائي لمتابعة هذه المصادر في تفسير آية التطهير.

(٣) الشورىٰ: ٢٣.

(٤) غاية المرام، في تفسير الآية.

(٥) آل عمران: ٦١.

المؤرخون والمفسرون والرواة، أنّ وفداً من نصارىٰ نجران جاء ليحاجج رسول الله ويحاوره، فأمره الله سبحانه بهذه الآية المباركة أن يدعو علياً وفاطمة والحسن والحسين ويخرج بهم إلىٰ الوادي، وأن يدعو النصارىٰ ابناءهم ونساءهم ويخرجوا معهم ثم يدعو الله بان ينزل العذاب علىٰ الكاذبين.

قال الزمخشري في الكشاف: «إنّهم لمّا دعاهم إلىٰ المباهلة قالوا: حتىٰ نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ: يا عبد المسيح، ما ترىٰ؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارىٰ أنّ محمداً نبي مرسل، وقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم. والله ما باهل قوم نبيّاً قط فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لنهلكنّ، فإن أبيتم إلّا إلف دينكم والاقامة علىٰ ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلىٰ بلادكم.

فأتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فامّنوا فقال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ، إني لأرىٰ وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض نصراني إلىٰ يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك علىٰ دينك ونثبت علىٰ ديننا. قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم. فأبوا، فقال: فإني أُناجزكم فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك علىٰ أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا علىٰ أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلة؛ ألف في صفر والف في رجب، وثلاثين درعاً من حديد. فصالحهم علىٰ ذلك، وقال صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّىٰ علىٰ اهل نجران، ولو لاعنوا لمُسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران واهله حتىٰ الطير علىٰ رؤوس الشجر، ولما حال الحول علىٰ النصارىٰ كلهم حتىٰ يهلكوا».

ثم استطرد الزمخشري في حديثه عن تفسير آية المباهلة ومقام اهل البيت عليهم السلام بعد أن استشهد علىٰ عظيم مكانتهم بحديث عائشة، قائلاً: «وقدمهم في الذكر علىٰ الأنفس لينبه علىٰ لطف مكانتهم، وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون علىٰ الانفس مفدون بها. وفيه دليل لا شيء أقوىٰ منه علىٰ فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح علىٰ صحّة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لأنه لم يَرو احد من موافق ولا مخالف أنهم اجابوا إلىٰ ذلك»[١].

٤ ـ آية التبليغ: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإنْ لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[٢].

وكان نزول هذه الآية في غدير خم. وفيما يلي بيان ذلك: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع[٣] نزلت عليه في الثامن عشر من ذي الحجة[٤] هذه الآية. فنزل غدير خم من الجحفة[٥] وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام، ووقف هناك حتىٰ لحقه من بعده ورد من كان تقدم[٦]، ونهىٰ اصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ، ثم بعث اليهن فقُمّ ما تحتهن من الشوك ونادىٰ بالصلاة جامعة[٧] فصلّىٰ الظهر بهجير[٨]، ثم قام خطيباً فحمد الله واثنىٰ عليه وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول ثم قال: إنّي أُوشك أن أُدعىٰ فأجيب، وإني مسؤول وانتم مسؤولون، فما انتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك بلّغت

---

(١) الزمخشري: تفسير الكشاف، في تفسير آية المباهلة، وكذا جاء في تفسير الثعالبي عن مجاهد والكلبي.
(٢) المائدة: ٦٧.
(٣) مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ ـ ١٦٥.
(٤) رواه الحاكم الحسكاني ١: ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٥) مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ ـ ١٦٥، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩ ـ ٢١٣.
(٦) تاريخ ابن كثير ٥: ٢١٣.
(٧) مسند احمد ٤: ٢٨١، وسنن ابن ماجة، باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٨) مسند احمد ٤: ١٨١، وسنن ابن ماجة، باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢١٢.

ونصحت فجزاك الله خيراً. قال: أليس تشهدون أن لا اله الاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنّة حق وأن النار حق؟ قالوا: بلىٰ نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد، ثم قال: ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: يا أيّها الناس، إني فرط وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين بصرىٰ إلىٰ صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

فنادىٰ مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله طرف بيد الله وطرف بايديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدلوا، وعترتي اهل بيتي، وقد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يتفرقا حتىٰ يردا علي الحوض. سألت ذلك لهما ربي، فلا تَقدَّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم[1]. ثم قال: ألستم تعلمون أنّي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله[2]، قال: ألستم تعلمون [أو تشهدون] أني أولىٰ بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى يا رسول الله[3]، ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب بضبعيه فرفعها حتىٰ نظر الناس إلىٰ بياض إبطيهما. ثم قال: ايها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم[4]، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[5] وانصر من نصره واخذل من خذله[6]. واحب من احبه وابغض من أبغضه[7] ثم قال: اللهم اشهد[8].

---

(١) مجمع الزوائد وبعض ألفاظه في روايات الحاكم ٣: ١٠٩ و١١٠، وابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٢) مسند احمد ١: ١١٨ ـ ١١٩ و٤: ٢٨١، وسنن ابن ماجة ١: ٤٣، ح١١٦.

(٣) مسند احمد ٤: ٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢، وابن كثير ٥: ٢٠٩ و٢١٢.

(٤) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٩١، وعند ابن كثير ٥: ٢٠٩ «وانا مولى كل مؤمن».

(٥) مسند أحمد ١: ١١٨ ـ ١١٩، و٤: ٢٨١ و٣٧٠ و٣٧٢ و٣٧٣، و٥: ٣٤٧ و٣٧٠، ومستدرك الحاكم ٣: ١٠٩، وسنن ابن ماجة، والحاكم الحسكاني ١: ١٩٠ ـ ١٩١، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩ و٢١٠ ـ ٢١٣.

(٦) مسند احمد ١: ١١٨ ـ ١١٩، ومجمع الزوائد ٩: ١٠٤ و١٠٥ و١٠٧، وشواهد التنزيل ١: ١٩٣، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢١٠ و٢١١.

(٧) شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٩١، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢١٠.

(٨) شواهد التنزيل ١: ١٩٠.

ثم لم يتفرقا ـ رسول الله وعلي ـ حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الله اكبر علىٰ اكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي»(١).

وغير ذلك من آيات القرآن الكريم.

ولذا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك مناسبة مواتية إلّا وأكد التعريف بأهل البيت عليهم السلام ولزوم اتباعهم والانقياد لهم والالتحاق بمدرستهم الكبرىٰ. منها:

حديث السفينة المشهور: وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»(٢).

وحديث الأمان من الاختلاف وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، واهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف»(٣).

وحديث الكساء الذي روته ام سلمة (رض) أنّه كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيتها يوماً فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها عصيدة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس علىٰ دكة وتحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة قريباً منهم، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكساء، فغشاهم به ثم قال: اللهم اهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً قالت: فأدخلت رأسي، قلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنك إلىٰ خير، إنك إلى خير، فأنزل الله عزوجلّ: ﴿إنّما يريد

---

(١) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري ١: ١٥٧ و١٥٨، ح ٢١١ و٢١٢، وعن ابي هريرة: ١٥٨، ح ٢١٢، وابن كثير ٥: ٢١٤ بايجاز.

(٢) الفيروز آبادي، فضائل الخمسة ٢: ٦٥.

(٣) الشبراوي الشافعي، الاتحاف بحب الاشراف: ٢٠، أخرجه الحاكم في مستدرك الصحيحين ٣: ١٤٩ وقال عنه: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجه، كما اورده المتقي في كنز العمال (٦: ٢١٧) وذكره ابن حجر في صواعقه وصححه: ١٤٠.

الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[1].

وحديث المودة المروي عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿قل لا أسألكم عليه اجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾[2] قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما».

ومنها أيضاً ما روي من أن آخر ما تكلم به رسول صلى الله عليه وآله هو قوله: «اخلفوني في اهل بيتي»[3].

وقوله صلى الله عليه وآله: «اذكركم الله في اهل بيتي»[4].

وقوله صلى الله عليه وآله في موضع آخر: «نحن اهل البيت لا يقاس بنا أحد»[5].

وعنه صلى الله عليه وآله حين خطب في الجحفة، فقال: «ألست أولىٰ بكم من أنفسكم، قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: فإني سائلكم عن اثنين: عن القرآن واهل بيتي»[6].

وقد جمع امير المؤمنين عليه السلام المرام في بليغ الكلام حين قال «نحن [اهل البيت] شجرة النبوة ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم وينابيع

---

(١) ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في احوال الأئمة: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) الشورىٰ: ٢٣.

(٣) رواه السيوطي في احياء الميت نقلاً عن الطبراني في الأوسط بسنده عن ابن عمر: ٢٠، كما اخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، وأورده ابن حجر في الصواعق المحرقة: ٩٠.

(٤) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة في باب فضائل علي بن ابي طالب بزيادة في ألفاظه (٤ من الصحيح: ١٨٧٣)، ورواه احمد بن حنبل في مسنده وفق ما رواه مسلم (ج ٤ / ص٣٦٦ ـ ٣٦٧)، كما رواه المتقي في كنز العمال في الجزء الاول: ١٥٨ وفي الجزء السابع: ١٠٢، واورده السيوطي في تفسيره الدّر المنثور ٦ : ٧، كما رواه أيضاً في كتابه احياء الميت: ١١.

(٥) الطبري، ذخائر العقبى: ١٧.

(٦) رواه السيوطي في احياء الميت نقلاً عن الطبراني بسنده عن المطلب بن عبد الله عن ابيه: ٣٨، كما ذكره الهيتمي في مجمع الزوائد ٥: ١٩٥، ورواه أيضاً ابن الاثير في اسد الغابة ٣: ١٣٧، ورواه ابو نعيم في حلية الاولياء (ج ٩ / ص ٦٤) بسنده عن علي (عليه السلام).

الحكمة...»[١].

وقال عليه السلام أيضاً: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا؟... بنا يُستعطى الهدىٰ ويُستجلىٰ العمىٰ»[٢].

وقال عليه السلام: «فانهم [اهل البيت] عيش العلم، وموت الجهل. هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق»[٣].

وقال عليه السلام أيضاً: «فيهم [اهل البيت] كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن؛ إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقوا»[٤].

اذن فمدرسة اهل البيت عليهم السلام هي في الحقيقة مدرسة الرسالة والرسول تنزيلاً وتأويلاً وتطبيقاً.

ولا نتجاوز الواقع إذا قلنا: إن الاحاطة التفصيلية بمعالم هذه المرجعية والمدرسة الالهية لا تتأتّىٰ إلّا بتظافر جهود متواصلة لا انقطاع لها يبذلها العلماء والمتبحّرون في علومها ومسيرتها، وهو ما اضطلع به لحد الآن الاساطين والأعلام منهم جزاهم الله خيراً عن الاسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

وفي دراستنا المختصرة هذه نسلط الضوء علىٰ الجذور الاولية لاصل أساسي من اصول هذه المدرسة النبوية الكبرىٰ، وهو الاجتهاد والتجديد الذي تميزت به هذه المدرسة منذ نشوئها علىٰ يد رسول الله صلى الله عليه وآله وإلىٰ يومنا هذا.

---

(١) نهج البلاغة.
(٢) نهج البلاغة.
(٣) نهج البلاغة.
(٤) نهج البلاغة.

جذور حركة الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

إن الاجتهاد بمنظور مدرسة اهل البيت عليهم السلام اصل مبدئي ومن أهم المعالم الاساسية لهذه المدرسة النبوية، وقد مثّل النهج العلمي الذي سلكوه عليهم السلام في حفظ الرسالة الاسلامية قرآنا وسنة كما جاءت عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، ولقد رسم اصول هذا النهج بمعالمه الكلية الرسول الأمين صلى الله عليه وآله. وممّا جاء عنه صلى الله عليه وآله في ذلك قوله في حجة الوداع: **«قد كثرت علي الكذابة وستكثر؛ فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فاذا أتاكم الحديث فاعرضوه علىٰ كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»**[1]. وعن ابي عبد الله الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **«إذا حُدِّثتم عني بالحديث فانحلوني أهنأه واسهله وارشده، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وان لم يوافق كتاب الله فلم أقله»**[2]. وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: **«ايها الناس حلالي حلال إلىٰ يوم القيامة وحرامي حرام إلىٰ يوم القيامة، ألا وقد بيّنهما الله عزّوجلّ في الكتاب، وبيّنتهما في سيرتي وسنتي، وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي من تركها صلح له أمر دينه، وصلحت له مروته وعرضه، ومَن تلبس بها ووقع فيها واتّبعها كان كمن رعىٰ غنمه قرب الحمىٰ، ومَن رعىٰ ماشيته قرب الحمىٰ نازعته نفسه أن يرعاها في الحمىٰ. ألا وإنّ لكل ملكٍ حمىً، ألا وانّ حمىٰ الله عزّوجلّ**

---

(١) محمد باقر المجلسي / بحار الانوار ٢: ٢٢٥ باب ٢٩، ح ٢.

(٢) ابو جعفر البرقي / المحاسن ١: ٢٢٠ ح ١٣١ ط. ٢ ـ قم.

محارمه، فتوقوا حمىٰ الله ومحارمه»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «اتقوا تكذيب الله. قيل: يا رسول الله، وكيف ذاك؟ قال: يقول احدكم: قال الله، فيقول الله عزوجل: كذبت لم أقله، ويقول: لم يقل الله، فيقول عزّوجلّ: كذبت قد قلته»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «من قال عليَّ ما لم أقله فليتبوّأ مقعده من النار»[٣].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله قال: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٤].

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً أنه قال: «قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي مَن فسَّر برأيه كلامي، وما عرفني مَن شبهني بخلقي، وما علىٰ ديني من استعمل القياس في ديني»[٥].

ولقد اخذت الصورة التفصيلية لهذا النهج تتبين وتتجلىٰ علىٰ يد الأئمة من اهل البيت عليهم السلام دوراً بعد آخر، حتىٰ بلغت كمالها في عصر النهضة العلمية في علوم الشريعة الاسلامية التي قادها وابرزها علىٰ صعيد الامة خامس ائمة اهل بيت العصمة والنبوة الامام محمد الباقر عليه السلام، وبلغ الاوج فيها ولده الامام جعفر الصادق عليه السلام.

إن الدور التأسيسي للإمامين الصادقين عليهما السلام في تحقيق هذا الاصل وابرازه معلماً شاخصاً من معالم مدرسة اهل البيت عليهم السلام، كان يهدف إلىٰ اظهار الصحيح من التأويل النبوي للقرآن الكريم والصحيح من سنة الرسول الامين صلى الله عليه وآله واهل بيته

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار ٢: ٢٦٠ باب ٣١ ح١٧.
(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار ٢: ١١٧ باب ١٦ ح١٦.
(٣) ابو جعفر البرقي، المحاسن ١: ٢٠٩ ح٣٧٤.
(٤) ابن ماجة، سنن ابن ماجة ج ١ باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ص١٣ ح ٣٠ و٣٣.
(٥) ابو جعفر الصدوق، أمالي الصدوق: ١٥ ـ ١٦، المجلس الثاني / ح٣.

الطاهرين عليهم السلام تميزاً لهما عن مداخلات الاجتهادات الخاصة للخلفاء الثلاثة الأولين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والتحريف والدسّ الذي تعمده بنو أمية من بعدهم.

وقد اعتمدا عليهما السلام منهجين متعانقين مع بعضهما لتحقيق ذلك:

الأول: ربط الامة وطلاب العلم والفقه بأئمة اهل بيت النبوة والعصمة باعتبارهم اوصياء منصوبين من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالىٰ أُمناء علىٰ وحيه وتراجمة لقرآنه ورواةً حفظةً لسنة رسوله صلى الله عليه وآله. وقد تواترت عنهم عليهم السلام العشرات من الروايات في التأكيد علىٰ هذا المنهج، منها ما ورد عن الامام الباقر عليه السلام قال: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حقٌّ ولا صواب إلّا شيءٌ أخذوه منّا اهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحقّ وعدل إلّا ومفتاح ذلك القضاء وبابه واوله وسنته امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام...»[١].

وقال عليه السلام أيضاً ـ لسلمة بن كهيل والحكم بن عتبة ـ: «شرقاً وغرباً لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا اهل البيت»[٢].

وقال عليه السلام: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلّا شيء أخذوه منا اهل البيت»[٣].

وقال عليه السلام أيضاً: «إنّا اهل بيتٍ من علم الله علمنا، ومن حكمه أخذنا، ومن قول الصادق[٤] سمعنا، فإنْ تتبعونا تهتدوا»[٥].

وقال عليه السلام: «كلّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»[٦].

---

(١) الامالي للشيخ المفيد: ٩٦.
(٢) بحار الانوار ٢: ٩٢.
(٣) بحار الانوار ٢: ٩٤.
(٤) يقصد رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٥) بحار الانوار ٢: ٩٤.
(٦) بحار الانوار ٢: ٩٤.

كما ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) العديد من الروايات في ذلك منها قوله(عليه السلام): «انظروا علمكم هذا عمن تأخذونه؛ فإن فينا اهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[١].

وقوله(عليه السلام) في اهل البيت(عليهم السلام): «يا يونس! إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن اهل البيت، فإنا رويناه واوتينا شرح الحكمة وفصل الخطاب»[٢].

وقال أيضاً: «الراسخون في العلم امير المؤمنين والأئمة من بعده»[٣].

وقال(عليه السلام): «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله»[٤].

ولقد جاءت احاديث الصادقين(عليهما السلام) في هذا الأمر بياناً وتأكيداً لما حرص رسول الله(صلى الله عليه وآله) علىٰ تركيزه في الامة طيلة حياته الرسالية وأصر عليه في وصاياه لما بعد وفاته، منها حديث الثقلين الشهير الذي قال(صلى الله عليه وآله) فيه: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا، وإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض. فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنهم اعلم منكم»[٥].

وقوله(صلى الله عليه وآله): «أنزِلوا آل محمّد منزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العينين من الرأس؛ فإن الجسد لا يهتدي إلّا بالرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلّا بالعينين»[٦].

قوله(صلى الله عليه وآله) أيضاً: «ألا إن اهل بيتي امانٌ لكم فأحبوهم بحبي وتمسكوا بهم لن تضلوا»[٧].

وقوله(صلى الله عليه وآله): «إنّما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف

---

(١) اصول الكافي للكليني ١: ١٣٠.
(٢) بحار الانوار ٢٦: ١٥٨.
(٣) اصول الكافي للكليني ١: ٢١٣.
(٤) اصول الكافي للكليني ١: ٢١٣.
(٥) اصول الكافي ١: ٢٩٤، وينابيع المودة: ٣٣.
(٦) الإتحاف بحب الاشراف: ٢٦.
(٧) بحار الانوار ٣٦: ٣٤٢.

عنها غرق»[١].

ولقد سار امير المؤمنين عليه السلام علىٰ نهج الرسول في التأكيد علىٰ الامر، وقد جاء عنه عليه السلام: «نحن شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم...»[٢].

وقوله عليه السلام في ائمة اهل البيت عليهم السلام: «نحن الشعار والاصحاب، والخزنة والابواب، ولا تؤتىٰ البيوت إلّا من ابوابها، فمن أتاها من غير ابوابها سُمّي سارقاً»[٣].

وقوله عليه السلام أيضاً: «إن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضّلت به النبيون إلىٰ محمّد خاتم النبيين في عترة محمّد صلى الله عليه وآله»[٤].

وقال عليه السلام: «انظروا اهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً ولن يعيدوكم في ردى»[٥].

وعشرات الروايات الاخرىٰ التي تؤكد هذا النهج.

ولقد اثمرت جهودهما عليهما السلام علىٰ هذا النهج في دائرتين رئيسيتين:

الدائرة الاولىٰ: وهي دائرة اتباعهم وشيعتهم، وقد استهدفا عليهما السلام في هذه الدائرة تربية وبناء مجموعة متميزة في علمها وكفاءتها وقدرتها علىٰ تمثيل مدرستهم الاسلامية الكبرىٰ في كل الحواضر التي يحلّون فيها، كان من ابرزهم ابو سعيد أبان بن تغلب بن رياح البكري الجريري[٦]، وأبان بن عثمان بن يحيىٰ

---

(١) بحار الانوار ٢٣: ١٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٧: ٢١٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٩: ١٦٤.

(٤) بحار الانوار ٢: ١٠٠.

(٥) نهج البلاغة / الخطبة: ٩٧.

(٦) المتوفى سنة ١٤١هـ كان جليل القدر، عظيم المنزلة. لقي الامام زين العابدين والباقر والصادق. وكان له حلقة في المسجد. وقال عنه ياقوت الحموي: «كان قارئاً لغوياً فقيهاً امامياً، ثقة عظيم، جليل القدر، ←

ابن زكريا اللؤلؤي[١]، وابو القاسم بريد بن معاوية العجلي الكوفي[٢]، وابو علي جميل بن دراج بن عبد الله النخعي[٣]، وجميل بن صالح الاسدي الكوفي[٤]، وحماد بن عثمان بن زياد الرواسي الكوفي[٥]، وحماد بن عيسىٰ بن عبيدة الجهني[٦]، وحبيب بن ثابت الكاهلي[٧]، وحمزة بن محمّد الطيار[٨]، وابو جعفر محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي المعروف بمؤمن الطاق[٩]، وابو محمد هشام بن الحكم الكندي البغدادي[١٠] وعشرات غيرهم[١١].

= روىٰ عن علي بن الحسين وابي عبد الله(عليهم السلام) وسمع من العرب وصنف غريب القرآن وغيره».

(١) المتوفىٰ سنة ٢٠٠ هـ وهو من الستة الذين اجمعت العصابة علىٰ تصحيح ما يصح عنهم والإقرار لهم بالفقه.

(٢) المتوفىٰ سنة ١٥٠هـ وكان من اصحاب الامام الباقر وولده الامام الصادق، وهو من حملة الحديث ورجال الفقه، وله عند اهل البيت(عليهم السلام) منزلة ووثاقة وعلوّ قدر. وورد مدحه في روايات صحيحة، كما أُجمعت الشيعة علىٰ تصحيح ما صحّ عنه.

(٣) من اصحاب الامام الصادق وولده ابي الحسن موسىٰ، وكان ثقة وهو من الستة الذين اجمعوا علىٰ تصحيح ما يصح عنهم، توفي في ايام الامام الرضا وكان كثير الحديث، فقيهاً، زاهداً، متعبداً، له مؤلفات منها كتاب اشترك هو ومحمد بن حمدان فيه. وله كتاب اشترك هو ومرازم بن حكيم فيه.

(٤) من اصحاب الامام الصادق وولده موسىٰ. ثقة له أصل، روىٰ عنه جماعة.

(٥) المتوفىٰ سنة ١٩٠ هـ وهو من الستة الذين اجمعت الطائفة علىٰ تصحيح ما يصح عنهم.

(٦) غريق الجحفة المتوفىٰ سنة ٢٠٨هـ من اصحاب الامام الصادق والكاظم(عليهما السلام)، ومن الستة الذين اجمعت العصابة علىٰ تصحيح ما يصح عنهم.

(٧) المتوفىٰ سنة ١٢٢هـ من التابعين ومن رجال الصحاح الستة. روىٰ عن الامام زين العابدين والامام الباقر وولده الصادق(عليهم السلام).

(٨) من رجال الفقه والمتفوقين في علم الكلام وله مناظرات مع خصوم أهل البيت(عليهم السلام) كما دلّت علىٰ ذلك آثاره. ووردت احاديث من اهل البيت(عليهم السلام) في مدحه.

(٩) من اصحاب الامام جعفر الصادق كان كثير العلم متفوقاً في معارفه قوياً في حجته. تعددت فيه نواحي العبقرية والنبوغ؛ فهو عالم بالفقه والكلام والحديث والشعر، وكان قوي العارضة سريع الجواب واضح الحجة. له مناظرات علمية كثيرة خصوصاً في المسائل العقائدية وله كتب عديدة وقد اختصّه الامام الصادق بوصية.

(١٠) المتوفىٰ سنة ١٩٧هـ من اصحاب الامام الصادق(عليه السلام) ومن ابرز رجال مدرسته في الحكمة والدراية والعرفان والفقه والحديث، وشهدت له الحواضر العلمية مناظرات ومساجلات علمية خصوصاً في مسائل العقائد والامامة. حتىٰ قال عنه الامام الصادق: «يا هشام لازلت مؤيداً بروح القدس». وكان من اصحاب الامامين الكاظم والرضا(عليهما السلام) وله مؤلفات كثيرة وكان ثقة عظيم المنزلة.

(١١) منهم داود بن فرقد، وحميد بن المثنىٰ العجلي، وداود الرقي، وزيد الشحام، وسعيد الصيرفي، وعبد =

وقد اعتمدا منهج التخصص مع بعضهم علىٰ ضوء الاستعداد المتميز لكل منهم في مجال معين من مجالات المعرفة الاسلامية؛ فمنهم من كان متميزاً بالفقه ومناظراته كأبان بن تغلب وزرارة بن أعين ومنهم من تميز في مسائل علوم القرآن كحمران بن أعين، وآخرين في المساجلات الكلامية كمؤمن الطاق، وفي مسائل العقائد وخصوصاً الامامة كهشام بن الحكم[١]، وهكذا.

وكان لهذه النخبة الصالحة الدور الكبير في نشر معالم الدين من منبع اهل البيت عليهم السلام والدفاع عنها أمام الملاحدة والزنادقة والمنحرفين. وقد حرص الصادقان عليهما السلام علىٰ ابراز مقام هذه الصفوة من الاصحاب المخلصين واظهرا كفاءتهم ومكانتهم العلمية من خلال إناطتهمابهم وظيفة الاجابة عن مسائل العديد من الوفود التي تتوالىٰ عليهما من مختلف البلاد الاسلامية[٢].

الدائرة الثانية: هي الدائرة العامة للمسلمين حتىٰ إن أئمة المذاهب الاسلامية المختلفة ورواة الحديث اتجهوا اليهما وإلىٰ العلماء والفقهاء من مدرستهما، كتتلمذ ابي حنيفة علىٰ يد الامام الصادق عليه السلام وتتلمذ مالك علىٰ يد الزهري الذي هو تلميذ الامام السجاد عليه السلام وتتلمذ الشافعي علىٰ يد مالك، وهكذا في الحديث واخذ الرواية، فقد اخذ الكثير من رواة الحديث عنهما عليهما السلام علىٰ اختلاف مذاهبهم منهم عمر بن دينار الجمحي، وعبد الرحمن الاوزاعي، وعبد الملك بن عبد العزيز الاموي، وقرة بن خالد الدوسي، ومحمد بن المنكدر القرشي التميمي، ويحيىٰ بن كثير الطائي، ومحمد بن مسلم الزهري، وأبو محمد

= الرحمن البجلي، وداود بن يزيد الكوفي العطار، وداود بن كثير، وروح بن عبد الرحيم الكوفي، وعبد الله بن أبي يعفور الكوفي، وعبد الله بن شريك، وعبد الله بن مسكان، والعلاء بن زرين، وعمر بن حنظلة، وشعيب العقرقوفي، والمعلّىٰ بن خنيس.

(١) راجع: حيدر، اسد، الامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢: ٥٠ ـ ٨٣.

(٢) راجع: حيدر، اسد، الامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢: ٥٠ ـ ٨٣.

سليمان بن مهران الأسدي، وأبو عثمان ربيعة بن عبد الرحمن التميمي، وابو محمد عبد الله بن ابي بكر الانصاري احد مشايخ الامام مالك، وابو هارون المدني، والقاسم بن محمد بن ابي بكر، وكيسان السختياني صاحب الصوفية، وابن المبارك، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت في مسنده، ومحمد بن ادريس الشافعي، وزياد بن المنذر الهندي، والامام مالك وعشرات غيرهم[1].

ونقل العلامة السيد محسن الامين: «إنَّ الحافظ ابن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد فضلاً عن غيرهم، وذكر مصنّفاتهم»[2].

ونقل أيضاً: «روىٰ النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الوشاء في حديث أنه قال: ادركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمئة شيخ كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد، وكان عليه السلام يقول: حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عزوجلّ»[3].

كما أن الكثير منهم استفتىٰ الامام الصادق عليه السلام وغيره من الائمة من بعده، وصرحوا بأعلمية الأئمة من اهل البيت عليهم السلام.

ومما اورده الشيخ المفيد في الارشاد قوله: «اخبرني الشريف ابو محمد الحسن بن محمّد قال: حدثني جدي قال: حدثنا محمد بن القاسم الشيباني قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي، عن ابي مالك الجنبي، عن عبد الله بن عطاء المكي قال: ما رأيت العلماء عند احدٍ قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمد

---

(١) راجع: المجلسي / البحار ٤٧ / احوال اصحابه، والمناقب / باب في علمه، والامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢، تلامذته ورواته، وابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب ط ١ / ص ٣٥٠.

(٢) السيد محسن الامين، اعيان الشيعة ١: ٦٦١.

(٣) السيد محسن الامين / اعيان الشيعة ١: ٦٦١.

ابن علي بن الحسين عليهم السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنه صبيٌّ بين يدي معلمه»[١].

وأورد أيضاً قائلاً: «اخبرني الشريف ابو محمد الحسن بن محمد قال: حدثني جدي قال: حدثني شيخ من اهل الري قد عَلَت سِنّهُ قال: حدثني يحيىٰ بن عبد الحميد الحمّاني، عن معاوية بن عمار الدهني، عن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام في قول الله عزوجلّ: ﴿فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٢] قال: نحن اهل الذكر قال الشيخ الرازي:... فذكرت ذلك لأبي زُرعة... واوردت عليه ما حدثني به يحيىٰ بن عبد الحميد، قال: صدق محمد بن علي، إنّهم اهل الذكر...»[٣].

ومما جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب نقلاً عن كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم ما نصّه: «قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلىٰ جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين، ولا تخلو كتب احاديث وحكمة وزهد وموعظة من كلامه. يقولون: قال جعفر بن محمد الصادق، قال جعفر الصادق [يعني صادق القول] ذكره النقاش والثعلبي والقشيري والقزويني في تفاسيرهم»[٤].

ونقل أيضاً عن نفس الكتاب أنه عليه السلام «حدّث عنه من الائمة والاعلام مالك ابن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريح، وعبد الله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، واسماعيل بن جعفر، وحاتم بن اسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وابراهيم بن

(١) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ١٦٠.
(٢) النحل: ٤٣، والانبياء: ٧.
(٣) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ١٦٢. (مصنّفات الشيخ المفيد، ط. اولىٰ).
(٤) ابن شهرآشوب، المناقب ٤: ٢٤٩.

طحان في آخرين. قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجاً بحديثه. وقال غيره: وروىٰ عنه مالك والشافعي، والحسن بن صالح، وايوب السختياني، وعمرو بن دينار، واحمد بن حنبل. وقال مالك بن انس: ما رأت عين، ولا سمعت اذن، ولا خطر علىٰ قلب بشر افضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً»[1].

ونقل الامين العاملي عن الحسن بن زياد أنه قال: «سمعت ابا حنيفة ـ وقد سُئل عن أفقه مَنْ رأيت ـ قال: جعفر بن محمد»[2].

وعن ابن ابي ليلىٰ قوله: «ما كنت تاركاً قولاً قلته أو قضاءً قضيته لقول أحد، إلّا رجلاً واحداً هو جعفر بن محمّد»[3].

وقال مالك بن انس إمام المالكية فيه عليه السلام: «كنت أرىٰ جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي اخضرّ واصفرّ. ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلّا علىٰ ثلاث خصال: إمّا مصلياً، وإما قائماً، واما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث عن رسول الله إلّا علىٰ الطهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه»[4].

وممّا قاله الشيخ المفيد في ارشاده: «وكان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام بين اخوته خليفة ابيه محمد بن علي عليه السلام ووصيه القائم بالإمامة من بعده، وبرز علىٰ جماعتهم بالفضل. وكان أنبههم ذكراً وأعظمهم قدراً، وأجلهم في العامة والخاصة. ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن احد من اهل بيته العلماء ما نقل

---

(١) ابن شهرآشوب، المناقب ٤: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.
(٢) الامين، اعيان الشيعة ١: ٦٦٤.
(٣) الامين، اعيان الشيعة ١: ٦٦٤.
(٤) عبد الحميد الجندي، الامام الصادق: ١٥٩.

عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الاخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله، فإن اصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات علىٰ اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل»[١].

وغير ذلك كثير.

وقد برز فيما بعد اتجاه واسع في اوساط هذه الدائرة يعتقد بمرجعية اهل البيت عليهم السلام وأنهم ورثة رسول الله في بيان معالم الدين.

الثاني: تعريف الامة بمعالم الدين الحق ووضع قواعد وأُصول العلم والفقه بفروعه، وخوض معركة فكرية لإبطال كل مقولات الاجتهاد بالرأي وردع كل خروج عن دائرة المصدرين الأساسيين للتشريع الاسلامي المتمثلين بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، وبيان حقيقة الاجتهاد الصحيح وحدوده والتفقه المطلوب بالإسلام وطريقته في جميع جوانب المعرفة الإسلامية عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً، وهو النهج الذي نادىٰ به وعمل له من سبقهم ومن لحقهم من ائمة اهل البيت عليهم السلام، وتربّت عليه أجيال العلماء والفقهاء المعاصرين لهم والتابعين لمدرستهم من بعدهم.

وقد كان التركيز علىٰ جانبين اساسيين في ذلك:

الجانب الاول: سلبي قد استُهدف فيه الردع عن المنهج الخاطئ في معرفة معالم الدين، وخصوصاً الردع عن البدعة والقياس في الدين والافتاء بالرأي والاسناد إلىٰ الله بغير كتاب كريم وسنة شريفة. ومما جاء في ذلك:

١ ـ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ السنة لا تقاس، وكيف تقاس السنة والحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟!**»[٢].

---

(١) الشيخ المفيد، الارشاد: ٢٧٠.

(٢) ابو جعفر البرقي / المحاسن ١: ٣٣٨، ح٩٥.

٢ ـ وعنه عليه السلام أنه قال: «من افتىٰ الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احلّ وحرّم فيما لا يعلم»[١].

٣ ـ وعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس، فلم تزدهم المقاييس من الحق إلّا بعداً، وإنّ دين الله لا يصب بالمقاييس»[٢].

٤ ـ وعن سعيد الاعرج قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ من عندنا ممّن يتفقّه يقولون: يرد علينا ما لا نعرفه في كتاب الله ولا في السنة نقول فيه برأينا. فقال ابو عبد الله عليه السلام: كذبوا ليس شيء إلّا وقد جاء في الكتاب وجاءت فيه السنة»[٣].

٥ ـ وعن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا اشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنّة، فننظر فيها؟ فقال عليه السلام: لا. أما إنك إن اصبت لم تؤجر، وإن اخطأت كذبت علىٰ الله عزوجلّ»[٤].

٦ ـ وعن أبان بن تغلب عن ابي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنّ السنة لا تقاس. ألا ترى أنّ امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها؟ يا أبان، إنّ السنّة إذا قيست مُحق الدين»[٥].

٧ ـ وعن عيسىٰ بن عبد الله القرشي قال: «دخل أبو حنيفة علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة، بلغني أنك تقيس. قال: نعم، فقال عليه السلام: لا تقس؛ فإنّ أول من قاس ابليس حين قال: ﴿خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾ فقاس ما بين

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الاصول من الكافي ١: ٥٨، باب البدع والرأي والمقائيس، ح١٧.
(٢) محمد بن يعقوب الكليني، الاصول من الكافي ١: ٥٦، باب البدع والرأي والمقائيس، ح٧.
(٣) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار ٢: ٣٠٤ باب ٣٤، ح٤٧.
(٤) محمد بن يعقوب الكليني، الاصول من الكافي ١: ٥٦ باب البدع والرأي والمقائيس ح١١.
(٥) محمد بن يعقوب الكليني، الاصول من الكافي ١: ٥٧ باب البدع والرأي والمقائيس ح١٥.

النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما علىٰ الآخر»[١].

٨ ـ وعن عبد الرحمن بن سالم قال: «دخل ابن شبرمة وابو حنيفة علىٰ الصادق عليه السلام فقال لأبي حنيفة: اتقِ الله ولا تقس الدين برأيك؛ فإنّ أوّل من قاس ابليس إذ أمره الله تعالىٰ بالسجود فقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾ ثم قال عليه السلام: هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ قال: لا، فقال عليه السلام: فأخبرني عن الملوحة في العينين، والمرارة في الاذنين، والبرودة في المنخرين، والعذوبة في الشفتين، لأي شيء جعل ذلك؟ قال: لا ادري، فقال عليه السلام: إن الله تعالىٰ خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيهما منّاً علىٰ بني آدم، ولولا ذلك لذابتا، وجعل المرارة في الاذنين منّاً منه علىٰ بني آدم، ولولا ذلك لقحمت الدّواب فأكلت دماغه، وجعل الماء في المنخرين ليصعد النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة والرديئة، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه. ثم قال عليه السلام له: اخبرني عن كلمة اولها شرك وآخرها ايمان، قال: لا ادري، فقال عليه السلام: لا إله إلا الله، ثم قال عليه السلام: ايما اعظم عند الله تعالىٰ: القتل أو الزنا؟ فقال: بل القتل، قال عليه السلام: فإنّ الله تعالىٰ قد رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلّا بأربعة، ثم قال عليه السلام: إنّ الشاهد علىٰ الزنا شهد علىٰ اثنين وفي القتل علىٰ واحد لأن القتل فعل واحد والزنا فعلان، ثم قال عليه السلام: أيّما اعظم عند الله الصوم أو الصلاة؟ قال: لا، بل الصلاة، فقال عليه السلام: فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ ثم قال عليه السلام: لأنها تخرج إلىٰ صلاة فتداومها ولا تخرج إلىٰ صوم، ثم قال عليه السلام: المرأة اضعف ام الرجل؟ قال: المرأة، فقال عليه السلام: فما بال المرأة وهي ضعيفة لها سهم

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الاصول من الكافي ١: ٥٨ باب البدع والرأي والمقائيس ح ٢٠.

واحد، والرجل وهو قوي له سهمان؟ ثم قال عليه السلام: لأن الرجل يُجبر علىٰ الانفاق علىٰ المرأة ولا تجبر المرأة علىٰ الانفاق علىٰ الرجل، ثم قال عليه السلام: البول اقذر ام المني؟ قال: البول، فقال عليه السلام: يجب علىٰ قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني، وقد أوجب الله تعالىٰ الغسل من المني دون البول، ثم قال عليه السلام: لأن المني اختيار ويخرج من جميع الجسد ويكون في الأيام، والبول ضرورة ويكون في اليوم مرات. قال ابو حنيفة: كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول: ﴿يخرج من بين الصُلب والترائب﴾[1] فقال ابو عبد الله عليه السلام: فهل قال: لا يخرج من هذين الموضعين؟....»[2].

٩ ـ وجاء في دعائم الاسلام: «إنّ أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال لأبي حنيفة وقد دخل عليه: يا نعمان، ما الذي تعتمد عليه فيما لم تجد فيه نصّاً في كتاب الله ولا خبراً عن الرسول صلى الله عليه وآله؟ قال: أقيسه علىٰ ما وجدتُ من ذلك، فقال عليه السلام له: أول من قاس ابليس فأخطأ، إذ امره الله عزوجلّ بالسجود لآدم عليه السلام فقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾ فرأىٰ أنّ النار اشرف عنصراً من الطين، فخلّده ذلك في العذاب المهين. يا نعمان، أيهما اطهر المني او البول؟ قال: المني، فقال عليه السلام: فقد جعل الله عزّوجل في البول الوضوء، وفي المني الغسل، ولو كان يحمل علىٰ القياس لكان الغسل في البول. وأيهم اعظم عند الله الزنا أم قتل النفس؟ قال: قتل النفس، قال عليه السلام: فقد جعل الله عزوجل في قتل النفس الشاهدين وفي الزنا أربعة، ولو كان علىٰ القياس لكان الأربعة الشهداء في القتل لأنه اعظم. وايهما اعظم عند الله الصلاة ام الصوم؟ قال: الصلاة، قال عليه السلام: فقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله الحائض بأن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، ولو كان علىٰ القياس لكان الواجب

---

(١) الطارق: ٧.

(٢) محمد باقر المجلسي بحار الانوار ١٠: ٢١٢ ـ ٢١٣، باب ١٣ ح ١٣.

أن تقضي الصلاة، فاتق الله يا نعمان ولا تقس، فإنّا نقف غداً نحن وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عزّوجلّ فيسألنا عن قولنا ويسألهم عن قولهم، فنقول: قلنا: قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقول انت واصحابك: رأينا وقسنا، فيفعل بنا وبكم ما يشاء»[١].

١٠ ـ وعن ابن الحجاج قال: «قال لي ابو عبد الله عليه السلام: إياك وخصلتين فيهما هلك من هلك: إياك أن تفتي الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»[٢].

١١ ـ وروىٰ المعلىٰ بن خنيس أن الامام ابا عبد الله الصادق عليه السلام «قال في قول الله عزوجلّ: ﴿ومن أضل ممّن اتّبع هواه بغير هدىً من الله﴾[٣] يعني: من اتّخذ دينه رأيه بغير هدىٰ إمام من ائمة الهدىٰ»[٤].

١٢ ـ وروي عن زرارة أنه قال: «قال لي ابو جعفر عليه السلام: يا زرارة، اياك واصحاب القياس في الدين فإنّهم تركوا علم ما وكّلوا به. وتكلّفوا ما قد كفوه. يتأولون الأخبار، ويكذبون علىٰ الله عزّوجلّ، وكأني بالرجل منهم ينادىٰ من بين يديه: قد تاهوا وتحيّروا في الارض والدين»[٥].

١٣ ـ وروي عن محمد بن حكيم أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تفقهنا في الدين وروينا، وربما ورد علينا رجل قد ابتلي بشيء صغير ما عندنا فيه بعينه شيء، وعندنا ما هو يشبه مثله، افنفتيه بما يشبهه؟ فقال عليه السلام: لا. ومالكم والقياس في ذلك؟! هلك من هلك بالقياس. قال: جعلت فداك. أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، بما يكتفون به؟ قال عليه السلام: اتىٰ رسول الله بما استغنوا به في عهده وبما يكتفون به من بعده

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار ١٠: ٢٢١ باب ١٣، ح٢٢.
(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار ٢: ١١٨ باب ١٦، ح٢٢.
(٣) القصص: ٥٠.
(٤) محمد باقر المجلسي / بحار الانوار ٢: ٣٠٢، باب ٣٤، ح٣٦.
(٥) محمد باقر المجلسي / بحار الانوار ٢: ٣٠٩، باب ٣٤، ح٧٠.

إلىٰ يوم القيامه. قال: ضاع منه شيء؟ فقال عليه السلام: لا، هو عند أهله»[١].

١٤ ـ وروي عن محمد بن حكيم أيضاً أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً من اصحابنا قد تفقهوا، وأصابوا علماً ورووا احاديث، فيرد عليهم الشيء فيقولون برأيهم؟ فقال عليه السلام: لا، وهل هلك من مضىٰ إلّا بهذا وأشباهه»[٢].

١٥ ـ وورد عن ابي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لعن الله اصحاب القياس؛ فإنهم غيّروا كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله واتهموا الصادقين عليهم السلام في دين الله عزوجل»[٣].

١٦ ـ وروي عن داود بن سرحان قال: «سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: إنّي لأحدث الرجل الحديث، وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله، وأنهاه عن القياس، فيخرج من عندي فيأوّل حديثي علىٰ غير تأويله. اني امرتُ قوماً أن يتكلموا، ونهيت قوماً، فكلّ يأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله، فلو سمعوا وأطاعوا لأودعتهم ما أودع أبي اصحابه. إنّ أصحاب أبي كانوا زيناً احياءً وأمواتاً»[٤].

١٧ ـ وجاء في المحاسن عن ابي عبد الله عليه السلام في رسالته إلىٰ اصحاب الرأي والقياس: «أمّا بعد، فإنّه من دعا غيره إلىٰ دينه بالارتياء والمقاييس لم يُنصف ولم يُصب حظّه؛ لأن المدعوّ إلىٰ ذلك لا يخلو أيضاً من الارتياء والمقاييس، ومتىٰ ما لم يكن بالدّاعي قوّة في دعائه علىٰ المدعو لم يؤمن علىٰ الداعي أن يحتاج إلىٰ المدعوّ بعد قليل؛ لأنا قد رأينا المتعلّم الطالب ربّما كان فائقاً لمعلّم ولو بعد حين، ورأينا المعلّم الداعي ربّما احتاج في رأيه إلىٰ رأي من يدعو، وفي ذلك تحيّر

---

(١) محمد باقر المجلسي / بحار الانوار ٢: ٣٠٥، باب ٣٤، ح ٤٩.
(٢) محمد باقر المجلسي / بحار الانوار ٢: ٣٠٥، باب ٣٤، ح ٥١.
(٣) محمد باقر المجلسي / بحار الانوار ٢: ٣٠٩، باب ٣٤، ح ٧١.
(٤) محمد باقر المجلسي / بحار الانوار ٢: ٣٠٩، باب ٣٤، ح ٧٣.

الجاهلون، وشك المرتابون، وظنّ الظانّون. ولو كان ذلك عند الله جائزاً لم يبعث الله الرسل بما فيه الفصل، ولم ينه عن الهزل، ولم يعب الجهل، ولكن النـاس لـما سفهوا الحق، وغمطوا النعمة، واستغنوا بجهلهم وتدابيرهم عن علم الله، واكتفوا بذلك دون رسله والقوام بأمره، وقالوا: لا شيء إلّا ما أدركته عقولنا، وعـرفته ألبابنا، فولّاهم الله ما تولّوا، وأهملهم وخذلهم، حتىٰ صاروا عبدةَ انـفسهم مـن حيث لا يعلمون، ولو كان الله رضي منهم اجتهادهم وارتياءهم فيما ادّعـوا مـن ذلك، لم يبعث الله اليهم فاصلاً لما بينهم ولا زاجراً عن وصفهم، وانما استدللنا أنّ رضا الله غير ذلك ببعثه الرسل بالأمور القيمة الصحيحة، والتحذير عن الأُمور المشكلة المفسدة، ثم جعلهم ابوابه، وصراطه، والأدلّاء عليه بأُمور محجوبة عن الرأي والقياس؛ فمن طلب ما عند الله بقياس ورأي، لم يزدد من الله إلّا بعداً، ولم يبعث رسولاً قطّ، وان طال عمره قابلاً من الناس خلاف ما جاء به، حتىٰ يكون متبوعاً مرّةً وتابعاً أُخرىٰ، ولم يُر أيضاً فيما جاء به استعمل رأياً ولا مقياساً، حتىٰ يكون ذلك واضحاً عنده كالوحي من الله، وفي ذلك دليل لكلّ ذي لبّ وحجىٰ أنّ اصحاب الرأي والقياس مخطئون مدحضون، وإنّما الاختلاف فيما دون الرسل لا في الرسل، فإيّاك ايها المستمع أن تجمع عليك خصلتين: احداهما القذف بما جاش به صدرك، واتّباعك لنفسك إلىٰ غير قصد، ولا معرفة حدّ، والأُخرىٰ استغناؤك عمّا فيه حاجتك، وتكذيبك لمن إليه مـردّك، وإيّـاك وتـرك الحـق سأمـة ومـلالة وانتجاعك الباطل جهلاً وضلالة، لأنا لم نجد تابعاً لهواه، جائزاً عمّا ذكـرنا قـطّ رشيداً، فانظر في ذلك»[1].

١٨ ـ وروي عن ميسرة بن شريح أنّه قال: «شهدت أبا عبد الله عليه السلام فـي

---

(١) ابو جعفر البرقي / المحاسن ١: ٣٣١ ـ ٣٣٢، باب: المقائيس والرأي، ح ٦٧٤.

مسجد الخيف، وهو في حلقة فيها نحو من مئتي رجل، وفيهم عبد الله بن شبرمة، فقال: يا أبا عبد الله، إنّا نقضي بالعراق، فنقضي ما نعلم من الكتاب والسنة، وترد علينا المسألة فنجتهد فيها بالرأي، قال: فأنصت الناس جميع من حضر للجواب، واقبل ابو عبد الله عليه السلام على من على يمينه يحدّثهم، فلما رأى الناس ذلك، اقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات. قال: ثم تحدثوا ما شاء الله، ثم إن ابن شبرمة قال: يا أبا عبد الله، إنّا قضاة العراق، وإنّا نقضي بالكتاب والسنّة، وإنّه ترد علينا أشياء ونجتهد فيها بالرأي قال: فأنصت جميع الناس للجواب وأقبل ابو عبد الله عليه السلام على من على يساره يحدّثهم، فلما رأى الناس ذلك، اقبل بعضهم على بعض، وتركوا الإنصات، ثم إن ابن شبرمة مكث ما شاء الله، ثم عاد لمثل قوله فأقبل ابو عبد الله عليه السلام فقال: أيّ رجلٍ كان عليّ بن ابي طالب؟ فقد كان عندكم بالعراق، ولكم به خبر. فأطراه ابن شبرمة وقال فيه قولاً عظيماً، فقال له ابو عبد الله عليه السلام: فإنّ علياً أبى أن يدخل في دين الله الرأي، وأن يقول في شيء من دين الله بالرأي والمقاييس. فقال أبو ساسان فلما كان الليل دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا ساسان، لم يدعني صاحبكم ابن شبرمة حتى أجبته، ثم قال عليه السلام: لو علم ابن شبرمة من أين هلك الناس ما دان بالمقاييس، ولا عمل بها»[1].

١٩ ـ وروي عن أبان بن تغلب أنّه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل قطع اصبع امرأة، فقال عليه السلام: فيها عشرة من الابل. قلت: قطع اثنتين، فقال عليه السلام: فيهما عشرون من الابل. قلت: قطع ثلاث اصابع، قال عليه السلام: فيهنّ ثلاثون من الابل. قلت: قطع اربعاً، فقال عليه السلام: فيهنّ عشرون من الابل. قلتُ: أيقطع ثلاثاً وفيهن ثلاثون من الابل، ويقطع اربعاً وفيها عشرون من الابل؟! فقال عليه السلام: نعم إنّ المرأة

(١) ابو جعفر البرقي / المحاسن ١: ٣٣٢ ـ ٣٣٣، باب: المقائيس والرأي، ح ٦٧٥.

إذا بلغت الثلث من دية الرجل سفلت المرأة وارتفع الرجل. إنّ السنّة لا تقاس. ألا ترىٰ أنّها تؤمر بقضاء صومها ولا تؤمر بقضاء صلاتها؟ يا أبان، حدثتني بالقياس، وإنّ السنة إذا قيست محق الدين»[١].

الجانب الثاني: ايجابي قد رُسم فيه المنهج الصحيح لإصابة الدين الحق ومعرفة معالمه وحدوده من الكتاب الكريم والسنة الشريفة. ويمكننا تصنيف نماذج مختصرة من المروي عن الصادقين عليهم السلام في هذا الجانب كالآتي:

أولاً: في أن مصدري التشريع الاسلامي هما فقط الكتاب الكريم والسنة الشريفة، منها:

١ ـ عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ انزل في القرآن تبيان كل شيء حتىٰ والله ما ترك الله شيئاً يحتاج اليه العباد، حتىٰ لا يستطيع عبدٌ يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه»[٢].

٢ ـ وعن علي بن ابراهيم... عن عمر بن قيس قال: سمعته يقول ـ يعني الامام الصادق عليه السلام ـ: «إن الله تبارك وتعالىٰ لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلّا انزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلى الله عليه وآله، وجعل لكل شيء حدّاً وجعل عليه دليلاً يدلُّ عليه، وجعل علىٰ من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً»[٣].

٣ ـ وعن سليمان بن هارون قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلّا وله حدٌّ كحدّ الدار؛ فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتّىٰ أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة»[٤].

---

(١) ابو جعفر البرقي / المحاسن ١: ٣٣٩، باب: المقائيس والرأي، ح ٦٩٤.
(٢) الاصول من الكافي ١: ٥٩.
(٣) الاصول من الكافي ١: ٥٩.
(٤) الاصول من الكافي ١: ٥٩.

٤ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام: «ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنّة»[١].

٥ ـ وعن أبي الجارود قال: «قال ابو جعفر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله. ثم قال في بعض حديثه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهىٰ عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقيل له: يابن رسول الله، أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله عزّوجلّ يقول: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلّا من امر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾[٢]، وقال:﴿ولا تُؤتوا السّفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾[٣]، وقال: ﴿لا تسألوا عن اشياء إن تُبد لكم تسؤكم﴾[٤]»[٥].

٦ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال امير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس، إنّ الله تبارك وتعالىٰ أرسل اليكم الرسول صلى الله عليه وآله وأنزل إليه الكتاب بالحق، وأنتم امّيون عن الكتاب ومن انزله، وعن الرسول ومن ارسله علىٰ حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الامم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم، وعمىً عن الحقّ، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظٍّ من الحروب، علىٰ حين اصفرار من رياض جنّات الدّنيا، ويبس من اغصانها، وانتشار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها. قد درست أعلام الهدىٰ، فظهرت اعلام الرّدىٰ، فالدنيا متهجمة[٦] في وجوه أهلها مكفهرّة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف.

(١) الاصول من الكافي ١: ٥٩.
(٢) النساء: ١١٤.
(٣) النساء: ٥.
(٤) المائدة: ١٠١.
(٥) الاصول من الكافي ١: ٦٠.
(٦) في بعض النسخ «متجهّمة».

مُزّقتم كلّ ممزّق، وقد أعمت عيون اهلها، وأظلمت عليها ايّامها، قد قطعوا ارحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموؤدة بينهم من اولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا. لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون والله منه عقاباً. حيّهم اعمىٰ نجس، وميتهم من النار مبلس، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولىٰ وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام. ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم. أُخبركم عنه، إنّ فيه علم ما مضىٰ، وعلم ما يأتي الىٰ يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبيان ما اصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم»[١].

٧ ـ وعن ابي عبد الله عليه السلام قال:«كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه»[٢].

٨ ـ وعن سماعة، عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام قال: «قلت له: أكلُّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله؟ أو تقولون فيه؟ قال: بل كلُّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله»[٣].

ثانياً: في مقاييس ضبط وتوثيق الراوي والرواية عند الاختلاف:

١ ـ عن محمّد بن مسلم، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: «ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتهمون بالكذب، فيجيء منكم خلافه؟ قال: إن الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن»[٤].

٢ ـ عن منصور بن حازم قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي اسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟

---

(١) الاصول من الكافي ١: ٦٠ ـ ٦١.
(٢) الاصول من الكافي ١: ٦١.
(٣) الاصول من الكافي ١: ٦٢.
(٤) الاصول من الكافي ١: ٦٥.

فقال: إنّا نجيب الناس علىٰ الزّيادة والنقصان. قال: قلت: فأخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا علىٰ محمّد صلى الله عليه وآله ام كذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت: فما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب، ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب، فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً؟»[١].

٣ ـ وعن ابي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال لي: يا زياد، ما تقول لو أفتينا رجلاً ممّن يتولّانا بشيء من التقيّة؟ قال: قلت له: انت أعلم جعلت فداك. قال: إن اخذ به فهو خير له واعظم أجراً» وفي رواية اخرى «إن أخذ به أوجر، وإن تركه والله أثم»[٢].

٤ ـ وعن نصر الخثعمي قال: «سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: من عرف أنّا لا نقول إلّا حقّاً فليكتف بما يعلم منّا، فإن سمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أن ذلك دفاع منّا عنه»[٣].

٥ ـ وعن سماعة قال: «سألته [يعني الامام الصادق عليه السلام] عن رجل اختلف عليه رجلان من اهل دينه في أمرٍ كلاهما يرويه؛ احدهما يأمر بأخذه والآخر ينهاه عنه، كيف يصنع؟ فقال: يرجئه حتىٰ يلقىٰ من يخبره، فهو في سعة حتىٰ يلقاه» وفي رواية اخرىٰ «بأيّهما أخذت من باب التسليم وسعك»[٤].

٦ ـ وعن الحسين بن المختار عن بعض اصحابنا، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «ارأيتك لو حدثتك بحديث العام، ثم جئتني من قابل فحدثتك بخلافه، بأيّهما كنت

---

(١) الاصول من الكافي ١: ٦٥.
(٢) الاصول من الكافي ١: ٦٥.
(٣) الاصول من الكافي ١: ٦٥ ـ ٦٦.
(٤) الاصول من الكافي ١: ٦٦.

تأخذ؟ قال: قلت: كنت آخذ بالأخير، فقال لي: رحمك الله»[١].

٧ ـ وعن المعلّىٰ بن خنيس قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا جاء حديث عن اولكم وحديث عن آخركم، بأيهما نأخذ؟ فقال: خذوا به حتّىٰ يبلغكم عن الحيّ، فإن بلغكم عن الحي فخذوا بقوله. قال: ثم قال ابو عبد الله عليه السلام: إنّا والله لا ندخلكم إلّا فيما يسعكم» وفي حديث آخر «خذوا بالأحدث»[٢].

٨ ـ وعن عمر بن حنظلة قال: «سألت ابا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلىٰ السلطان والى القضاة، أيحلّ ذلك؟ قال: من تحاكم اليهم في حقّ أو باطل فإنّما تحاكم إلىٰ الطاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد امر الله أن يكفر به قال الله تعالىٰ: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به﴾[٣]. قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران [إلى] من كان منكم ممن قد روىٰ حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والرادُّ علينا الرادّ علىٰ الله وهو علىٰ حدّ الشرك بالله. قلت: فإن كان كل رجل اختار رجلاً من اصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما، واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم؟ قال: الحكم ما حكم به اعدلهما وافقههما واصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلىٰ ما يحكم به الآخر. قال: قلتُ: فإنّهما عدلان مرضيان عند اصحابنا لا يفضل واحد منهما علىٰ الآخر؟ قال: فقال: ينظر إلىٰ ما كان من روايتهم عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من

(١) الاصول من الكافي ١: ٦٧.
(٢) الاصول من الكافي ١: ٦٧.
(٣) النساء: ٦٠.

اصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشّاذ الذي ليس بمشهور عند اصحابك، فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه. وإنما الامور ثلاثة: امرٌ بين رشده فيتّبع، وأمر بين غيّه فيجتنب، وأمرٌ مشكل يردّ علمه إلىٰ الله وإلىٰ رسوله. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم. قلت: فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟ قال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة ووافق العامة. قلت: جعلت فداك. أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة ووجدنا احد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم. بأي الخبرين يؤخذ؟ قال: ما خالف العامة ففيه الرشاد. فقلت: جعلت فداك. فإن وافقهما الخبران جميعاً. قال: ينظر إلىٰ ما هم إليه أميل، حكّامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر. قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعاً؟ قال: إذا كان ذلك فارجه حتىٰ تلقىٰ إمامك فإنّ الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[1].

ثالثاً: في الضابط الاساسي للحديث الصحيح:

١ ـ عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ علىٰ كلّ حق حقيقة، وعلىٰ كلّ صواب نوراً؛ فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»[2].

٢ ـ وعن عبد الله بن ابي يعفور أنه قال: «سألت ابا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به. قال: إذا ورد عليكم

(١) الاصول من الكافي ١: ٦٧ ـ ٦٨.
(٢) الاصول من الكافي ١: ٦٩.

حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلّا فالذي جاءكم به أولىٰ به»[١].

٣ ـ وعن ايوب بن الحرّ قال: «سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: كلّ شيء مردود إلىٰ الكتاب والسنّة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[٢].

٤ ـ وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»[٣].

٥ ـ وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: «خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنىٰ فقال: أيها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله»[٤].

ولو راجعنا مصنّفات كبار فقهائنا واعلام علمائنا في أُصول وقواعد الفقه والحديث لوجدنا مئات الروايات عن رسول صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام قد اعتمدت في تنقيح ورسم اصول الاستنباط الفقهي الصحيح لأحكام ومباني الاسلام، وبذلك تميّز منهج الاجتهاد في مدرسة اهل البيت عليهم السلام عن غيره.

---

(١) الاصول من الكافي ١: ٦٩.
(٢) الاصول من الكافي ١: ٦٩.
(٣) الاصول من الكافي ١: ٦٩.
(٤) الاصول من الكافي ١: ٦٩.

حقيقة الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

إن أكثر ما يُعانيه المسلمون اليوم علىٰ الصعيد الفكري والنظري هو فهم الاسلام في أطروحته الحضارية وموقفه الشرعي، ومنهجه العملي من القضايا المتجدّدة في الواقع الانساني، خصوصاً تلك التي تتميّز بطابعها الاجتماعي، بما فيها من جوانب فكرية وسياسية واقتصادية تتحرك في دائرة المجتمعات الاقليمية الخاصة أو الدولية العامة. ولا ينحصر ذلك في جانب البناء الذاتي لتلك المجتمعات الاسلامية وسدّ حاجاتها الخاصة في عملية البناء والتكامل، سواء تمّ ذلك في إطار حركات ومنظمات تعمل في وسط الأمة، أو في إطار دولة إسلامية تهدف إلىٰ تمكين وتطبيق النظام الاسلامي في تشكيلاتها الاداريّة والوظيفية وقيادتها لشعبها إسلامياً، بل إنه يمتدّ الىٰ جميع أبعاد وآفاق المجتمع الدولي أفراداً ومنظماتٍ ودولاً، انطلاقاً من الرسالية العالمية للاسلام، وما تقتضيه الضرورة العقلائية والملازمة العملية لحركة الأمة الإسلامية، وقياداتها السياسية في وسط المجتمع الدولي العام. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتجاوزه إلىٰ دائرة مواجهة الغزو الثقافي المضاد الذي بدأ يلوح في الافق، والموجَّه ـ بتقنية علمية عالية ـ أولاً وبالذات الىٰ الطبقات المثقفة من المجتمعات الاسلامية، التي تتميز عادةً بمشاعر الرفض لصيغ الظلم الاجتماعي والدجل الفكري والسلوكي، والتطلع نحو رؤية صادقة للحق والعدل، والتوق الشديد إلىٰ بناء إنسان العدل ومجتمع العدل ودولة العدل في الواقع الانساني.

وفي خضم هذه المعاناة، ومن بين ثنايا الصراع المتواصل لتفجير

المكنون الرسالي والحضاري للاسلام، واحتواء تطلّعات البشرية المترقبة للخلاص، وتقديم الاطروحة المنقذة لها من معاناتها، تظهر دعوات وتعلو أصوات لا يظهر منها إلّا إدراك تلك الحاجة الملحّة، جامعها المعبّر عنها هو مقولة : « إن الاجتهاد ببعده الحقيقي وشموليته الواقعية قضية حياة أو موت للمسلمين في مواجهة تحديات العصر.. ».

وهنا لا بد لنا من رفع الغموض والتشويش الذي يمكن أن يعتري تصورات البعض عن الاجتهاد، والتجديد المقصود والتفقه المطلوب في مرحلتنا الراهنة، واستجلاء حقيقته التي لا تنفك عن ذلك الاجتهاد والتفقّه بمعناه الاسلامي الاصيل، الذي نادىٰ به وعمل علىٰ أساسه أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتربّت عليه أجيال العلماء والفقهاء المعاصرين لهم والتابعين لمدرستهم من بعدهم.

فالاجتهاد والتفقّه في الشريعة الاسلامية المقصود لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، ليس هو القاعدة التي دعا إليها مَن فارقَ مدرستهم من أن : « الفقيه إذا أراد أن يستنبط حكماً شرعياً ولم يجد نصّاً يدلّ عليه في الكتاب أو السنّة رجع الىٰ الاجتهاد بدلاً عن النص ». وهل هذا إلّا إطلاق العنان للتفكير الشخصي في الأحكام الإلهيّة، واعتباره مصدراً من مصادر التشريع الاسلامي كالكتاب والسنة ؟ فالفقيه ـ وفق هذا المنهج ـ يرجع الىٰ تفكيره الخاص حيث لا يجد النص ، ويستلهمه ويبني علىٰ ما يرجح في فكره الشخصي من تشريع، ولهذا أُطلق علىٰ هذا النهج اسم (مدرسة الرأي)، وقد تصدّىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام لهذا النهج في الاجتهاد والتفقّه ـ كما اسلفنا ـ وشنّوا حملة شديدة عليه، وحرّموا العمل به لخطره علىٰ سلامة التشريع الاسلامي وأصالته، ومآله الىٰ تحريف أحكام الله وإدخال ما ليس من الدين فيه.

وعليه يجب أن نحدّد مفهوم الاجتهاد والتجديد من وجهة نظر مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الذي يسوّغ لنا اسناده الىٰ الشريعة الاسلامية دون تحميل أو تزوير، لئلّا نقع في حبال دعوتين تستبطنان باطلاً: إحداهما: من داخل البيت الاسلامي المتفقّه، وهي الدعوة الى الاجتهاد والتجديد بإعمال الرأي الشخصي للفقيه المتخصص في استنباط الحكم الشرعي، عند إعواز النصوص أو في مقابلها دون أساسٍ من كتاب أو سنّة، والتي أشرنا إليها بمصطلح (مدرسة الرأي). والأخرىٰ: من خارج البيت الاسلامي المتفقّه، وبالتحديد من الأوساط المثقّفة المترصّدة للفكر الديني الاسلامي ونظرياته وتشريعاته، وهي الدعوة الأخطر من حيث إن طارحيها هم العلمانيون المتدينون ـ كما يسمّون أنفسهم اليوم ـ تحت عنوان الحرية الفكرية وضرورة الابداع، الذي يعني في منطقهم إعادة النظر في الكثير من ثوابت الاسلام وتشريعاته الاجتماعية، والذي نلمسه طافحاً علىٰ أغلب موضوعات مجلّاتهم وكتبهم الحديثة، كمجلة الناقد[1] وكتبها، وهي في الواقع تحديث للفكر الغربي الغابر الذي غزا الشرق الاسلامي في عصر الاستعمار العسكري المباشر، والذي نظّر له المستشرقون، وربّوا رجالاته الاوائل الذين حكموا بلدان الشرق، وساقوا شعوبها نحو الثقافة الغربية ومنهجها في الحياة الاجتماعية، ووضعوها قسراً في ركاب الغرب ومصالحه.

وكما أسلفنا فإن المدرسة الاسلامية لأهل البيت عليهم السلام ـ في الوقت الذي تقرر فيه أن الاجتهاد الذي يسوّغ إسناده الى الشريعة الاسلامية، هو عبارة عن

---

(١) الناقد: مجلة شهرية تصدر من لندن، ويحرّرها مجموعة من المثقفين العلمانيين، ويطغىٰ علىٰ موضوعاتها نقد الفكر الديني الاسلامي، والتشكيك في مبانيه وثوابته بمنهجية مقننة وفق الاتجاه الثقافي العلماني. وليس علىٰ سبيل الصدفة أن يعاصر صدور أول أعدادها انتشار كتاب الآيات الشيطانية للمرتد سلمان رشدي، وشروع الغرب ودوائره الاعلامية بقيادة أميركا بهجومه الثقافي والسياسي المطوّر بالتقنيات الحديثة علىٰ الاسلام، والصحوة الاسلامية التي برزت في الشرق ودقّت ابواب الغرب، بل دخلت عقر داره.

عملية استنباط الحكم الشرعي من مصدريه الأساسيين : الكتاب الكريم والسنّة الشريفة ـ تؤكد ضرورة أن يتمّ الاستنباط وفق القواعد الأصولية المقرّرة شرعاً وعقلاً في مظانّها، والتي تستلزم مستوىً تخصصياً عالياً في مجال الفن الأصولي من جهة، وسعة الاطلاع والتمرّس في فهم النصوص الشريفة للكتاب الكريم والسنّة المعصومة من جهة أخرىٰ، وأن الدعوة للاجتهاد والتجديد في إطار الشريعة الاسلامية المقدسة لا بد أن تنضبط بهذه الضوابط، وتسير وفق هذا المنهج الذي يحمل دليل إثباته الشرعي من النصوص الاسلامية المقدسة، وقيمة آثاره وعظمة ثماره من خلال التجربة الطويلة لتطبيقه في إطار هذه المدرسة الالهية المباركة عبر قرون متمادية والىٰ وقتنا الحاضر. وتشهد لذلك عشرات الآلاف من المؤلّفات والمصنّفات العلمية لكبار فقهاء وعلماء هذه المدرسة، التي استوعبت عبر حركة الاجتهاد والتجديد المستمرة كل مسائل ومستجدات العصور التي مرّت بها، وفي مختلف أبواب المعرفة الاسلامية فقهاً وأصولاً وعقائد وأخلاقاً وفلسفة وحديثاً وغيرها من العلوم والاختصاصات الاسلامية.

وثمّة حقيقة أخرىٰ تمليها علينا طبيعة التطور الكبير في المجتمع الانساني المعاصر يجب أن نضيفها هنا، وهي ضرورة توفير شروط التجدد والحيوية في الاجتهاد مناهج وموضوعات بما يتناسب وهذا التطور الهائل، والتي من أبرزها هو عنصر التخصص العلمي، خصوصاً في مجال تنقيح الموضوعات ولحاظ الزمان والمكان عند استنباط وتحديد الحكم الإلهي في الواقعة المعينة، أو بلورة الرؤية الاسلامية في مسألة من المسائل الأساسية، والتي تستلزم عادةً تطوراً في أساليب العمل العلمي، كإنشاء اللجان التخصصية والمجامع العلمية من مجموعة العلماء والفقهاء المتخصصين، كما لا بدّ من بسط وتوسعة عملية التجديد في الاجتهاد والتفقّه العلمي لتشمل كافة أبواب المعرفة

الاسلامية واختصاصاتها، وذلك لاتّساع دائرة المواجهة والتحدّي المعاصر للاطروحة الاسلامية بمفرداتها الموضوعية والمنهجية، خصوصاً بعد انتصار الثورة الاسلامية وقيام دولة تدعو لخوض تجربة الاسلام الحضاري في المجتمع الانساني، وبروز ظاهرة التطلّع نحو الاسلام فكراً رائداً، ونظرية حياة حضارية للانسان التائه الممزّق في عصر أفول الحضارات الماديّة وانهيارها.

ونحن حين نؤكّد على التزام نهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الاجتهاد والتجديد، نرىٰ فيه السبيل الامثل بل الوحيد الذي يمكنه أن يحقق الاهداف الاساسية التالية :

الأول : الاستيعاب المستمر لكل القضايا المتجددة في الواقع الانساني أو ما يسمىٰ بمنطقة الفراغ المتغيّرة، واستنباط الحكم الاسلامي الخاص بها دون الانزلاق في مخاطر البدعة في الدين، أو الوقوع في متاهات التحريف لثوابته وضروراته.

الثاني : إبراز القيمة الحضارية والبعد الانساني الشامل للاطروحة الاسلامية في الوسط العالمي، بشكل حقيقي مستوعب تختفي فيه صور المفارقة الصارخة في الآراء والنظريات بين الاتجاهات والمدارس الاسلامية، التي كانت ولا تزال منقصة كبيرة ومأخذاً أساسياً يضرب أعداء الاسلام ـ وخصوصاً المستشرقين منهم والجهلاء من صنائعهم ـ علىٰ وتره ؛ للاجهاز علىٰ أصالة هذه الامة والقضاء علىٰ دينها الذي هو سرّ عظمتها وعامل وحدتها ونهضتها المرتقبة.

الثالث : توحيد الأمة الاسلامية « داخلياً » علىٰ مستوىٰ الرؤية الاساسية والاتجاه الشرعي في حركتها الذاتية، الذي يعني بعبارة أخرىٰ التقريب بين المذاهب الاسلامية، ومن ثم توحيد الموقف السياسي والأساسي للمسلمين من

مختلف القضايا والمسائل، التي تمثل مفاصل حركتها وسيرها نحو الهدف الذي اراده الله لها وخاطبها به في محكم كتابه الكريم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾[1].

ورائعٌ ما حدده رائد التجديد المعاصر للاطروحة الاسلامية آية الله العظمىٰ الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﷺ في جوابه عن سؤال: ما هو الهدف من حركة الاجتهاد؟ حيث قال: «وأظن أننا متّفقون علىٰ خط عريض للهدف الذي تتوخّاه حركة الاجتهاد وتتأثّر به، وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة؛ لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفاصيلها»[2].

ويبقىٰ الاساس الذي يجب أن يَحكم الاجتهاد ويُحكمه ويقرّر ضرورته ويضبطه هو قوله تعالىٰ في محكم كتابه المجيد: ﴿ وَلَوْ رَدّوهُ إلىٰ الرّسُولِ وَإلىٰ أولي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الّذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إلّا قَليلاً ﴾[3].

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) حسن الأمين، دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ج ١، باب الاجتهاد تحت عنوان: «الاتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهاد عند الشيعة».

(٣) النساء: ٨٣.

الأصل الثاني : حفظ مصلحة الإسلام العليا

درس الكثيرون سيرة أهل البيت ﷺ وتأريخهم المشرق بالفضائل والفواضل والكمالات والكرامات، وأبدعوا في إبراز دورهم الرائد في العلم والبناء والتضحية والفداء، ووقفوا كثيراً أمام حقيقة الأهداف وسرّ التنوّع في الأدوار التي اضطلع بها أئمّة أهل البيت ﷺ، إلّا أنّ القليل منهم وضع يده على السرّ الأساسي والحقيقة الجوهريّة المعبّرة عن قاسم أعظم وخطّ مشترك بين جميع هذه الأدوار، وما زخرت به من مواقف إسلاميّة كبرى، على اختلاف صورها وأشكالها، سواء أكانت في حرب أم في سلم، وسواء أكانت قولاً أم فعلاً، سلباً أم إيجاباً، صريحة كانت أم تقيّة، ألا وهي مصلحة الإسلام العليا. وهذا القليل لم يتناول من هذا السرّ وتلك الحقيقة سوى مفردات جزئيّة متفرّقة لا تعطي للصورة عظمتها وكمالها، الذي لا يتمّ إلّا بالنظرة الشموليّة المترابطة والرؤية العميقة الكاشفة. ولعلّ من أبرز هذه المحاولات النادرة، التي مهّدت وشرّعت منهج الدراسة الشموليّة التكامليّة، هي مجموعة محاضرات ومقالات الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمّد باقر الصدر ﷺ عن أدوار ومواقف أهل البيت ﷺ، التي لم يكتب لها الدوام حتّى أشواطها الأخيرة وغايتها الكبرى، فقد أبت هذه الشخصيّة الإسلاميّة الفذّة إلّا أن تترجم هذا السرّ المذكور والجوهر المزبور في مسيرة أهل البيت ﷺ الرائدة، بالصراع مع الطاغوت

والنصرة لله عزّوجلّ، من خلال التضحية بنفسها الزكيّة، من أجل مصلحة الإسلام العليا، وصلاً بتلك المسيرة العظمىٰ والسيرة الشريفة.

ونريد هنا أن نسلّط ضوءاً كلّيّاً عامّاً علىٰ هذا القاسم الأعظم والخطّ المشترك في مواقف وأدوار أئمّة أهل البيت عليهم السلام علىٰ مدىٰ التأريخ والعصور التي اكتنفتهم، ذلك هو لحاظهم أوّلاً وآخراً، وقبل كلّ شيء وبعد كلّ شيء،مصلحة الإسلام العليا، فدونها أرواحهم الطاهرة وأهل بيتهم الكرام، وأموالهم ما كثرت، وجهادهم وجهودهم ما عظمت، وهجرتهم في سبيل الله في أكناف الأرض وتخومها ما وسعت، وكظمهم الغيض وصبرهم الجميل حتّىٰ يتبيّن الحقّ من الباطل.

ان من الاهداف الاساسية والمرامي الرسالية لسبر سيرة أهل البيت عليهم السلام، واستجلاء هذا الاصل العظيم فيها، هو اعطاء مقياس مطلق في واقعه التطبيقي الامثل ؛ ليكون نبراساً ونهجاً مستقيماً لكل المسلمين الرساليين، علماء وقادة وأمة تستهديه في توحيد مواقفها، والتقريب بين مذاهبها ومشاربها، في العمل علىٰ تقوية شوكة المسلمين، واعلاء كلمة الله، وبناء أمة الاسلام الواحدة، ويتحقق فيها مصداق قوله تعالىٰ : ﴿ كنتم خير امة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1].

ولنستعرض بشكل اجمالي نماذج بارزة من مواقف بعض ائمة أهل البيت عليهم السلام، تحكي لنا هذا الاصل في سيرتهم المباركة، تاركين لمحبيهم وطلاب معرفتهم الخوض في لججهم الغامرة، والنظر في آفاقهم الواسعة ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً :

---

(١) آل عمران : ١١٠.

نماذج كبرىٰ:

الإمام علي عليه السلام ومصلحة الإسلام العليا

إن أولىٰ نماذج السيرة الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام هي سيرة الامام علي عليه السلام التي تحكي بكل وضوح وجلاء اصل حفظ مصلحة الاسلام العليا في كل مفرداتها واطوارها ومراحلها نتناولها منتخبين صوراً معبرةً منها تاركين للمحبين وطلاب المعرفة والسائرين علىٰ طريقه الالهي المستقيم النظر في الآفاق الواسعة لصورها التفصيلية الاخرىٰ.

وهذه الصور المنتخبة متوزعة علىٰ ثلاث مراحل: الاولىٰ في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، والثانية في زمن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والثالثة في زمن خلافته وحكومته عليه السلام.

أولاً: في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله

أ ـ فداء نفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله بمبيته علىٰ فراشه:

عندما رأى امير المؤمنين وامام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام أن مصلحة الاسلام العليا تتجسّد بحياة النبي صلى الله عليه وآله وانّ في سلامته سلامة الرسالة، فداه بنفسه ووضعها في موضع التضحية في سبيل تلك المصلحة العليا، وهو مطمئنّ برضا الله وقضائه، فبات في فراش الرسول عندما علم أنّ مشركي قريش قد بيّتوا قتله صلى الله عليه وآله.

وممّا ورد في ذلك انّ جبرئيل عليه السلام نزل بالآية الكريمة: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير

الماكرين﴾[١] واخبر رسول الله ﷺ بتفاصيل المؤامرة وأبلغه بأمر الله تعالىٰ له بالهجرة إلى المدينة المنورة وبجعل أخيه وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام مكانه، ومبيته علىٰ فراشه.

فأرسل ﷺ إلى علي عليه السلام يخبره بتفاصيل المؤامرة، وهبوط الأمين جبرائيل بالآية ، قائلاً له: يا علي ! انّ الروح الأمين هبط عليّ الساعة يخبرني انّ قريشاً اجتمعت علىٰ المكر بي وقتلي، وأوحىٰ إليَّ عن ربي أن اهجر دار قومي وأن انطلق إلى غار حراء في جبل ثور، تحت ليلتي هذه، وقد أمرني أن آمرك بالمبيت علىٰ فراشي وفي مضجعي، لتخفي بمبيتك عليهم اثري، فما أنت قائل ؟فقال علي عليه السلام: أوتسلمنّ بمبيتي يا رسول الله ؟ قال ﷺ: نعم، فتبسّم ضاحكاً، واهوىٰ إلى الأرض ساجداً شاكراً لله. وقال: فداك سمعي وبصري، مُرني بما شئت تجدني مطيعاً منفذاً، فقال ﷺ: فارقد علىٰ فراشي، واشتمل ببردي الحضرمي، ثم انّي اخبرك يا علي، ان الله تبارك وتعالىٰ يمتحن اولياءه علىٰ قدر ايمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاءً الانبياء، ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا ابن أمّ وامتحنني فيك، بمثل ما امتحن به خليله ابراهيم عليه السلام، والذبيح اسماعيل عليه السلام، فصبراً صبراً، فانّ رحمة الله قريب من المحسنين.

ثم ضمّه إلى صدره صلوات الله عليه وآله وبكى إليه وجداً به، وفرقاً عليه، وبكى عليّ عليه السلام جزعاً علىٰ فراقه.

وحين انتشر الظلام، أسرع المتآمرون لتطويق بيت رسول الله ﷺ للحيلولة دون خروجه، وخرج الرسول ﷺ من بين اعداء الله وهو يتلو قوله تعالىٰ: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا

---

(١) الانفال : ٣٠.

يبصرون﴾[١] فلم يشاهده أحد من المشركين، وعند طلوع الفجر اقتحم المتآمرون دار رسول الله صلى الله عليه وآله لقتله واتّجهوا لغرفته، فوثب علي عليه السلام في وجوههم فقال: ما شأنكم ؟ قالوا: أين محمّد ؟ قال: «اجعلتموني عليه رقيباً ؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم»[٢]. وفي ذلك نزلت الآية الكريمة: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾[٣] التي اشتهر بين المفسّرين وأصحاب الحديث من مختلف الفرق الاسلامية أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام ليلة مبيته علىٰ فراش الرسول صلى الله عليه وآله[٤].

ولم يكتف اميرالمؤمنين عليه السلام بفداء نفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله في مبيته علىٰ فراشه بل صبر علىٰ البقاء في مكة لينفذ وصية رسول الله بحفظ ذمّته وأداء أمانته، وكانت قريش تدعو محمداً صلى الله عليه وآله في الجاهلية الأمين وتودعه أموالها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم وجاءته النبوة والأمر كذلك، فأمر علياً أن يقيم منادياً بالأبطح غداة وعشية: ألا من كانت له قبل محمد أمانة فليأت لتؤدىٰ اليه أمانته، وقال: انهم لن يصلوا إليك بما تكرهه حتى تقدم عليّ ، فأدِّ أمانتي علىٰ أعين الناس ظاهراً، واني مستخلفك علىٰ فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما. وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أراد الهجرة معه من بني هاشم وغيرهم، وقال له: «إذا قضيت ما أمرتك فكن علىٰ أُهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وانتظر قدوم كتابي اليك ولا تلبث بعده».

ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام مع أبي واقد الليثي يأمره بالمسير اليه،

---

(١) يس: ٩.

(٢) تفسير سورة الانفال آية ٣٠ يراجع الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ٩: ٨٠ البحث الروائي.

(٣) البقرة : ٢٠٧.

(٤) راجع: شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٩٦.

وكان قد ادّى أماناته وفعل ما أوصاه به، فلما أتاه الكتاب ابتاع ركائب وتهيّأ للخروج، وأمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوىٰ، وخرج علي عليه السلام بالفواطم: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وتبعهم أيمن ابن أُم أيمن مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبو واقد الليثي، فجعل أبو واقد يسوق الرواحل سوقاً حثيثاً، فقال علي عليه السلام: ارفق بالنسوة يا أبا واقد، انهن من الضعائف، ثم جعل علي يسوقهن سوقاً رفيقاً.

فلمّا قارب ضجنان ادركه الطلب ؛ وهم ثمانية فرسان ملثمون معهم مولى لحرب بن امية اسمه جناح، فقال علي عليه السلام لأيمن وأبي واقد: أنيخا الإبل واعقلاها، وتقدم فأنزل النسوة، ودنا القوم، فاستقبلهم علي عليه السلام منتضياً سيفه، فقالوا: ظننت انك يا غدار ناجٍ بالنسوة، ارجع لا أباً لك. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعنّ راغماً أو لنرجعن بأكثرك شَعراً، وأهون بك من هالك، ودنَوْا من المطايا ليثوروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ عن ضربته، وضرب جناحاً علىٰ عاتقه فقده نصفين حتى وصل السيف إلى كتف فرسه والظاهر ان جناحاً لما اهوى له بالسيف انحنىٰ، لأن الفارس لا يمكنه أن يضرب الراجل إلّا وهو منحنٍ، فضربه عليّ وهو منحنٍ علىٰ عاتقه، ولو لم يكن منحياً لم تصل ضربته إلى عاتقه، وشدّ علىٰ أصحابه وهو علىٰ قدميه شدة ضيغم وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد   آليت لا اعبد غير الواحد

فتفرق القوم عنه، وقالوا: احبس نفسك عنّا يابن ابي طالب، قال: فإني منطلق إلى أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن سره أن أفري لحمه وأُريق دمه فليدنُ مني، ثم أقبل علىٰ أيمن وأبي واقد وقال لهما: أطلقا مطاياكما، ثم سار

ظافراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فلبث بها يومه وليلته، والحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين منهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وبات ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلّون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلى بهم صلاة الفجر، ثم سار لا يفتر عن ذكر الله هو ومن معه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالىٰ: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ ﴿فاستجاب لهم ربهم اني لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أُنثىٰ بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأُكفرنّ عنهم سيّئاتهم ولأُدخلنّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب[1]﴾[2].

ب ـ ذبّه عن رسول الله ﷺ في الحروب والمعارك:

كان شأن اميرالمؤمنين عليه السلام وديدنه حماية الرسول ﷺ عند الحروب والمعارك التي خاضها تحت قيادته، فكان ظلّاً له لا يفارقه فيها ولا يألو جهداً في القتال دونه والذّب عنه مهما كانت العواقب واشتدَّت الفتن، حتى قالت فاطمة الزهراء عليها السلام في حقّه: «وبعد أن مني ببُهَمِ الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه (علي بن أبي طالب عليه السلام) في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في اولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، لا تأخذه في

---

(١) آل عمران: ١٩١ و ١٩٥.

(٢) اعيان الشيعة ١: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، طبعة دار التعارف، الطبعة الخامسة، بيروت.

الله لومة لائم...».

ففي معركة بدر كان عدد المسلمين يساوي ثلث جيش عدوّهم ولم تكن العدة لدى المسلمين ذات بال، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه.

حتى إذا اضطرمت نار الفتنة تقدم علي عليه السلام وكان يحمل لواء الرسول صلى الله عليه وآله[١] فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربّهم طلباً للنصر، فاستجاب لهم وأمدّهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل نحو نصف عددهم بسيف علي عليه السلام[٢].

وفي معركة أُحد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطىٰ لواء المهاجرين لعلي عليه السلام ولمّا اشتبك الطرفان كان النصر ابتداءً للمسلمين، بيد أن حماة جبل أُحد الذين أمرهم الرسول بعدم مفارقته تركوا اماكنهم بعد فرار المشركين طمعاً في الغنائم والمتاع، فصعدت احدىٰ فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل فتغيّر الموقف لصالح المشركين وسقط الكثير من المسلمين شهداء وأُصيب الرسول صلى الله عليه وآله بجروح في وجهه الكريم وكسرت رباعيته، وحيث لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير علي عليه السلام وأبي دجانة وسهل بن حنيف، استبسل علي عليه السلام كعادته في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبيضة الاسلام، وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد آخر، وكانوا تسعة رجال، ثمانية من بني عبد الدار وتاسعهم عبدهم[٣] فرعب الأعداء وولّوا

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف ٢: ٩١ و ٩٤. مستدرك الصحيحين ٣: ١١١، ابن سعد في الطبقات ٣: ١٥.
(٢) الواقدي، المغازي ١: ١٥٢.
(٣) تاريخ الطبري ٣: ١٧. احمد بن حنبل في الفضائل. ابن هشام، السيرة النبوية ٣: ١٣٤. محمد حسن المظفر، دلائل الصدق ٢: ٣٥٧. السيد الصدر، حياة امير المؤمنين: ٢٣٦ وما بعدها، المفيد، الارشاد: ٥٢.

هاربين.

وفي غزوة الأحزاب طوّقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين بشتى فصائلهم، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله ﷺ وانضموا إلى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أي مبلغ، وقد وصف القرآن الكريم هذه الحالة في قوله: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذْ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾[1].

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ودّ العامري ـ أحد ابطال المشركين ـ الخندق الذي حفره المسلمون مع بعض رجاله فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم، وراح ابن عبد ودّ يصول ويجول، ويتوعّد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته، ويستعلي وينادي: هل من مبارز؟ فقام علي عليه السلام وقال: **أنا له يا رسول الله.** قال رسول الله ﷺ: **اجلس انه عمرو!** وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبّخ المسلمين، ويسخر منهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنّ من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً ؟

ولمّا لم يجبه أحد من المسلمين، كرر علي عليه السلام طلبه: **أنا له يا رسول الله،** فقال ﷺ: **اجلس انه عمرو!** فأبدى عليّ عدم اكتراثه بعمرو وغيره، قائلاً: **وإن كان عمراً!!** فأذِن رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته، ثم قال ﷺ: «**اللّهم هذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين**»[2].

ومضى علي عليه السلام إلى الميدان. وخاطب ابن عبد ود بقوله: **يا عمرو انك**

---

(١) الاحزاب: ١٠.

(٢) دحلان، السيرة النبوية ٢: ١١١، غزوة الخندق.

كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى احدى خلّتين إلّا قبلتها. قال عمرو: أجل. فقال علي عليه السلام: فاني ادعوك إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلى الاسلام. فقال: لا حاجة لي بذلك. قال له الامام: فإني ادعوك إلى البراز، فقال عمرو: اني اكره أن اهريق دمك، أن أباك كان صديقاً لي.

فردّ عليه الامام عليه السلام قائلاً: لكني ـ والله ـ أُحبّ أن اقتلك، فغضب عمرو، وبدأ الهجوم على علي عليه السلام فصده الامام برباطة جأشه المعتادة، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير والتهليل في صفوف المسلمين[1]. ولما عاد الامام عليه السلام ظافراً استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول:

«لَمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق افضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة»[2].

وبعد مقتل ابن عبد ود، بادر علي عليه السلام إلى سد الثغرة التي عبر منها عمرو ورجاله ورابط عندها[3] مزمعاً القضاء على كل من تسوّل له نفسه التسلّل من المشركين، ولولا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل.

وهكذا كان عليّ عليه السلام في غزوة الأحزاب أهم عناصر حفظ بيضة الاسلام وتحقيق النصر للمعسكر الاسلامي، وانهزام المشركين.

وفي غزوة خيبر عجز عليّة القوم عن الثبات امام اليهود، ولمّا بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب اللّهَ ورسوله ويحبه اللّهُ ورسوله، كراراً غير

---

(١) دحلان، السيرة النبوية ٢: ١١٢. الحاكم، مستدرك الصحيحين ٣: ٣٤.
(٢) الحاكم، مستدرك الصحيحين ٣: ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣: ١٩.
(٣) المفيد، الارشاد: ٥٨. دحلان، السيرة النبوية ٢: ١١٢.

فرار، لا يرجع حتى يفتح الله علىٰ يديه»[١].

ولمّا كان الغد أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة، وقتل بطلهم مرحباً، ثم فتح الحصون جميعاً.

وفي غزوة حنين فرّ المسلمون فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله غير علي عليه السلام والعباس وبعض بني هاشم[٢] فكان النصر، بعد عودة المسلمين إلى ميدان القتال لمّا سمعوا نداء الرسول صلى الله عليه وآله ونداء العباس بن عبد المطلب، وكان الظفر.

هذه نماذج من المواقف التي سجّلها الامام علي عليه السلام بين يدي قائده رسول الله صلى الله عليه وآله في أدق الساعات واكثرها حرجاً[٣]، كانت تحكي تضحيته وتفانيه بلا حدود في سبيل حفظ بيضة الاسلام وتحقيق مصلحته العليا. وممّا يؤكد ذلك أن عليّاً عليه السلام كان قد اشترك في حروب رسول الله جميعاً غير تبوك[٤]، وكان ذلك بأمر خاصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله لمصلحة اسلامية كان يراها تمثلت في التحرز من خطر كان يخشاه من المنافقين الذين تخلّفوا في المدينة.

وممّا ورد في ذلك ان الله أوحىٰ إلى نبيه صلى الله عليه وآله أن يسير إلى غزوة تبوك بنفسه ويستنفر الناس للخروج معه، ويختبرهم ليتميزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم.

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف ٢: ٩٣ و ٩٤ عن ابي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه. النسائي، خصائص علي بن ابي طالب: ٩ وما بعدها وفي الاصابة والاستيعاب وحلية الاولياء ومسلم في صحيحه بالفاظ متقاربة.

(٢) محسن الأمين، سيرة الرسول ١ : ٢٧٩ نقلاً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف. وتفسيرالميزان للطباطبائي ١٠، تفسير آية ٢٥ من التوبة والبحث الروائي. المفيد، الارشاد : ٧٤.

(٣) للاستزادة يراجع كتاب الامام علي لعبد الفتاح عبد المقصود. واعيان الشيعة لمحسن الأمين ١: ٧٩ بألفاظ متشابهة. والارشاد للمفيد. سيرة ابن هشام. والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٤٤ بالفاظ متشابهة.

(٤) راجع انساب الأشراف للبلاذري ٢: ٩٢. مستدرك الصحيحين ٣: ١١١. ابن سعد في طبقاته ٣: ١٠. ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣: ٤٧٥. ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ٣٩. للمزيد راجع الفضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢: ٣٠٩.

فاستنفرهم النبي صلى الله عليه وآله إلى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتدّ القيظ عليهم، فأبطأ اكثرهم عن طاعته رغبةً في العاجل، وحرصاً علىٰ المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدّة القيظ وبُعْد المسافة، ولقاء العدوّ، ثم نهض بعضهم علىٰ استثقال للنهوض، وتخلّف آخرون.

ولمّا أراد النبي صلى الله عليه وآله الخروج استخلف اميرالمؤمنين في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: يا عليّ! انّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك.

وذلك أنه صلى الله عليه وآله علم خبث نيّات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق ان يطلبوا المدينة عند نأيه عنها في بلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه، لم يؤمن من معرّتهم، وايقاع الفساد في دار الهجرة، والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلّفيه.

وعلم صلى الله عليه وآله أنه لا يقوم مقامه في ارهاب العدوّ، وحراسة دار الهجرة، وحياطة من فيها إلّا امير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونصّ عليه بالإمامة من بعده نصّاً جليّاً.

وذلك فيما تأكد من الرواية انّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا انّها تتحصن به، ولا يكون فيها للعدو مطمع، فساءهم ذلك، وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي رسول الله صلى الله عليه وآله عن المدينة، وخلوّها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه عليه السلام علىٰ الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلّف من خرج منهم المشاقّ بالسفر والخطر.

فأرجفوا به عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه رسول الله إكراماً له، وإجلالاً ومودّة، وإنّما خلفه استثقالاً له. فبهتوا بهذا الارجاف كبهت قريش للنبي صلى الله عليه وآله بالجِنّة تارة،

وبالشِّعر أُخرىٰ، وبالسحر مرّة، وبالكهانة أُخرىٰ. وهم يعلمون ضدّ ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضدّ ما أرجفوا به علىٰ امير المؤمنين عليه السلام وخلافه، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان أخصّ الناس بأمير المؤمنين عليه السلام، وكان هو أحبَّ الناس اليه، وأسعدهم عنده، وأفضلهم لديه.

فلمّا بلغ اميرالمؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، ان المنافقين يزعمون انّك خلفتني استثقالاً ومقتاً! فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي، ودار هجرتي، وقومي؛ أما ترضى ان تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبيّ بعدي[١].

ثانياً: في زمن الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله

لما توفيّ رسول الله صلى الله عليه وآله بدأت الفتن تظهر كقطع الليل المظلم كما تنبّأ بها صلى الله عليه وآله في قوله عند مرضه الذي قضىٰ به: «... أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرُها...»[٢] انشغل علي وأهل بيته عليهم السلام بتجهيز النبي الكريم صلى الله عليه وآله حيث بقي جثمانه الطاهر ثلاثة أيّام دون دفن ليتسنىٰ للمسلمين توديعه والصلاة عليه[٣].

ولقد استجدّت أمور وأحداث خطيرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله تهدد بيضة الاسلام وأمّته بالفناء؛ فقد ظهر المتنبئون وقوي أمرهم واشتد خطرهم في الجزيرة العربية من أمثال: مسيلمة الكذاب، وطلحة بن خويلد الأفّاك، وسجاح

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ٨١ ـ ٨٤.
(٢) اخرجه النسائي، سنن النسائي ٤: ٩٣، وابو داود، وابن ماجة.
(٣) تاريخ ابن كثير ٥: ٢٧١. تاريخ ابي الفداء ١: ١٥٢، وراجع الغدير للاميني ٧: ٧٥.

بنت الحرث الدجّالة، وغيرهم، وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقيّاً علىٰ الدولة الاسلامية.

واشتدّ ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد[١]، كما ظهرت علىٰ السطح الاجتماعي تكتّلات وتحزّبات بين المسلمين. وبرغم أن اميرالمؤمنين عليه السلام، في ظاهره اعتزل الناس وما هم فيه ستة شهور، ولم يسمع له صوت في حروب الردة ولا سواها[٢]، إلّا أنه عليه السلام كان يرقب ما يحدث ويترصّد الاوضاع بكلّ دقّة ويرسم موقفه الرسالي المطلوب علىٰ ضوء ما تقتضيه مصلحة الاسلام العليا، ومن أهم مواقفه التي جسّدت ذلك في تلك الفترة العصيبة من تاريخ الاسلام وامته الفتية هي:

١ ـ موقفه من حقه في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث وجد أن مصلحة الاسلام العليا تقتضي تقديم الأهم الممكن علىٰ غيره، حفظاً للاسلام وحماية لدعوته وأُمّته من التمزّق والضياع أمام قوىٰ الكفر والشرك والنفاق التي علا لها صوت وتربّصت الدوائر بالاسلام ـ كما ذكرنا ـ في داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ولقد أبلغ الامام علي عليه السلام في بيان هذا الموقف قائلاً: «**فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت ان لم أنصر الاسلام وأهله أن أرىٰ فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه**»[٣].

---

(١) السيد شرف الدين، المراجعات: ٣٠٢.

(٢) المظفر، السقيفة: ١٦٠، ط. ٤، بيروت، ١٩٧٣.

(٣) من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولّاه امارتها. راجع نهج البلاغة.

٢ ـ العمل فوراً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله في حفظ القرآن الكريم بجمعه وتدوينه كما أنزله الله تعالىٰ، فما برح عاكفاً علىٰ ذلك حتىٰ انتهىٰ من جمع القرآن الكريم وتدوينه في صحائف من الجلد.

ففي أخبار أبي رافع: «ان النبي قال في مرضه الذي توفّي فيه لعلي: يا علي! هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه عليّ في ثوب، فمضىٰ إلى منزله، فلمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله جلس عليّ فألّفه كما أنزله الله، وكان به عالماً»[١].

وذكر أبو نعيم في الحلية والخطيب في الأربعين بالإسناد عن السدي عن عبد خير عن علي عليه السلام قال: «لمّا قبض رسول الله أقسمتُ (أو حلفت) ألّا أضع ردائي عن ظهري حتىٰ أجمع ما بين اللّوحين، فما وضعت ردائي حتّىٰ جمعت القرآن »[٢].

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام أن علي عليه السلام آلىٰ ألّا يضع رداءه علىٰ عاتقه إلّا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه. فانقطع عنهم مدّة إلى أن جمعه، ثم خرج اليهم به في ازار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع... فقالوا: الأمر ما جاء به أبو الحسن، فلمّا توسطهم وضع الكتاب بينهم.

٣ ـ قيامه بدور المرشد والمشير في مسائل الحكم الاسلامي إبّان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وذلك تحقيقاً لمصلحة الاسلام العليا في تقويم مسيرته ودفعاً للخطر والتحريف عنه وعن أُمّته ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وقد استثمر عليه السلام حاجة الخلفاء الثلاثة للمشورة في ملتبسات الأُمور.

ومن نماذج هذا الدور الرسالي الكبير الذي اضطلع به اميرالمؤمنين عليه السلام التي نقلتها لنا كتب السيرة والتاريخ ما يلي:

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٤١، البحار للمجلسي ٨٩: ٥١ ـ ٥٢.
(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٤١، البحار للمجلسي ٨٩: ٥٢.

أ ـ عندما فكّر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخّروا، ولم يقطعوا برأي، فاستشار عليّاً عليه السلام في الأمر فقال: **إن فعلتَ ظفرت.** فقال أبو بكر: بشرت بخير. وأمر أبو بكر الناس بالخروج بعد أن أمّر عليهم خالد ابن سعيد[1].

ب ـ وعندما أراد أبو بكر أن يقيم الحد علىٰ شارب خمر. فقال الرجل: إني شربتها ولا علم لي بتحريمها، فأرسل إلى الامام يسأله عن ذلك فقال عليه السلام: **«مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به علىٰ مجالس المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فان شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك، فاستتبه وخلِّ سبيله»**. وكان الرجل صادقاً في مقاله فخلّى سبيله[2].

ج ـ وعندما قدم جاثليق النصارى يصحبه مائة من قومه، فسأل أبا بكر اسئلة، فدعا عليّاً عليه السلام فأجابه عنها، ونكتفي منها نموذجاً بسؤال واحد من اسئلة الجاثليق: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالىٰ.

فدعا علي عليه السلام بنار وحطب، واضرمه، فلما اشتعلت قال: **أين وجه هذه النار؟** قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها، فقال علي عليه السلام: **«هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى علىٰ ربنا خافية»**[3].

د ـ وعندما أرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميتة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١١١.
(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابي طالب ٢: ٣٥٦.
(٣) علي والخلفاء: ٦٠، التستري، قضاء امير المؤمنين، ط. مؤسسة الاعلمي (بيروت): ٨٦

والدم، ويشهد بما لايرىٰ، ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علياً عليه السلام فقال: «هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وانما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حق»[١].

هـ ـ وحين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الامام عليه السلام في الأمر، فنصحه الامام بأنْ لا يقود الجيش بنفسه مبيناً علّة ذلك قائلاً:

«فابعث اليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فان اظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رِدءاً للناس، ومثابة للمسلمين»[٢].

و ـ وعندما ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير ـ من البحرين ـ فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والانصار واستفتاهم بأمره قائلاً: «ما ترون في فضلٍ، فضل عندنا من هذا المال ؟ قالوا: يا اميرالمؤمنين انا شغلناك بولاية امورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهو لك. فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت ؟ قال الامام عليه السلام: قد اشاروا عليك. قال الخليفة: فقل أنت. قال عليه السلام: لِمَ تجعل يقينك ظناً؟» ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. واخيراً اشار عليه الامام عليه السلام توزيعه علىٰ الفقراء، قائلاً: «أشير عليك ألّا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضّه علىٰ فقراء المسلمين». فقال عمر: صدقت والله[٣].

ز ـ وعن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ان ترك هذا

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابي طالب ٢: ٣٥٨.
(٢) راجع نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤، احفز: أمر من الحفز، وهو الدفع والسوق الشديد.
(٣) نجم الدين العسكري، علي والخلفاء: ٨٣ احمد بن حنبل في مسنده ١: ٩٤. كنز العمال ٤: ٣٩ وغيرهم.

المال في جوف الكعبة لآخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير، وعلي بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب؟ بالله لئن شجعتني عليه لأفعلنّ. فقال علي: أتجعله فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان[١]. فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلي الكعبة.

ح ـ وورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلةً رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: أرأيتم ان إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟ قالوا: انما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب: «ليس ذلك لك، اذن يقام عليك الحد، ان الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء» ثم أن عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأولى، وقال علي عليه السلام مثل مقالته، فأخذ عمر بقول الامام[٢].

ط ـ وبعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب إلى اميرالمؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر. فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر.

فقال علي عليه السلام: مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فاذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى، كذا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه وآله، وصدقت أنت يا أبا الحسن، ثم كتب إلى

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال ٧: ١٤٧. صحيح البخاري ١٩: ٧٢٧. نجم الدين العسكري، علي والخلفاء: ٨٧.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال ٣: ٩٦. الفتوحات الاسلامية ٢: ٤٨٢، راجع علي والخلفاء: ٩٨.

أبي عبيدة بالذي أشار به علي عليه السلام[١].

ي ـ وبعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سواد الكوفة. فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور علياً عليه السلام في الأمر، فقال عليه السلام: **ان قسّمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا**. فقال عمر لعلي: وفقك الله، هذا الرأي[٢].

ك ـ وعن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب: قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟

فقال علي عليه السلام: **من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك أرض الشرك**، ففعله عمر[٣]. وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الامام علي عليه السلام الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

ل ـ وعندما أُتي إلى عثمان بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهمّ برجمها، فقال علي عليه السلام: **«إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك ان الله تعالىٰ يقول: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ ثم قال: ﴿والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ؛ فحولين مدة الرضاع، وستة أشهر مدة الحمل»**. فقال عثمان: ردّوها ـ أي لا ترجموها[٤] ـ

---

(١) نجم الدين العسكري، علي والخلفاء: ١٣٣.

(٢) علي والخلفاء: ٢٣٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٥٣ وفي تاريخ اليعقوبي مثله. وكنز العمال ومستدرك الحاكم، والكامل في التاريخ لابن الاثير. راجع علي والخلفاء: ٢٤٠.

(٤) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابي طالب ٢: ٣٧١. ابن كثير في تفسيره ٤: ٥٧. البيهقي في سننه ٧: ٤٤٢.

ثالثاً: في مرحلة خلافته وحكومته للمسلمين

تواصل نهج اميرالمؤمنين عليه السلام في حفظ مصلحة الاسلام العليا بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان وتوليه خلافة المسلمين، ولم تزده المتغيرات الحادّة في الوضع السياسي والفتن والحروب التي استعر أُوارُها في زمن خلافته إلّا ثباتاً ورسوخاً في التزام هذا الأصل الاسلامي الذي عاهد الله ورسوله علىٰ حفظه والدفاع عنه مهما كانت المحن والفتن، ومن ابرز مصاديق هذا النهج النماذج التالية:

أ ـ عندما اجمعت الأمة علىٰ بيعة اميرالمؤمنين عليه السلام خليفةً للمسلمين، لم يندفع معهم في ذلك وقال لهم: «**دعوني والتمسوا غيري، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكّرت... وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعليّ اسمعكم واطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم مني أميراً**»[1]. لانه رأى ان المصلحة الاسلامية العليا تقتضي أن يجعل بيعة الامة له عن وعيٍ كامل وارادةٍ حقيقية لا عن عاطفة وانسياق مع ردود الفعل والجو الجمعي الذي تمثل بالنقمة علىٰ عثمان وانتهىٰ بقتله، والذي لا يلبث عادةً أن ينحسر ويتراجع، خصوصاً وأنه عليه السلام لا يرىٰ لنفسه غير خلافةٍ رسالية يقيم فيها الحق ويبطل الباطل، ولقد قالها لابن عباس عندما دخل عليه بذي قار وهو يخصف نعله: «**ما قيمة هذا النعل؟ فقال له ابن عباس: لا قيمة لها! فقال عليه السلام: والله لهي أحَبّ إليّ من امرتكم، إلّا أن أُقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً**»[2]. وعند اصرار الأُمة علىٰ بيعته اعلن شرطه لقبول الخلافة في

---

(١) نهج البلاغة: نص رقم ٩٢.

(٢) نهج البلاغة: من الخطبة ٣٣.

قوله عليه السلام: «واعلموا أني ان اجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم اصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب»[١].

ب ـ كانت أُولىٰ خطوات اميرالمؤمنين عليه السلام علىٰ هـذا النـهج بـعد تـوليه خلافة المسلمين هي ترسيخ مبادئ التنزيل وبيان تأويله وحفظ سـنة رسـول الله صلى الله عليه وآله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. فأعلن ابتداءً عن المـواصـفات الاسـلامية المطلوبة في ولاة الامور والعمال في قوله عليه السلام: «... أنه لا ينبغي أن يكون الوالي علىٰ الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البـخيل، فـتكون في اموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسُّنة فيهلك الأُمّة»[٢].

وبذلك ثبّت امير المؤمنين عليه السلام الأُسس الاسلامية الخالدة في بناء جـهاز الحكومة الاسلامية وفق شروط العلم والعدالة والكفاءة، لتكون قـانوناً رائـداً وشرعةً دائمة للمسلمين، بل لكل الانسانية التوّاقة إلى اقامة العدل والقسط في الحياة. ولم يتوانَ عن تطبيق هذه الاسس في تعيين ولاته وعمّاله، فـعمد إلى عزل من لا تتوفر فيهم هذه الشروط وإحلال من يتّصف بها محلّهم، ولم تثنه عن عزمه هذا كل محاولات الضغط والصد ؛ وقد كان من ابرزها ما روي عن ابن عباس أنه قال: «أتيتُ عليّاً بعد قتل عثمان عند عودي من مكة فوجدتُ المغيرة بن شعبة مستخلياً به، فخرج من عنده، فقلت له: ما قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرته هذه: ان لك حقّ الطاعة والنصيحة، وأنت بقية النـاس، وإن الرأي اليـوم تحرز به ما في غد، وان الضياع اليوم يضيع به ما في غد، اقرر معاوية وابن عامر

(١) نهج البلاغة: نص رقم ٩٢.
(٢) نهج البلاغة: نص رقم ١٣١.

وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من شئت، فأبيتُ عليه ذلك وقلت: لا أداهن في ديني ولا اعطي الدنيّة في أمري. قال: فان كنت أبيت عليّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإن في معاوية جرأة، وهو في أهل الشام يُستمع منه، ولك حجة في اثباته، فقلت: لا والله لا استعمل معاوية يومين! ثم انصرف من عندي وأنا اعرف فيه أنه يودّ أني مخطئ، ثمّ عاد إليّ الآن فقال: اني اشرت عليك أول مرة بالذي اشرتُ وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى اللّهُ وهم أهون شوكة مما كان...

قال ابن عباس: فقلت لعليّ: يا اميرالمؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحرب خدعة؟ فقال: بلى. فقلت: أما والله لئن اطعتني لأصدرنهم بعد ورد، ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا إثم لك، فقال: يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء. قال ابن عباس: فقلت له: اطعني والحق بما لك بينبع واغلق بابك عليك، فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحمّلنك الناس دم عثمان غداً. فأبى علي فقال: تشير عليَّ وأرى، فإذا عصيتك فأطعني. قال: فقلت: افعل، ان أيسر ما لك عندي الطاعة. فقال له عليّ: تسير إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية رجل من بني اميّة... ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان، وان ادنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم عليّ لقرابتي منك، وإن كل ما حُمل عليك حمل عليَّ، ولكن اكتب إلى معاوية فمنّه وعده، فقال: لا والله، لا كان هذا أبداً!»[1].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣: ١٩٧ ـ ١٩٨.

ج ـ وهكذا كانت مصلحة الاسلام العليا هي المعيار الحاسم في ادارته لبيت مال المسلمين وتحقيق العدل والمساواة في العطاء ومراقبة ولاته وعمّاله وتوجيههم في طريقة ادائهم لوظائفهم الرسالية المناطة بهم، ولم تأخذه في الله لومة لائم وهو يحق الحق ويدفع الباطل في ذلك.

ومن أول وابرز خطواته لحفظ مصلحة الاسلام العليا في بيت مال المسلمين هو اعادة حق الله وحقوق المسلمين التي كانت قد أُخذت جوراً أو اغتُصبت ظلماً إلى بيت المال. وقد حاول المتضررون بذلك أن يثنوا اميرالمؤمنين عليه السلام عن خطواته هذه فأرسلوا اليه الوليد بن عقبة بن أبي معيط مندوباً عنهم للتفاوض معه عليه السلام، فجاء اليه وقال: «يا أبا الحسن انك قد وترتنا جميعاً.... ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم علىٰ أن تضع عنّا ما اصبناه من المال،... وانا ان خفناك تركناك فالتحقنا بالشام.

فردّ عليهم: أما ما ذكرتم من وتري اياكم، فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما اصبتم، فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم»[١].

وعندما بادر اميرالمؤمنين عليه السلام إلى رد ما اقتُطع علىٰ المسلمين قطع القوم املهم في ابقاء ما كان بحوزتهم من أموال المسلمين خصوصاً عندما أعلن الامام عليه السلام قراره الشهير الذي قال فيه: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء، لرددته، فان في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق»[٢].

ومن النماذج الرائعة في تحقيق العدل والمساواة في العطاء ما رواه ابراهيم الثقفي قائلاً: «انّ طائفة من اصحاب علي عليه السلام مشوا اليه فقالوا: يا

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٧: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) نهج البلاغة، نص رقم ١٥.

اميرالمؤمنين ! اعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش علىٰ الموالي والعجم ومن تخاف خلافه من الناس وفراره.

فقال: أتأمروني أن اطلب النصر بالجور ؟ والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم، فكيف وانّما هي أموالهم.»[١].

وقال أيضاً: «إن امرأتين أتتا عليّاً عليه السلام عند القسمة ؛ احداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكرّاً من الطعام، فقالت العربية: يا اميرالمؤمنين، اني امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم! فقال علي عليه السلام: إني والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلاً علىٰ بني اسحاق»[٢].

ولم يستثن عليه السلام في العدل أحداً حتى من كان ذا فاقة من أهل بيته، فقد روى مسلم صاحب الحنا قائلاً: «لما فرغ علي عليه السلام من أهل الجمل أتىٰ الكوفة، ودخل بيت المال، ثم قال: يا مال غرَّ غيري. ثم قسّمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين عليهما السلام فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا اميرالمؤمنين ان لها فيه حقاً، قال عليه السلام: إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء»[٣].

وروىٰ هارون بن سعيد انّ عبد الله بن جعفر بن ابي طالب قد قال له: يا اميرالمؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة، فو الله ما لي نفقة إلّا أن أبيع دابّتي !! فقال الامام عليه السلام: «لا والله ما اجد لك شيئاً إلّا أن تأمر عمّك أن يسرق

---

(١) الثقفي (المتوفىٰ عام ٢٨٣ هـ)، كتاب الغارات ١: ٧٥.
(٢) الثقفي، الغارات ١: ٧٠.
(٣) البلاذري، انساب الأشراف ٢: ١٣٢.

فيعطيك»[١].

وروي أيضاً أن أخاه عقيلاً ـ وكان ضريراً ـ جاءه يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين ـ زيادة علىٰ حقّه ـ وظل يكرر طلبه علىٰ علي عليه السلام، فما كان من الامام اميرالمؤمنين إلّا وأحمى له حديدة علىٰ النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل، ثم وعظه: «يا عقيل أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه؟ أتئن من الأذى ولا أئن من لظىٰ»[٢].

أما النماذج الفريدة في مراقبة ولاته وعمّاله وقادة جيوشه وردعهم عن الباطل وارشادهم وتوجيههم نحو الحق والعدل والصواب؛ فمنها ما روي أنه عليه السلام بلغه أن عثمان بن حنيف واليه علىٰ البصرة كان قد دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضىٰ اليها، فأرسل اليه اميرالمؤمنين كتاباً تأديبياً جاء فيه: «أما بعد، يا ابن حنيف: فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل اليك الجفان. وما ظننت انك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفوّ، وغنيهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإن لكل مأموم اماماً، يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وان امامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون علىٰ ذلك، ولكن اعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد»[٣].

وكتب إلى مصقلة الشيباني عامله علىٰ «اردشير خرّة» مهدداً ومتوعداً ان هو اختار الباطل علىٰ الحق قائلاً: «بلغني عنك أمر ان كنت فعلته فقد أسخطت

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢: ٢٠٠.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.
(٣) نهج البلاغة، رسالة رقم ٤٥.

إلٰهك، وعصيت امامك: انك تقسم فَيْءَ المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأُريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من اعراب قومك. فو الذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً، ولتخفّنّ عندي ميزاناً. فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين اعمالاً»[١].

وكتب إلى بعض عماله يحاسبه قائلاً: «أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد اسخطت ربك، وعصيت امامك، واخزيت امانتك. بلغني انك جرَّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع اليّ حسابك، واعلم انّ حساب الله أعظم من حساب الناس»[٢].

وفي بعض وصاياه عليه السلام لجيوشه قال: «لا تقاتلوهم حتىٰ يبدأوكم، فإنكم ـ بحمد الله ـ علىٰ حجة، وترككم إيّاهم حتى يبدأوكم حجة أخرىٰ لكم عليهم. فاذا كانت الهزيمة باذن الله، فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً[٣]، ولا تجهزوا علىٰ جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن اعراضكم، وسببن امراءكم»[٤].

وكتب إلى امرائه علىٰ الجيش قائلاً: «مِنْ عبدِ الله عليّ بن ابي طالب امير المؤمنين إلى اصحاب المسالح: أما بعد، فإنّ حقّاً علىٰ الوالي ألّا يغيّره علىٰ رعيته فضلٌ ناله، ولا طول خُصّ به، وأن يزيدهُ ما قسم الله له من نعمة دنوّاً من عباده، وعطفاً علىٰ اخوانه.

ألا وإنّ لكم عندي ألّا احتجز دونكم سرّاً إلّا في حرب، ولا أطوي دونكم امراً إلّا في حكم، ولا أُوخر لكم حقّاً عن محلّه، ولا اقف به دون مقطعه، وان

---

(١) نهج البلاغة، رسالة رقم ٤٣.

(٢) نهج البلاغة، رسالة رقم ٤٠.

(٣) المعور: الذي عجز عن حماية نفسه اثناء الحرب.

(٤) نهج البلاغة، الوصية رقم ١٤.

تكونوا عندي في الحق سواءً، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة، وألّا تنكصوا عن دعوةٍ، ولا تفرّطوا في صلاحٍ، وان تخوضوا الغمرات إلى الحق، فان أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحدٌ أهون عليّ ممّن اعوجّ منكم، ثم أُعظم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من امرائكم، واعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم. والسلام»[1].

وهكذا امتلأت سيرة اميرالمؤمنين عليه السلام بمثل هذه المواقف الرائدة التي تحكي لنا اتخاذه مصلحة الاسلام العليا فيصلاً في خلافته وشؤونه الرسالية.

(١) نهج البلاغة، كتاب رقم ٥٠.

فاطمة الزهراء عليها السلام ومصلحة الاسلام العليا

إن ثاني نماذج السيرة الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام، التي تكشف لنا اللحاظ الامثل لمصلحة الاسلام العليا، هو سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوجة وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، التي حكت هذا الاصل بكل وضوح وجلاء في كل مفردات حياتها، ومراحل واطوار سيرتها المباركة، وقد مهّد رسول الله صلى الله عليه وآله لها الارضية المناسبة لذلك، من خلال التعريف بمقامها، وبيان موقعها الفريد منه صلى الله عليه وآله، وتوجيه الامة نحوها، والوصية بحفظ مكانتها والتصديق بها ؛ لأنها الصادقة المحدّثة، وخفض الجناح لها، ورعاية شأنها، ووردت روايات كثيرة من الفريقين تكشف لنا عن كل ذلك باعلىٰ مستويات الخطاب ودرجات البيان، منها :

عن ابن عباس قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **وإنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار** »[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **فاطمة بضعة مني ؛ من سرَّها فقد سرَّني، ومن ساءها فقد ساءني. فاطمة أعز الناس عليَّ** »[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أول شخص يدخل الجنّة فاطمة** »[3].

كما أن امتثال رسول الله صلى الله عليه وآله لامر الله تعالىٰ في تزويجها من امير

---

(١) فضائل الخمسة ٣: ١٥٥.

(٢) البحار ٤٣: ٢٣، ح١٧.

(٣) فضائل الخمسة ٣: ٢٠٤.

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جـاء ليـؤكد المـقام الرفـيع لهـا عليها السلام، والدور الرسالي العظيم الذي ينتظرها إلى جوار علي عليه السلام. ذلك الدور الذي مـثّل بـحق تفانياً كاملاً في مصلحة الاسلام العليا، وتضحية وعطاءً لا حـد له فـي سـبيل الحفاظ علىٰ تلك المصلحة، ودرء الخطر والانحراف عن رسالة أبيها محمد صلى الله عليه وآله.

ومما جاء في شأن اختيارها زوجة لامير المـؤمنين عـلي عليه السلام مـا عـن علي عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال: يا محمد، إن اللّه يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني قد زوّجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الاعلىٰ، فزوّجها منه في الارض»[1].

وقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إن اللّه أمرني أن ازوّج فاطمة من علي»[2].

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: «إن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: يا علي، إن اللّـه أمرني أن اتخذك صهراً»[3].

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «إنما فاطمة بضعة مني، يـؤذيني مـا آذاهـا، وينصبني ما أنصبها»[4].

وقوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»[5].

وقوله صلى الله عليه وآله: «يا علي، إن فاطمة بضعة مني، وهي نور عيني وثمرة فؤادي، يسوؤني ما ساءها، ويسرني ما سرّها، وإنها أوّل من يلحقني من اهل بيتي فأحسن إليها بعدي»[6].

---

(١) فضائل الخمسة ٢: ١٣١، ذخائر العقبىٰ: ٣١.
(٢) كنز العمال ٦: ١٥٢. فضائل الخمسة ٢: ١٣١.
(٣) فضائل الخمسة ٢: ١٣١. ذخائر العقبىٰ: ٨٦.
(٤) مستدرك الصحيحين ٣: ١٥٩.
(٥) كنز العمال ٦: ٢٢٠.
(٦) البحار ٤٣: ٢٤.

وروي عن عائشة أن النبي ﷺ قال ـ وهو في مرضه الذي توفي فيه ـ: « **يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين ؟** »[١].

وعن يونس بن ظبيان قال: « **قال أبو عبد الله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة اسماء عند الله عزوجل: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدَّثة، والزهراء.** ثم قال عليه السلام: **أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟** قلت: أخبرني يا سيدي. قال: **فطمت من الشر.** قال: ثم قال: **لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفو إلى يوم القيامة علىٰ وجه الارض آدم فمن دونه** »[٢].

وهي التي لعظمتها ومقامها الفريد لقّبها رسول الله ﷺ بسيدة نساء العالمين، فقد روي أن النبي ﷺ عاد فاطمة عليها السلام وهي مريضة، فقال لها: « **كيف تجدينك يا بنية ؟** » قالت: « **إني لوجعة، وإنه ليزيدني أني مالي طعام آكله** »، قال: « **يا بنية، أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين ؟** »[٣].

ومن النماذج التي ينقلها لنا التاريخ وأصحاب السيرة عن تفانيها سلام الله عليها في حفظ مصلحة الاسلام العليا، وتحمل كل المصائب والمحن والظلم في سبيل ذلك ما يلي:

أ ـ أنها كانت في المقدمة فيمن يواسي أباها ويشاركه في الشدّة والمحن، وتضميد جراحاته في الحروب وجراحات المؤمنين المقاتلين تحت لوائه: ففي معركة أحد ـ وقد كانت تسند المسلمين وتضمد جراحات المقاتلين ـ شاهدت

---

(١) فضائل الخمسة ٣: ١٧١.
(٢) البحار ٤٣: ١٠، ب ٢، ح ١.
(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب ٤: ٣٧٥.

أباها وقد جرح وكسرت رباعيته، وخذله المنافقون، وشاهدت أيضاً عمّ ابيها حمزة شهيداً مع نخبة من المؤمنين علىٰ أرض المعركة، فأتت أباها وهي تبكي علىٰ عمها، وتحاول تضميد جرح رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وقطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف الطاهر، فكان زوجها علي عليه السلام يصب الماء علىٰ جرح رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وهي تغسله، ولما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة صوف فأحرقتها، حتى صارت رماداً، فذرّته علىٰ الجرح حتى انقطع دمه.

ويقول الواقدي وهو يتحدّث عن رجوع النبي صلى الله عليه وآله من معركة أُحد: «وكنّ جئن اربع عشرة امرأة، منهن فاطمة بنت رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، يحملن الطعام والشراب علىٰ ظهورهن، ويسقين الجرحىٰ ويداوينهم»[١].

ب ـ كان كل همّ الزهراء عليها السلام بعد وفاة ابيها هو اسناد امير المؤمنين والذبّ عنه، وإعانته علىٰ تجاوز المحن ورد المؤامرات والفتن التي يثيرها تجاههم القوم من اعدائهم، وهو دور لابدّ لها منه؛ لمعرفتها أن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله قد اوصىٰ امير المؤمنين بأن مصلحة الاسلام العليا بعد وفاته تكمن في حقن دماء المسلمين، ووقايتهم من عوامل الردة عن الاسلام، حتى وإن غصب حقه الالهي في الخلافة؛ لأن اكثريتهم حديثو عهد به، فقد جاء عن امير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله أوعز إليَّ قبل وفاته وقال لي: يا أبا الحسن، إنّ الامة ستغدر بك من بعدي، وتنقض فيك عهدي، وإنك مني بمنزلة هارون من موسىٰ، وإن الامة من بعدي كهارون ومن اتبعه والسامري ومن اتبعه، فقلت: يا رسول اللّٰه، فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟ فقال: إذا وجدت اعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد اعواناً فكف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً.

---

(١) الواقدي، المغازي ١: ٢٩٠، ٢٩٤. تاريخ ابن كثير ٤: ٢٩. ابن الاثير، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٩.

فلما توفي رسول اللهصلى الله عليه وآله اشتغلتُ بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه، ثم آليت علىٰ نفسي يميناً ألّا أرتدي برداء إلّا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت ثم اخذت بيد فاطمة وابنيَّ الحسن والحسين فدرت علىٰ أهل بدر وأهل السابقة، فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلّا أربعة رهط : سلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا عليَّ إلّا السكوت، لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسله ولأهل بيت نبيه »[١].

وروي أن عليّاًعليه السلام « لما رأىٰ خذلان الناس له وتركهم نصرته لزم بيته وأقبل علىٰ القرآن يؤلّفه ويجمعه، فلم يخرج حتى جمعه كلّه، فكتبه علىٰ تنزيله والناسخ والمنسوخ، فبعث إليه أبو بكر أن اخرج فبايع، فبعث إليه إني مشغول، فقد آليت بيمين ألّا ارتدي برداء إلّا للصلاة حتى أؤلّف القرآن وأجمعه، فجمعه في ثوب وختمه ثم خرج إلى الناس، وهم مجتمعون مع ابي بكر في مسجد الرسولصلى الله عليه وآله فنادىعليه السلام بأعلىٰ صوته : أيها الناس، إني لم ازل منذ قبض رسول اللهصلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب، فلم ينزل الله علىٰ نبيه آية من القرآن إلّا وقد جمعتها كلّها في هذا الثوب، ليست منه آية إلّا وقد اقرأنيها رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلمني تأويلها، فقالوا : لا حاجة لنا به. عندنا مثله.

ثم دخل بيته فقال عمر لأبي بكر : أرسل إلى علي فليبايع، فإنّا لسنا في شيء حتى يبايع، ولو قد بايع أمنّاه وعائلته، فأرسل أبو بكر رسولاً أن أجب خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله، فأتاه الرسول فأخبره بذلك، فقال عليعليه السلام : ما اسرع ما كذبتم علىٰ رسول اللهصلى الله عليه وآله ! إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أنّ الله ورسوله لم

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ١ : ٧٥.

يستخلفا غيري، فذهب الرسول فأخبره بما قاله فقال : اذهب فقل أجب أمير المؤمنين أبا بكر، فأتاه فأخبره بذلك، فقال علي عليه السلام : سبحان اللّٰه ! واللّٰه ما طال العهد بالنبي منّي، وإنه ليعلم أنّ هذا الاسم لا يصلح إلّا لي، وقد أمره رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله سابع سبعة فسلّموا علي بإمرة المؤمنين، فاستفهمه هو وصاحبه عمر من بين السبعة فقالا : أمر من اللّٰه ورسوله ؟ فقال لهما رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله : نعم حقّاً من اللّٰه ورسوله إنه امير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء الغرّ المحجلين، يعقده اللّٰه يوم القيامة علىٰ الصراط فيُدخِل اولياءه الجنة واعداءه النار.

قال : فانطلق الرسول إلى أبي بكر فأخبره بما قال، فكفّوا عنه يومئذ.

ثم ارسلا إليه بعد ذلك قنفذاً ـ وكان رجلاً فظّاً غليظاً جافياً من الطلقاء احد بني تيم ـ وارسلا معه اعواناً، فانطلق فاستأذن فأبى علي عليه السلام أن يأذن له، فرجع اصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما في المسجد والناس حولهما فقالوا: لم يأذن لنا، فقال عمر : هو إن أذن لكم، وإلّا فادخلوا عليه بغير إذنه.

فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة عليها السلام : احرّج عليكم أن تدخلوا بيتي بغير اذن، فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا : إنّ فاطمة قالت كذا وكذا فحرّجتنا أن ندخل عليها البيت بغير إذن منها، فغضب عمر وقال : مالنا وللنساء ؟ ثم أمر أُناساً حوله فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله، وفيه علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام، ثم نادى عمر حتى أسمع عليّاً عليه السلام : واللّٰه لتخرجن ولتبايعن خليفة رسول اللّٰه، أو لأضرمنّ عليك بيتك ناراً، ثم رجع فقعد إلى أبي بكر وهو يخاف أن يخرج عليّ بسيفه لما قد عرف من بأسه وشدّته، ثم قال لقنفذ : إن خرج وإلّا فاقتحم عليه، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم ناراً.

فانطلق قنفذ فاقتحم هو واصحابه بغير إذن... وحالت فاطمة عليها السلام بين زوجها وبينهم عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط علىٰ عضدها، فبقي أثره في

عضدها من ذلك مثل الدملوج من ضرب قنفذ إياها... ثم الجاها إلى عضادة بيتها ، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها وألقت جنيناً من بطنها...»[١].

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : « لمّا استخرج امير المؤمنين عليه السلام من منزله خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية إلّا خرجت معها حتى انتهت قريباً من العتبة فقالت لهم : خلّوا عن ابن عمّي، فو الذي بعث محمداً أبي صلى الله عليه وآله بالحق إن لم تخلّوا عنه... لأضعنّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ رأسي ولأصرخنّ إلى الله تبارك وتعالىٰ، فما صالح بأكرم علىٰ الله من أبي، ولا الناقة بأكرم منّي، ولا الفصيل بأكرم علىٰ الله من ولديّ »[٢].

ج ـ عندما وجدت الزهراء عليها السلام أن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بالولاية والخلافة لعلي عليه السلام من بعده قد نقضت، وانقلب القوم علىٰ اعقابهم وارتدوا عنها، انطلقت من مبدأ المصلحة الاسلامية العليا وانبرت لأداء دورها الرسالي في هذا السبيل، موطّنة نفسها علىٰ كل المحن والمصائب والظلم التي ستحلّ بها : فاستثمرت مسألة غصب فدك، وهي نحلة أبيها إليها، لتكون مدخلاً وطريقاً لإظهار الحقائق وتمييز الحق عن الباطل للأمة والأجيال اللاحقة، وإلقاءً للحجة التامة علىٰ القوم. وكان لهذا الأسلوب الإيجابي في المواجهة أثره البليغ في توجيه وعي الأمة، لتدرك الحق وتعلم من أهدره. وقد ظلّ هذا الدور حيّاً في ضمير الأمة ووجدانها، بالرغم من عدم تسنّم امير المؤمنين عليه السلام الخلافة، وعدم استرداد الزهراء حقّها في فدك آنذاك، وبقي ذلك علامة صارخة معبّرة عن مدىٰ الظلم الذي لحق بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، والانحراف الذي وقع بعده. ولم يستطع اعداء اهل البيت عليهم السلام، وعلىٰ رأسهم بني أمية، محو هذا الدور الرسالي الرائد

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١ : ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج ١: ٨٦.

للزهراء عليها السلام من صفحات التاريخ ومرويات رجاله، حتى لقد طفحت بها كتب أهل السنة كما طفحت بها كتب الشيعة.

ولنتصفح بعض مفردات ما ورد في بيان هذا الدور الفريد للزهراء عليها السلام، فقد ذكر المؤرخون أن فدك قرية من قرى الحجاز، بينها وبين المدينة مسيرة يومين أو ثلاثة أيام علىٰ ابعد التقادير، وتقع إلى جوار خيبر التي كانت من اكبر القرى اليهودية وأمنعها حصوناً، وبعد أن تغلب المسلمون علىٰ خيبر، بعد تلك المعارك الضارية بينهم وبين يهودها، واستولىٰ عليها المسلمون، تركهم النبي صلى الله عليه وآله يعملون في الارض بنصف ناتجها والنصف الآخر للفاتحين، ولما انتهىٰ النبي منها ضاق الأمر بسكان فدك، وأيقنوا أن النبي سوف يتجه إليهم، فاستولىٰ عليهم الخوف وارسلوا إليه أنهم علىٰ استعداد لأن يسلموه الأرض وجميع ما يملكون، علىٰ أن يتركهم يعملون فيها بنصف الناتج كما صنع مع يهود خيبر، فوافق علىٰ ذلك فصالحهم علىٰ نصف ناتجها، وبذلك كانت خيبر ملكاً للمسلمين ؛ لأنهم استولوا عليها بالحرب، وفدك ملكاً للنبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل أو ركاب، وقد وهبها النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء، وتركتها في يد النبي يتصرف بناتجها كما تريد، وتأخذ منه ما يكفيها وولدها، كما تجمع علىٰ ذلك المصادر الشيعية وبعض المصادر السنية.

عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لما بويع أبو بكر واستقام له الامر علىٰ جميع المهاجرين والانصار، بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله منها، فجاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر ثم قالت : لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله، واخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالىٰ ؟

فقال : هاتي علىٰ ذلك بشهود، فجاءت بأم أيمن، فقالت له أم أيمن : لا أشهد

يا أبا بكر حتى احتج عليك بما قال رسول الله ﷺ، انشدك بالله ألست تعلم أن رسول الله ﷺ قال : أم أيمن امرأة من أهل الجنة ؟ فقال : بلىٰ، قالت : فأشهد أن الله عزوجل أوحىٰ إلى رسول الله ﷺ : ﴿وآت ذا القربىٰ حقه﴾ فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله، فجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال : إن فاطمة عليها السلام ادّعت في فدك، وشهدت لها أم أيمن وعلي عليه السلام، فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي... »[1].

وجاء في الدر المنثور للسيوطي عن البزاز وأبي يعلي وابن حاتم وابن مردويه عن سعيد الخدري أنه قال : « لما نزلت الآية : ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ دعا رسول الله فاطمة الزهراء واعطاها فدكاً » كما روى ذلك جماعة عن ابن عباس وغيره.

كما جاء في شرح النهج عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ بعد أن استولىٰ علىٰ فدك، وهبها لفاطمة وظلت في يدها إلى أن توفي، وبعد وفاته انتزعها أبو بكر وضمها إلى اموال المسلمين[2].

وجاء أيضاً أن فاطمة عليها السلام لما انصرفت من عند أبي بكر، أقبلت علىٰ امير المؤمنين عليه السلام فقالت له : « يابن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل (أضرعت خدّك يوم اضعت حدّك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ماكففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً) هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحيلة أبي، وبليغة ابنيّ ! والله لقد أجهر في خصامي وألفيته ألدّ في كلامي، حتى منعتني القيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني

---

(١) الاحتجاج ١: ٩٠ ـ ٩٢.

(٢) هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر ١: ١١٧ ـ ١١٨.

طرفها، فلا دافع و لا مانع. خرجت كاظمة، وعدت راغمة، ولا خيار لي. ليتني متّ قبل هنيئتي، ودون ذلّتي، عذيري الله منه عادياً، ومنك حامياً، ويلاي في كل شارق ! ويلاي في كل غارب ! مات العمد، ووهن العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربي. اللّهم انك أشد منهم قوة وحولاً.

فأجابها أمير المؤمنين : لا ويل لك، بل الويل لشانئك، نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقيّة النبوة، فما دنيت عن ديني، ولا اخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون. ما اعدّ لك خير ممّا قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت : حسبي الله ونعم الوكيل »[1].

وعندما وجدت الزهراء عليها السلام أن الاجواء قد تهيأت، والمقدمات قد حصلت ، قامت بدورها الاساسي الذي خططت له ببراعة في بيان الحقائق بالحجة الدامغة، وإظهار الحق الالهي لعلي عليه السلام بالخلافة وغصب القوم له ظلماً وجوراً ؛ فقد جاء في الروايات وكتب التاريخ الموثوقة أن الزهراء عليها السلام لمّا رأت اصرارهم علىٰ موقفهم، ارادت أن تعلن رأيها وظلامتها علىٰ اكبر جمهور من المسلمين، حتى لا تترك عذراً لمعتذر، واستغلت اجتماع المسلمين في مسجد ابيها في يوم من ايام الجمعة، فلاثت خمارها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، حتى دخلت علىٰ أبي بكر وعنده حشد كبير من المهاجرين والانصار في المسجد، وقيل في بيته كما جاء في رواية أخرىٰ، وقد وصف حفيدها عبد الله بن الحسين بن الحسن السبط موقفها هذا فقال : « لما دخلت عليهم ضرب أبو بكر بينهم وبينها ربطة بيضاء أو قبطية، ثم أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، فأمهلتهم طويلاً حتى سكتوا، ثم قالت : ابتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١: ١٠٧ ـ ١٠٨.

والمجد. الحمد لله على ما أنعم به، وله الشكر بما الهم » ومضت تعدد نعم الله على عباده ومواقف ابيها وتضحياته في سبيل الدعوة، حتى انـقذهم مـن الضـلال وعبادة الأوثان والاصنام، ثم توجهت إلى ذلك الحشد وقالت : « أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وامناء الله على انـفسكم، وبـلغاؤه إلى الأمم، وزعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، بـه تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبـيّناته الجـالية » ومضت في خطبتها تقول: « لقد جعل الله الايمـان تـطهيراً لكـم مـن الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للاخلاص، والحج تشييداً للدين » وظلّت تتحدث عن الفوائد التي يجنيها المسلم من فروع الاسلام واصوله، حتى خلصت إلى القول: « ﴿لقـد جـاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى[1] إليه، فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسـر الاصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، وتفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقدة الكفر والشقاق، وفُهتُم بكلمة الاخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العـجلان، ومـوطئ

(١) هكذا وردت في المصدر، وصوابها «المعزيّ إليه» أي : المنتسب إليه.

الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلّة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم اللّٰه بأبي محمد بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال، وذُؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها اللّٰه، أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات اللّٰه، مجتهداً في أمر اللّٰه، قريباً من رسول اللّٰه سيد أولياء اللّٰه، مشمراً ناصحاً مجدّاً كادحاً لا تأخذه في اللّٰه لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الاخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون عند القتال. فلما اختار اللّٰه لنبيه دار انبيائه ومأوىٰ اصفيائه، ظهرت فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم بدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم حفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكَلْم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يُقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿ألَا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّىٰ تؤفكون ؟ وكتاب اللّٰه بين أظهركم ، أُموره ظاهرة، واحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، واوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم . أرغبة عنه تريدون ؟ أم بغيره تحكمون، ؟ بئس للظالمين بدلاً ﴿ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ثم لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم اخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، واطفاء أنوار الدين الجلي، واهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة

والضراء، ويصير منكم علىٰ مثل حز المدىٰ، ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللّٰه حكماً لقوم يوقنون﴾ أفلا تعلمون ؟ بل قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته ».

ثم التفتت إلى أبي بكر وقالت : « أأغلب على إرثي يابن أبي قحافة ؟ أفي كتاب اللّٰه ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً ! أفعلىٰ عمد تركتم كتاب اللّٰه ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول : ﴿وورث سليمان داود﴾[1] وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال : ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[2] وقال : ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّٰه﴾[3] وقال : ﴿يوصيكم اللّٰه في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾[4] وقال ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً علىٰ المتقين﴾[5] وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم اللّٰه بآية اخرج أبي منها ؟ أم هل تقولون : إنَّ أهل ملّتين لا يتوارثان ؟ أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم اللّٰه، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ».

ولم ير الناس اكثر باكٍ ولا باكية منهم يومئذٍ. ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت : « يا معشر النقيبة وأعضاد الملّة وحضنة الاسلام، ماهذه الغميزة في حقي

---

(١) النمل : ١٦.

(٢) مريم : ٦.

(٣) الأنفال : ٧٥.

(٤) النساء: ١١.

(٥) البقرة : ١٨٠.

والسِنة عن ظلامتي ؟ أما كان رسول اللهﷺ أبي يقول : المرء يحفظ في ولده ؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما احاول، وقوّة علىٰ ما اطلب وازاول. أتقولون مات محمّدﷺ ؟ فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته،وكسفت الشمس والقمر وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، واضيع الحريم، وازيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمىٰ، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في افنيتكم، وفي ممساكم، ومصبحكم، يهتف في افنيتكم هتافاً، وصراخاً، وتلاوة، وألحاناً، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[1] إيهاً بني قيلة ! أأُهضم تراث أبي ؟ وأنتم بمرأىً مني ومسمع، ومنتدىً ومجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة. توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت.

قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحىٰ الاسلام، ودرّ حلب الايام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين فأنّىٰ حزتم بعد البيان ؟ واسررتم بعد الاعلان ؟ ونكصتم بعد الاقدام ؟ وأشركتم بعد الايمان ؟ بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم

(١) آل عمران : ١٤٤.

من بعد عهدهم، وهموا باخراج الرسول، وهم بدءوكم أول مرة، أتخشونهم فاللّٰه أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا وقد أرىٰ أن قد أخلدتم إلى الخفض وابعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ووسعتم الذي تسوغتم. فإن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فإنّ اللّٰه لغني حميد.

ألا وقد قلت ما قلت هذا علىٰ معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار اللّٰه الموقدة التي تطلع علىٰ الأفئدة، فبعين اللّٰه ما تفعلون، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾ وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون »[١].

ويبدو أن خطابها هذا في المسجد، وحديثها مع الأنصار قد احدثا جوّاً مشحوناً بالقلق، وظهرت علىٰ الكثير من المسلمين بوادر الندم، وأخذوا يتحدثون بظلامتها، وموقفهم المتخاذل منها ومن حق علي في الخلافة[٢].

د ـ لم تكتف الزهراء عليها السلام بهذا الاسلوب في المواجهة، وأداء دورها الرسالي المطلوب في احقاق مصلحة الاسلام العليا، بإظهار الحق وبيانه، وردع الباطل وإزهاقه، بل نهجت سبيلاً آخر يتكامل به دورها المعبر عن عقيدتها الراسخة، وحسّها المرهف، وإرادتها المتفانية في اللّٰه سبحانه، إدراكاً منها لضرورة إيقاء جذوة الحق ساخنة في ضمير الأمة ووجدانها، ولتنتقل صرختها

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١: ٩٧ ـ ١٠٤.

(٢) هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر ١: ١٢٣ ـ ١٢٧، الطبرسي، الاحتجاج ١: ٩٧ ـ ١٠٤.

وأنّاتها إلى الأجيال المتعاقبة بأن حق رسول اللّه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام قد غُصب، وأنهم ظُلموا واضطهدوا ؛ لوقوفهم في وجه الانحراف الذي بدأ يدبّ في طريق الاسلام وسيرة رسوله الكريم ﷺ، متخذاً نهجاً خطيراً لو استمر فإنه سيهدد اصول الاسلام وأركانه. وكان اسلوبها هذه المرة ذا طابع سلبي، تمثل بالمقاطعة المقرونة بالدموع والأنّات المفعمة ببيانات التظلم مما لحق بها وبأمير المؤمنين عليه السلام، وتنكّر القوم لهما ولوصية رسول اللّه ﷺ بهما، وبوجوب حبّهما واتّباعهما، وأنهما وابناءهما المعصومين الثقل الآخر بعد كتاب اللّه العزيز، وهما حبلان ممدودان إلى السماء لن ينقطعا حتى يردا عليه الحوض، وعلىٰ ذلك اخذ رسول اللّه ﷺ البيعة والعهود منهم ومن عموم المسلمين.

وممّا ورد في ذلك بطرق مختلفة، ما عن سويد بن غفلة قال : « لما مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التي توفيت فيها، اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها ، فقلن لها : كيف اصبحت من علّتك يا ابنة رسول اللّه ؟ فحمدت اللّه وصلّت علىٰ أبيها ﷺ ثم قالت : اصبحت واللّه عائفة لدنياكنّ، قالية لرجالكنّ، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الصفاة، وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط اللّه عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وحملتهم أوقتها، وشننت عليهم غاراتها، فجدعاً، وعقراً، وبعداً للقوم الظالمين.

ويحهم أنّىٰ زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الامين، والطبين[١] بأُمور الدنيا والدين. ألا ذلك هو الخسران

(١) الطبين: الفطن الحاذق العالم بكل شيء.

المبين.

وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟ نقموا منه والله نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم حشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً تطفح ضفتاه، ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً، ولم يكن يتحلىٰ من الدنيا بطائل، ولا يحظىٰ منها بنائل، غير ريّ الناهل، وشبعة الكافل، ولَبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب ﴿ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾، ﴿والّذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ ألا هلمّ فاسمع وما عشت اراك الدهر عجباً، وإن تعجب فعجب قولهم ليت شعري إلى أيّ سناد استندوا ؟! وإلى أي عماد اعتمدوا ؟! وبأية عروة تمسكوا ؟! وعلىٰ أيّة ذرية أقدموا واحتنكوا، لبئس المولىٰ ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابىٰ بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ﴿ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ ويحهم ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أم من لا يهِدّي إلّا أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون﴾ !.

أما لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً، وذعافاً مبيداً. هنالك يخسر المبطلون، ويعرف الباطلون، غبّ ما أسس الاولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفاً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم ! وأنّى بكم وقد عميت عليكم ؟ ﴿أنلزمكموها وأنتم لها

كارهون﴾ ».

قال سويد بن غفلة « فأعادت النساء قولها عليها السلام على رجالهنّ، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والانصار معتذرين، وقالوا : يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يبرم العهد، ويحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره، فقالت عليها السلام : إليكم عنّي، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم »[١].

هـ ـ ولعل من أبلغ ما عبّرت به فاطمة الزهراء عليها السلام في لحاظها لمصلحة الاسلام العليا، وحفظ بيضته وسلامته، واشهار مسألة غصب الولاية، والتنكر لعهد ووصية رسول اللّه صلى الله عليه وآله بها، هو وصيتها لعلي عليه السلام قبل موتها بأن يدفنها ليلاً ويخفي قبرها، ولا يُعلم بذلك احداً إلّا خلّص اصحابه ؛ ليبقىٰ ذلك علامة صارخة، وشاهداً بيّناً، ودليلاً دامغاً لاجيال المسلمين اللاحقة، علىٰ سخطها وغضبها من اولئك الذين نكثوا عهدهم مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله في غدير خم، وغصبوا الخلافة من وصيه علي عليه السلام الذي نص عليه في آخر حجة الوداع، ومنعوها حقها في إرثها لفدك من أبيها، واهدروا كرامتها ولم يحفظوها أمانةً اوصاهم بها وبحفظ ذمارها ومقامها العظيم، الذي طالما أكد عليه الرسول صلى الله عليه وآله في كل موضع ومناسبة.

ومما ورد في ذلك أن فاطمة عليها السلام مرضت مرضاً شديداً، ومكثت اربعين ليلة في مرضها إلى أن توفّيت صلوات اللّه عليها، فلما نعيت إليها نفسها دعت أُم ايمن واسماء بنت عميس، ووجهت خلف علي واحضرته، فقالت : « يابن عمّ، إنه قد نعيت إليّ نفسي، وإنني لا أرىٰ مابي إلّا أنني لاحقة بأبي الساعة أو بعد

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١ : ١٠٨ ـ ١٠٩.

ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي ».

قال لها علي عليه السلام : « أوصيني بما أحببت يا بنت رسول اللّٰه » فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت : « يابن عمّ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني » فقال عليه السلام : « معاذ اللّٰه ! أنت أعلم باللّٰه وأبرّ وأتقىٰ وأكرم، وأشد خوفاً من اللّٰه من أن أُوبخك بمخالفتي. قد عزّ عليّ مفارقتك ... إلّا أنّه أمر لابد منه. واللّٰه جدّدت عليّ مصيبة رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، وقد عظمت وفاتك وفقدك. فإنا للّٰه وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها ! هذه واللّٰه مصيبة لا عزاء لها، ورزية لا خلف لها ».

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ عليّ رأسها وضمها إلى صدره، ثم قال : « أوصيني بما شئت، فإنك تجديني فيها أمضي كما أمرتني به، وأختار أمرك علىٰ أمري ...» ثم قالت : « أوصيك يابن عمّ أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته » فقال لها : « صفيه لي » فوصفته فاتخذه لها، فأول نعش عمل علىٰ وجه الارض ذاك.

ثم قالت : « أوصيك ألّا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقي، فإنهم عدوّي وعدوّ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، ولا تترك أن يصلّي عليَّ أحد منهم، ولا من اتباعهم، وادفني في الليل إذا هدأت العيون، ونامت الابصار » ثم توفّيت صلوات اللّٰه عليها وعلىٰ أبيها وبعلها وبنيها. فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن وهن يقلن : « يا سيدتاه ! يا بنت رسول اللّٰه ! » وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام، وهو جالس والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكىٰ الناس لبكائهما.

وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة، تجر ذيلها متجللة برداء عليها وهي

تقول: «يا ابتاه! يا رسول اللّٰه! الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده ابداً».

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون، وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلّون عليها، وخرج أبو ذر وقال: «انصرفوا؛ فإن ابنة رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله قد أُخّر إخراجها في هذه العشية» فقام الناس وانصرفوا.

فلما أن هدأت العيون، ومضىٰ شطر من الليل، أخرجها علي، والحسن، والحسين عليهم السلام، وعمار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبو ذر، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم وخواصه، فصلوا عليها، ودفنوها في جوف الليل، وسوّىٰ علي عليه السلام حواليها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة؛ حتى لا يعرف قبرها[1].

فعندما تقلب اجيال المسلمين المتوالية بعدها صفحات تاريخها، ستجده مليئاً بالشواهد القطعية، والادلة الواضحة علىٰ أن الخلافة التي قامت بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله هي خلافة الرأي في مقابل نص رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، وعهده لعلي عليه السلام بالامامة من بعده. وعليه فقد كان هناك خطان، هما خط الخلافة الحاكم الذي بدأ بشورىٰ السقيفة، وتحول إلى الوراثة الملكية علىٰ عهد بني أمية، وخط الامامة لاهل البيت عليهم السلام بنص رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، الذي أُبعد عن مقامه الالهي، وواصل مسيرته في الأمة يحفظ الاسلام فيها من الانحراف، ويقي بيضته الخطر، ويسير بها علىٰ اساسٍ من مصلحة الاسلام العليا.

---

(١) راجع البحار ٤٣: ١٩١، ب ٧، ح ٢٠.

الامام الحسن عليه السلام ومصلحة الاسلام العليا

إن المقام المقدس الذي حظي به الامام الحسن عليه السلام علىٰ لسان جده رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، يدفعنا لمزيد من التأمل في سيرته المباركة، بكل ما تحتويه من جوانب عظمة وكمال ذاتية وحكمة وسداد رسالي، والذي نراه ينسجم تماماً مع وصف رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم له وموضعه منه فيما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم في حقه عليه السلام منها:

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «لما ولدت فاطمة الحسن عليه السلام قالت لعلي عليه السلام: سمّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول اللّه، فجاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فأُخرج إليه في خرقة صفراء فقال: ألم أنهاكم أن تلفوه في خرقة صفراء؟! ثم رمىٰ بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها، ثم قال لعلي عليه السلام: هل سميته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وما كنت لأسبق باسمه ربي عزّوجل.

فأوحىٰ اللّه تبارك وتعالىٰ إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط فأقرئه السلام وهنئه وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسىٰ، فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبرئيل عليه السلام فهنأه من اللّه عزّوجل ثم قال: إن اللّه تبارك وتعالىٰ يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر، قال: لساني عربي، قال: سمه الحسن، فسمّاه الحسن»[1].

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما»[2].

وعن زينب بنت أبي رافع عن امها قالت: «قالت فاطمة عليها السلام: يا رسول

---

(١) البحار ٤٣: ٢٣٨، ب ١١، ح ٣.

(٢) البحار ٤٣: ٢٦٣، ح ٨

اللّه، هذان ابناك فانحلهما، فقال رسول اللّهﷺ: أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي »[١].

وعن البراء بن عازب قال: « رأيت رسول اللّهﷺ واضعاً الحسن علىٰ عاتقه فقال: من أحبني فليحبه »[٢].

وقولهﷺ: «اللهم إني أحبه فأحبه واحب من يحبه قال: وضمّه إلى صدره »[٣].

واجتمع أهل القبلة علىٰ أن النبيﷺ قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا »[٤].

ولو سبرنا حياة الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام لوجدنا ذات الخط الذي نهجه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام، يتجسد مرة أخرىٰ في سيرته الرسالية، حيث لم ير مصلحة فوق مصلحة الاسلام العليا، ولا قيمة لشيء اكبر من قيمتها، بل لقد ارخص سلام اللّه عليه كل شيء في سبيلها، لأنها سبيل اللّه وكلمته العليا.

ولنأخذ من مواقفه الكبرىٰ في هذا السبيل بعض النماذج المتميزة في عهود اساسية ثلاث من سيرته المباركة:

١ ـ في عهد عثمان: ونستلّ من سيرة الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، في هذا العهد مجالين هما:

أ ـ مشاركته في الكثير من حروب الدفاع عن بيضة الاسلام، وفي كثير من الفتوحات الاسلامية أيام خلافة عثمان، منطلقاً من مقولة أبيه امير المؤمنين عليه السلام في

---

(١) المصدر نفسه، ح ١١.

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه : ٢٩١.

رعاية مصلحة الاسلام العليا التي كررها في اكثر من موضع: «والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جورٌ إلّا عليّ خاصّة»(١).

وقد نقلت لنا كتب التاريخ ومروياته هذه الحقيقة، ومما جاء فيها: «إن الامام أبا محمد الحسن عليه السلام كان قد بلغ العشرين عاماً أو تزيد، وقد برز بين اعيان المسلمين في مواهبه العالية وتطلعاته إلى حقائق الأمور ومشكلاتها، ومضى مع أبيه يتجرع مرارة تلك الأحداث القاسية، ويترقب معه الوقائع والاحداث، ويعملان لصالح الاسلام. وانضمّ الحسن إلى جنود المسلمين الذين اتّجهوا إلى إفريقيا بقيادة عبد الله بن نافع وأخيه عقبة في جيش بلغ عشرة آلاف مجاهد، كما جاء في العبر لابن خلدون، وتطلع المسلمون إلى النصر والفتح متفائلين بوجود حفيد الرسول وحبيبه يجاهد معهم، وكانت الغزوة ناجحة وموفقة كما يصفها المؤرخون، وعاد الحسن منها إلى مدينة جده وقلبه مفعم بالسرور، وعلامة الارتياح بادية علىٰ وجهه الكريم لانتشار الاسلام في تلك البقعة من الارض.

كما جاء في تاريخ الأمم والملوك في حوادث سنة ثلاثين للهجرة أن سعيد بن العاص غزا خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من اصحاب رسول الله والحسن والحسين وعبد الله بن عباس، ومضى سعيد ومعه الحسن والحسين إلى جرجان، فصالحوه علىٰ مئتي الف، ثم هاجم طمية وهي تابعة لطبرستان ومتاخمة لجرجان، علىٰ حد تعبير الطبري، علىٰ ساحل البحر، فقاتلهم اهلها قتالاً شديداً وصلى المسلمون صلاة الخوف، واخيراً انتصر المسلمون في تلك المناطق كما نصّ علىٰ ذلك ابن خلدون وغيره من المؤرخين.

وجاء في الفتوحات الاسلامية وغيرها أن سعيد بن العاص غزا طبرستان

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة ٧٤.

سنة ثلاثين من الهجرة، وكان الاجهيد قد صالح سويد بن مقرن علىٰ مال بذله في عهد عمر بن الخطاب، وفي عهد عثمان بعد استيلائه علىٰ السلطة بخمس سنوات تقريباً، جهز اليهم جيشاً بقيادة سعيد بن العاص، كان فيه الحسن والحسين وعبد اللّٰه بن العباس وغيرهم من اعيان المهاجرين والانصار، وتم لهم الاستيلاء علىٰ تلك المناطق والتغلب عليها.

وتؤكد اكثر المرويات أن الحسن والحسين قد اشتركا في كثير من الفتوحات الاسلامية، وكان لهما دور بارز في سير تلك المعارك التي كانت تدور رحاها بين المسلمين وغيرهم»[1].

ب ـ كان موقفه من خلافة عثمان وما آلت إليه هو موقف ابيه أمير المؤمنين عليه السلام، معبراً فيه عن كامل الطاعة والالتزام بأوامره وتوجيهاته في تلك الفترة العصيبة والفتنة العمياء، خصوصاً بعد أن ملّ المسلمون سياسة عثمان وأعوانه وعماله. وتنقل لنا كتب التاريخ وقائع تلك الفترة، ومنها أنه بعد فشل كل المحاولات التي بذلها المسلمون لاصلاح سياسة عثمان وأعوانه وعماله، وخوفهم علىٰ دينهم ودنياهم، زحفوا إليه من جميع الاقطار، ودخلوا في مفاوضات معه يطالبونه بإصلاح ما أفسده هو وعماله، أو بالتخلي عن السلطة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام وولده الحسن وسيطين بين الخليفة ووفود الامصار في محاولة للاصلاح، ووضع حدّ للفساد الذي شمل جميع مرافق الدولة، وكانا كلما أشرفا علىٰ النجاح، ووضعا الحلول الكفيلة بالاصلاح وارجاع الثوار إلى بلادهم، جاء مروان ونقض كل ما أُبرم بين الطرفين من حلول واتفاقات، حتى تعقدت الامور اخيراً وهاجمه الثوار بتحريض من عائشة وطلحة والزبير، وقالت لهم عائشة كما

---

(١) الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر ١:٤٨٢ ـ ٤٨٣. وراجع : تاريخ الامم والملوك ٥:٥٧، والفتوحات الاسلامية ١ : ١٧٥، والكامل لابن الاثير ٣:١٠٩.

تؤكد ذلك اكثر المرويات: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. وأخرجت للمسلمين قميص رسول الله ﷺ وقالت بصوت سمعه الجميع: هذا قميص رسول الله لم يبل وقد أبلىٰ عثمان سنّته. كما تؤكد المصادر الموثوقة أن طلحة لم يقتصر دوره علىٰ التحريض علىٰ عثمان، بل اشترك معهم وسهل لهم الوصول إلى داره للقضاء عليه في حين أن أمير المؤمنين ـ كما يدعي الرواة ـ قد ارسل ولديه حسناً وحسيناً ليدفعا عنه الثوار.

وجاء في رواية ابن كثير أن الحسن بن علي قد أُصيب ببعض الجروح وهو يدافع عنه. ومما لا شك فيه أن أمير المؤمنين وولديه الحسن والحسين عليهم السلام، كانوا كغيرهم من خيار الصحابة ناقمين علىٰ تصرفات عثمان وأنصاره وعماله، ومع ذلك لم يبلغ بأمير المؤمنين عليه السلام الحال إلى حدود الرضا بقتله والتحريض عليه، بل وقف منه موقفاً سلبياً وشريفاً، أراد من عثمان أن ينتهج سياسة تتفق مع منهج الاسلام، وأن يجعل حدّاً لتصرفات ذويه وعماله الذين أسرفوا في تبذير الاموال واستعمال المنكرات، وأراد من الثائرين عليه أن يقفوا عند حدود المطالبة بالاصلاح الشامل لجميع مرافق الدولة، وألّا تتخذ ثورتهم طابع العدوان والانتقام، واستطاع في المراحل الأولى من وساطته أن يضع حدّاً للصراع القائم بين الطرفين بما يحفظ لكل منهما حقه، لولا أن مروان بن الحكم قد أفسد كل ما أصلحه الامام عليه السلام وظلّ الامام إلى آخر لحظة يتمنىٰ علىٰ عثمان أن يتخذ موقفاً سلبياً حتىٰ يُتاح له أن يعالج الموقف في حدود ما انزل الله[1].

٢ ـ في عهد خلافة ابيه امير المؤمنين عليه السلام: وفي هذا العهد كان الامام الحسن السبط عليه السلام ظلّاً لأبيه في كل ما تتطلبه مسألة الولاء لامامه خليفة رسول الله ﷺ، وجندياً واعياً مطيعاً لكل أوامره. وقد تجلىٰ دوره هذا علىٰ طول الأيام الحاسمة،

(١) راجع سيرة الائمة الاثني عشر للحسني ١ : ٤٨٥ ـ ٤٨٦.

والصراع المرير الذي عاشه والده أمير المؤمنين عليه السلام. ومن مهماته المشهودة في تلك الفترة:

أ ـ دوره في حرب الناكثين المعروفة بحرب الجمل: وهي الحرب التي استعرت في إثر تمرد طلحة والزبير في البصرة، ورفعهما السلاح بوجه أمير المؤمنين علي عليه السلام بقيادة عائشة. وقد تمثل دور الامام الحسن عليه السلام فيها بأمرين اساسيين:

أولاً: لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذي قار ونزلها، أرسل الامام الحسن المجتبى عليه السلام إلى الكوفة مع عمار بن ياسر وزيد بن حومان وقيس بن سعد، ليستنفروا اهلها لمساعدته علىٰ طلحة والزبير، وكان قد أرسل قبلهم وفداً فعارضهم أبو موسى ولم يستجب لطلب أمير المؤمنين عليه السلام، ومضى الحسن بمن معه باتجاه الكوفة، ولمّا دخلوها استقبلهم اهلها فقرأ عليهم كتاب ابيه، ووقف أبو موسى نفس الموقف الذي وقفه مع الوفد الأول، وافتعل حديثاً عن النبي ليثبط الناس عن مساعدة أمير المؤمنين، وادّعى أنه سمعه يقول: «ستكون بعدي فتنة القاعد فيها خير من القائم، والنائم خير من القاعد». فرد عليه عمار بن ياسر وقال: «إذا صح أنك سمعت رسول اللّه يقول ذلك فقد عناك وحدك، فالزم بيتك. أمّا أنا فأُشهد اللّه أن رسول اللّه قد امر عليّاً بقتال الناكثين وسمّىٰ لي منهم جماعة، وامره بقتال القاسطين، وإن شئت لأُقيمن لك شهوداً أن رسول اللّه قد نهاك وحدك وحذّرك من الدخول في الفتنة».

ووقف الحسن عليه السلام يستنفر الناس فحمد اللّه وصلى علىٰ رسوله ثم قال: «أيها الناس، إنّا جئنا ندعوكم إلى اللّه وكتابه وسنّة رسوله، وإلى افقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفىٰ من تبايعون، مَنْ لم يعبه القرآن ولم تجهله السنّة ولم تقعد به السابقة. ندعوكم إلى من قرّبه اللّه ورسوله قرابتين: قرابة الدين وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة، إلى من كفى

اللّٰه به رسوله والناس متخاذلون، فقرب منه وهم متباعدون، وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون، وصدقه وهم يكذبون، وهو سائلكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه لتؤازروه وتنصروه علىٰ قوم نكثوا ببيعة، وقتلوا اهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعمّاله، ونهبوا بيت ماله. فاشخصوا إليه رحمكم اللّٰه».

وفي رواية ثانية عن جابر بن يزيد أنه قال: « حدثني تميم بن جذيم التاجي أن الحسن بن عليعليه السلام وعمار بن ياسر قدما الكوفة يستنفران الناس إلى عليعليه السلام ومعهما كتابه، فلما فرغا من قراءته قام الحسن فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللّٰهم سدّد منطق ابن بنت نبيّك، فوضع يده علىٰ عمود يتساند إليه، وكان عليلاً من شكوى به، فقال: الحمد للّٰه العزيز الجبار الواحد الأحد القهار الكبير المتعال، سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار، احمده علىٰ حسن البلاء وتظاهر النعماء، وعلىٰ ما احببنا وكرهنا من شدة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلّا اللّٰه وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، امتنّ بنبوته واختصه برسالته وأنزل عليه وحيه واصطفاه علىٰ جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجنّ حين عُبدت الاوثان وأُطيع الشيطان وجُحد الرحمن، فصلى اللّٰه عليه وعلىٰ آله وجزاه افضل الجزاء، أما بعد فإني لا اقول لكم إلّا ما تعرفون : إن امير المؤمنين علي بن ابي طالب أرشد اللّٰه امره وأعزّ نصره بعثني اليكم يدعوكم إلى الصواب والعمل بالكتاب والجهاد في سبيل اللّٰه، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإن في آجله ما تحبّون إن شاء اللّٰه، ولقد علمتم بأنّ عليّاً صلى مع رسول اللّٰه وحده، وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من عمره، ثم شهد مع رسول اللّٰه جميع مشاهده، وكان من اجتهاده في مرضاة اللّٰه وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الاسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول اللّٰه راضياً عنه حتىٰ

غمضه بيده وغسله وحده والملائكة اعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم ادخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من اموره، كل ذلك من منّ الله عليه، ثم ـ والله ـ ما دعا إلى نفسه، ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الابل الهيم عند وردها فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث احدثه ولا خلاف أتاه حسداً له وبغياً عليه، فعليكم عبادَ الله بتقوى الله وطاعته والجدّ والصبر والاستعانة بالله، والاسراع إلى ما دعاكم إليه. عصمنا الله وإيّاكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته، وألهمنا وإيّاكم تقواه وأعاننا وإيّاكم علىٰ جهاد اعدائه. واستغفر الله لي ولكم».

وبعد جدال طويل وحوار بين عمار بن ياسر والحسن بن علي عليه السلام من جهة، وبين أبي موسى الأشعري، التفت الحسن عليه السلام إلى أبي موسى وقال له: «اعتزل عملنا لا أُمّ لك وتنحَّ عن منبرنا» وظلّ أبو موسى علىٰ موقفه المتصلّب يخذّل الناس ويوحي إليهم بأن رسول الله قد أمرهم باعتزال هذه الفتنة، حتى جاء مالك الأشتر ودخل القصر وأخرج منه الحرس، هذا وأبو موسى في جدال مع الحسن عليه السلام وعمار، فجاءه الغلمان والحرس يشتدون إليه وأخبروه بما صنع الأشتر، فخرج من المسجد مذموماً مدحوراً، واستجاب الناس لنداء الحسن عليه السلام، وخرج معه إلى البصرة اثنا عشر ألفاً، وكان أمير المؤمنين قد اخبر بعددهم وهو في ذي قار كما جاء في رواية الشعبي عن أبي الطفيل، وأضاف إلى ذلك أبو الطفيل يقول: «والله لقد قعدت علىٰ الطريق وأحصيتهم واحداً واحداً فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً»(١).

ثانياً: شارك الامام الحسن عليه السلام في حرب الجمل إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام ،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٩٥. القرشي / حياة الامام الحسن عليه السلام ١: ٤٣٣.

وحمل رايته وانتصر بها علىٰ الناكثين. ومما أجمع عليه المؤرخون في ذلك أنه «لمّا زحف أمير المؤمنين في كتيبته الخضراء التي جمعت المهاجرين والأنصار، وحوله أولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، وكان قد اعطاه الراية، فحمل بها علىٰ أنصار عائشة ومضى يتقدم بها حتى تزعزعت صفوفهم، فقال له الانصار: والله يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالىٰ للحسن والحسين لما قدّمنا علىٰ محمد أحداً من العرب، فقال لهم أمير المؤمنين: اين النجم من الشمس والقمر؟ أما إنه قد أغنى وأبلى وله فضله، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالىٰ عليه. فقالوا له: يا أمير المؤمنين، إنّا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمها له ولا نظلمه لفضلها عليه حقه. فقال: اين يقع ابني من ابنيْ بنت رسول الله؟»[١].

ب ـ دوره في حرب القاسطين المعروفة بحرب صفين: وهي حرب البغاة في الشام التي قادها معاوية بن أبي سفيان خروجاً علىٰ خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وهكذا أيضاً كان دور الامام الحسن عليه السلام فيها كدوره في حرب الجمل، بل زاد عليه؛ حيث قام بتعبئة المسلمين للجهاد وبذل جهده لإحباط مؤامرة التحكيم والاحتجاج علىٰ المنادين به. ونلخص هذا الدور بما يلي:

أولاً: وقف الامام الحسن عليه السلام خطيباً يعبّئ المسلمين لجهاد القاسطين البغاة بقيادة معاوية بن أبي سفيان فقال: «الحمد لله لا إله غيره ولا شريك له، وإنه ممّا عظم الله عليكم من حقّه وأسبغ عليكم من نعمه مالا يحصى ذكره ولا يؤدى شكره ولا يبلغه قول ولا صفة، ونحن إنّما غضبنا لله ولكم، وإنه لم يجتمع قوم قطّ علىٰ أمر واحد إلّا اشتدّ امرهم واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٩، ١: ٢٨٣.

معاوية وجنوده، ولا تتخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام علىٰ الأسنّة نخوة وعصمة. لم يتمنع قوم قطّ إلّا رفع اللّه عنهم العلّة، وكفاهم حوائج الذلّة، وهداهم إلى معالم الملّة» ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به   والحرب يلفيك من أنفاسها جرع[1]

ثانياً: لقد عبّر الامام الحسن عليه السلام عن ولائه المطلق لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام في محنته هذه، مستخفّاً بإغراء البغاة له بالخلافة دون أبيه. فقد روي أن عبيد اللّه بن عمر ارسل إلى الحسن بن علي أن لي حاجة، وكان إلى جانب معاوية بن أبي سفيان، فلقيه الامام أبو محمد الحسن، فقال له عبيد اللّه: «إن أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخراً، وقد شنئه الناس، فهل لك في خلعه وتتولى أنت هذا الأمر؟» فقال له الحسن عليه السلام: «كلّا، واللّه لا يكون ذلك أبداً» ومضى يقول: «يابن الخطّاب، واللّه لكأنّي أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك. أما إن الشيطان قد زيّن لك وخدعك حتى أخرجك متخلّقاً بالخلوق: ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك اللّه ويبطحك لوجهك قتيلاً».

ثم انصرف كل منهما إلى جهته. ونقل احد الرواة قال: «فو اللّه ما كان إلّا بياض ذلك اليوم، حتى قُتل عبيد اللّه وهو في كتيبة رقطاء تدعى الخضرية، وكان في اربعة آلاف عليهم ثياب خضر، فمرّ الحسن بن علي عليه السلام، وإذا برجل متوسّد برجل قتيل قد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله، فقال الحسن لمن معه: انظروا مَنْ هذا؟ فإذا رجل من همدان، وإذا القتيل عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب قد قتله الهمداني في أول الليل وبات عليه حتى أصبح»[2].

ثالثاً: كان للامام الحسن عليه السلام دور مشهود في الاحتجاج علىٰ من نادىٰ

---

(١) القرشي، حياة الامام الحسن عليه السلام ١: ٤٨٠. الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر ١: ٤٩٥.

(٢) الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر ١: ٤٩٦.

بالتحكيم وقبل به، كاشفاً عن حقيقة الموقف وما يكمن وراءه من مؤامرة شيطانية لتفريق جيش أمير المؤمنين عليه السلام وتمزيقه داخليّاً. وممّا روي في ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن أعيته السبل في التحذير من التحكيم وأنه خدعة ومؤامرة، استسلم مكرهاً لرغبة القوم، فكانت مهزلة التحكيم التي انتهت بخذلان أبي موسى الأشعري للامام علي عليه السلام، فساد الاضطراب معسكر أمير المؤمنين عليه السلام، وبدت ظواهر التمزق والتفرق تسود أوساط جيشه، وأخذ كلّ فريق يتبرّأ من الآخر ويشتمه، فلم يجد الامام علي عليه السلام سبيلاً لدرء هذه المفسدة وبيان الحقّ وكشف حقيقة التحكيم وبطلانه، إلّاأن يقدم الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام ليقوم بهذه المهمة الرسالية قائلاً له: «قم يا بني فقل في هذين الرجلين عبد اللّٰه بن قيس، وعمرو بن العاص»، فقام الامام السبط خطيباً فقال: «أيّها الناس، قد اكثرتم في هذين الرجلين، وإنّما بُعثاليحكما بالكتاب علىٰ الهوى، فحكما بالهوى علىٰ الكتاب، ومن كان هكذا لم يُسمَّ حكماً ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبد اللّٰه بن قيس إذ جعلها لعبد اللّٰه بن عمر، فأخطأ في ثلاث خصال: واحدة أنه خالف أباه إذ لم يرضه لها، ولا جعله في اهل الشورىٰ، وأخرىٰ أنه لم يستأمره في نفسه، وثالثة: أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها علىٰ الناس، وأمّا الحكومة فقد حكّم النبي صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ، فحكم بما يرضي اللّٰه به، ولا شكّ لو خالف لم يرضه رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله »[1].

وبذلك أظهر الامام السبط حقيقة الموقف، وكشف عن زيف التحكيم، وخطل رأي أبي موسى الاشعري الذي انتخبته الغوغاء من جيش الامام علي عليه السلام ومكنته من الموقف دون رويّة وتدبّر، رغم أنه معروف بسوء سريرته.

---

(١) القرشي، حياة الامام الحسن عليه السلام ١: ٥٣٠.

وهكذا كان الامام الحسن عليه السلام سنداً وظهيراً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخر لحظة من حياته، وكان يعاني مايعانيه أبوه من اهل العراق ويتألّم لآلامه ومحنه، وهو يرىٰ معاوية يحوك المؤامرة تلو الاخرىٰ، ويبثّ مرتزقته في انحاء العراق لتثبيط المسلمين عن أميرالمؤمنين عليه السلام، ويغري القادة والزعماء بالأموال والمناصب حتى فرق اكثرهم عنه، وأصبح أمير المؤمنين يتمنىٰ فراقهم بالشهادة في سبيل اللّه، ولطالما بكىٰ وقبض علىٰ كريمته وهو يقول: «**متىٰ يبعث اشقاها فيخضب هذه من هذا؟!**»، والحسن عليه السلام يرىٰ كل ذلك وتأخذه الحسرة والألم لما يحيط بأبيه من المتاعب والمحن والفتن.

٣ ـ **في أيام خلافته عليه السلام**: لقد أجمع المؤرخون أن خلافته كانت في صبيحة اليوم الذي دفن فيه أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد الفراغ من إنزال حكم اللّه بقتل ابن ملجم، فقد ضربه ضربة واحدة قضت عليه كما اوصاه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم تجمع عند الامام الحسن عليه السلام صبيحة ذلك اليوم حشد كبير من اهل الكوفة غصّ بهم الجامع علىٰ سعته، فوقف خطيباً حيث كان يقف أمير المؤمنين وحوله من بقي من وجوه المهاجرين والانصار، فابتدأ خطابه في مصابه بأبيه الذي اصيب به جميع المسلمين، وقال بعد أن حمد اللّه وصلى علىٰ محمد وآله: «**لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل. لقد كان يجاهد مع رسول اللّه فيقيه بنفسه، وأينما وجهه رسول اللّه كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح اللّه عليه، ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم إلى السماء، وقبض فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف خضراء ولا بيضاء سوى سبعمئة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع فيها خادماً لأهله، وقد أمرني أن أردها إلى بيت المال**».

ثم تمثل له أبوه وما كابده في حياته من الآلام والمتاعب فاستعبر باكياً،

ويكى الناس من حوله حتى ارتفعت الاصوات بالبكاء والنحيب من جميع انحاء الكوفة، وعاد إلى حديثه بعد أن استنصت الناس، وقال: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي والوصي، وأنا ابن البشير النذير والداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من اهل البيت الذين كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وافترض مودتهم علىٰ كل مسلم فقال في كتابه: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومَنْ يقترفْ حسنة نزدْ له فيها حسناً﴾ فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت»[1].

وبعد خطابه هذا أقبل الناس يتسابقون إلى بيعته، وتمّت بيعته في الكوفة والبصرة، كما بايعه اهل الحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التي كانت تدين بالولاء والبيعة لأبيه. ولمّا بلغ نبأ البيعة معاوية اجتمع بكبار اعوانه، وشرعوا بحَبْكِ المؤامرات ورسم الخطط لنقض بيعة الامام الحسن عليه السلام وتقويض خلافته. وعندما نستقرئ سيرة الامام الحسن عليه السلام ومواقفه إزاء هذه المؤامرات والفتن الطخياء، تتجسد أمامنا قمة الفناء في الله سبحانه، واتخاذ مصلحة الاسلام العليا مقياساً حاسماً لمواقفه ومواجهاته مضحياً بكل شيءٍ دون ذلك.

ويمكننا الاشارة إلى ثلاث حالات مثلت كبريات مواقفه الرسالية المشهودة في هذا السبيل:

أ ـ أن الامام الحسن عليه السلام رأىٰ ابتداءً أن مصلحة الاسلام العليا تقوم بالتعبئة لحرب الباغية معاوية بن أبي سفيان، وقد اتخذ الامام عليه السلام قراره هذا بعد مراسلات متبادلة بينه وبين معاوية أتمّ فيها الحجّة عليه، وردّ عليه محاولاته لإغرائه عليه السلام

---

(١) الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر ١: ٥٠٠ ـ ٥٠١.

بالأموال والخلافة من بعده قائلاً له: «ولك ألّا تقضى دونك الأمور، ولا تعصىٰ في أمرٍ من الامور أردت بها طاعة اللّه...» وكان آخر ما كتبه الامام عليه السلام رادّاً عليه: «أمّا بعد فقد وصلني كتابك تذكر فيه ما ذكرت، وتركت جوابك خشية البغي عليك وباللّه أعوذ من ذلك، فاتبع الحق تعلم أني من أهله وعلي إثم أن أقول فاكذب. والسلام».

ولمّا وصله كتاب الحسن عليه السلام أدرك أن أساليبه ومغرياته لم تغيّر من موقفه شيئاً، فكتب إلى جميع عمّاله في بلاد الشام: «أمّا بعد، فإني أحمد إليكم اللّه الذي لا إله غيره، والحمد للّه الذي كفاكم مؤنة عدوّكم وقتلة خليفتكم. إن اللّه بلطفه وحسن صنيعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله وقتله، وترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم ـ بحمد اللّه ـ الثار وبلغتم الأمل، وأهلك اللّه اهل البغي والعدوان. والسلام عليكم ورحمة اللّه».

فاجتمعت إليه الوفود من كل الجهات وسار بهم باتجاه العراق. ويدّعي المؤرخون أنه لمّا بلغ الحسن بن علي خبر مسيره وأنه قد بلغ جسر منبج تحرك عند ذلك، وكتب إلى عمّاله يدعوهم إلى التحرك، ونادىٰ مناديه في الكوفة يدعوهم إلى الاجتماع في المسجد، فأقبل الناس حتى امتلأ بهم، فخرج الامام وصعد المنبر، فأثنىٰ علىٰ اللّه وصلى علىٰ رسوله، ثم قال: «لقد كتب اللّه الجهاد علىٰ خلقه وسمّاه كرهاً، وأوصى المجاهدين بالصبر ووعدهم النصر وجزيل الأجر. ثم قال: أيها الناس، إنكم لستم نائلين ما تحبّونه إلّا بالصبر علىٰ ما تكرهون، وقد بلغني أن معاوية كان قد بلغه أنّا أزمعنا علىٰ المسير إليه فتحرك نحونا بجنده، فاخرجوا رحمكم اللّه إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون ونرىٰ وترون».

فسكت الناس ولم يتكلم احد منهم بحرف واحد، فلمّا رأى ذلك منهم عدي ابن حاتم قام وقال: «أنا ابن حاتم. سبحان اللّٰه! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم؟، أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة؟ فإذا جد الجد فراوغون كالثعالب. أما تخافون مقت اللّٰه وعيبها وعارها؟» ثم استقبل الامام الحسن بوجهه وقال: «أصاب اللّٰه بك المراشد وجنبك المكاره، ووفّقك لما تحمد وروده وصدوره. قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى امرك واطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري فمن احب أن يوافيني فليواف» ثم مضىٰ لوجهه وخرج من المسجد فركب دابته، وكانت علىٰ باب الجامع، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، ومضى هو إلى النخيلة.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الانصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصعة التيمي، فأنّبوا الناس ولاموهم علىٰ تخاذلهم وحرضوهم علىٰ الخروج، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم، فقال لهم: «صدقتم رحمكم اللّٰه. مازلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودّة والنصيحة، فجزاكم اللّٰه خيراً».

وخرج الناس إلى النخيلة، فلما تكامل عددهم لحق بهم الحسن، واستخلف علىٰ الكوفة المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب، وأمره بأن يحرك الناس ويحثهم علىٰ الخروج والالتحاق بالجيش.

ويروي المؤرخون أنه لما تكامل الجيش خرج به الحسن عليه السلام، وقد حدده بعضهم بأربعين ألفاً، وبعضهم بستين وبأكثر من ذلك، ولمّا نزل دير عبد الرحمن أقام به ثلاثة أيام، ودعا عبيد اللّٰه بن العباس وقال له: «يابن العم، إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرأ مضر، الرجل منهم يريد الكتيبة، فسر بهم علىٰ الشاطئ حتى تقطع الفرات وتنتهي إلى مسكن، وامض منها حتى تستقبل

معاوية، فألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وافرش لهم جناحك وأدنهم من مجلسك، فإنهم من ثقات أمير المؤمنين، فإن أنت لقيت معاوية فاحبسه حتى آتيك، فإني علىٰ إثرك وشيكاً. وليكن خبرك عندي كل يوم».

وأرسل معه قائدين من خيرة المسلمين اخلاصاً وجهاداً ونصيحة في سبيل الله، وهما قيس بن سعد بن عبادة، وسعيد بن قيس الهمداني، وأمره ألّا يقطع أمراً دونهما، وأن يستشيرهما في جميع الأمور، وقال له: «إذا أنت لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يكون هو البادئ في القتال، فإن أُصبت فقيس بن سعد علىٰ الناس، وإن أُصيب فالقيادة من بعده لسعيد بن قيس».

وسار عبيد الله بالناس يقطع الصحاري حتى انتهى إلى الفلّوجة، ومنها إلى مسكن، وكان معاوية قد نزل فيها، فنزل عبيد الله بن العباس بإزائه، وفي اليوم الثاني وجه معاوية بخيل أغارت علىٰ جيش عبيد الله فوقفوا لها وردّوها علىٰ أعقابها، وأيقن معاوية تصميم الحسن عليه السلام علىٰ مواصلة القتال بعد أن رفض العروض المغرية التي قدمها إليه في رسائله[1].

ب ـ رأىٰ الامام عليه السلام أن مدار مصلحة الاسلام العليا بعد خذلان جيشه له وتفرقه عنه، يقوم بعقد معاهدة الصلح مع معاوية بن ابي سفيان ؛ وفي هذا السياق ينقل لنا المؤرخون أن معاوية لمّا أرسل خيله لقتال الجيش الذي يقوده عبيد الله، ردّها اهل العراق علىٰ اعقابها، وبمجيء الليل أرسل معاوية رسالة إلى عبيد الله جاء فيها أن الحسن قد أرسلني في الصلح وسلم الأمر لي فإن دخلت في طاعتي الآن تكن متبوعاً خير لك من أن تكون تابعاً بعد غد، ولك ان اجبتني الآن أن أعطيك الف الف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها، وعندما أدخل الكوفة

---

(١) الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر ١:٥١١ ـ ٥١٣.

ادفع لك النصف الثاني.

ويدعي اكثر المؤرخين أن عبيد الله انسلّ من قاعدته، ودخل عسكر معاوية ومعه بضعة آلاف ممن كانوا معه، فوفى له بما وعده، وانتبه الناس بدخول النهار، فانتظروا عبيد الله ليصلي بهم فلم يجدوه، فصلى بهم قيس بن سعد، ولمّا تأكدوا من خبره خطبهم قيس، وذكر عبيد الله فنال منه، وأمرهم بالصبر والثبات ، وعرض عليهم الحرب ومناهضة معاوية مهما كان الحال، فأجابوه لذلك، فنزل عن المنبر ومضى بهم لقتال معاوية، فقابلهم جيشه بقيادة بسر بن ارطاة، وبثّ دعاتة بين أصحاب قيس يذيعون أن اميرهم عبيد الله مع معاوية في خبائه، والحسن بن علي قد وافق علىٰ الصلح فعَلام تقتلون أنفسكم. وهنا يدّعي المؤرخون أن قيساً قال لأهل العراق: «اختاروا احدى اثنتين: إما القتال بدون إمام، وإمّا أن تبايعوا بيعة ضلال» فقالوا بأجمعهم: «بل نقاتل بدون امام» ثم اتجهوا نحوهم واشتبك الفريقان في معركة ضارية كانت نتائجها لصالحهم، وتراجع بسر بمن معه إلى معسكراتهم مخذولين مقهورين.

وكان موقف عبيد الله من جملة العوامل التي تسببت في تفكك جيش الامام وتخاذله، وفتح ابواب الغدر والخيانة والتسلّل الجماعي، وتذرع ذوي النفوس الضعيفة والقلوب المريضة أن عبيد الله ابن عمه واولاهم بمناصرته والتضحية في سبيله.

كما كان لغدر عبيد الله بن العباس في نفس الامامعليه السلام حزن بالغ وأسىٰ مرير؛ لأنه فتح الباب لغيره، وتستّر بغدره وخيانته جميع الطامعين والخونة من اهل العراق، ونشط انصار معاوية في نشر الترهيب والترغيب في صفوف الجيش ، ولم يتركوا وسيلة لصالح معاوية إلّا واستعملوها، واستمالوا اليهم حتى رؤساء ربيعة الذين كانوا حصناً لأمير المؤمنينعليه السلام في صفين وغيرها من المواقف ؛ فلقد راسله

خالد بن معمر احد زعمائها البارزين وبايعه عن ربيعة كلّها.

كما راسله وبايعه عثمان بن شرحبيل احد زعماء بني تميم، وشاعت الخيانة بين جميع كتائب الجيش وقبائل الكوفة، وأدرك الامام أبو محمد الحسن عليه السلام كل ذلك، وصارحهم بالواقع الذي لم يعد يجوز السكوت عنه، فقال: «**يا أهل الكوفة، أنتم الذين أكرهتم أبي علىٰ القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه، وقد أتاني أن اهل الشرف منكم قد اتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي**».

وهنا اطمأن معاوية بأن المعركة لو وقعت بين اهل الشام واهل العراق ستكون لصالحه، وسيكون الحسن بن علي عليه السلام والمخلصون له من جنده خلال أيام معدودات بين قتيل وأسير تحت رحمته، وأن السلطة صائرة إليه لا محالة، ولكن استيلاءه عليها بقوة السلاح لا يعطيها الصبغة الشرعية التي كان يحاول التمويه بها علىٰ الناس، هذا بالاضافة إلى ما قد يحدث من المضاعفات الخطرة التي ستجعله في ضيق من نتائجها، وذلك لو أُصيب الحسن والحسين خلال المعارك وهما سيدا شباب اهل الجنة، وريحانتا جدهما وأحبّ الخلق إليه بالنصوص المتواترة التي لا يجهلها أحد من المسلمين.

لذلك ولغيره كان معاوية علىٰ ما يبدو حريصاً علىٰ ألا يتورط مع الحسن ابن علي عليه السلام في الحرب، وإن كان مطمئناً لنتائجها، فعرض عليه فكرة الصلح في أولىٰ رسائله، وترك له أن يشترط ويطلب مايريد، وراح يردد حديث الصلح في مجالسه وبين انصاره في جيش العراق ويأمرهم بإشاعته، وكاتب القادة والرؤساء به ليصرف انظارهم عن الحرب، ويبثّ بينهم روح التخاذل والاستسلام للأمر الواقع.

وكانت فكرة الصلح كما ذكرنا مغلفة بلون ينخدع له الكثيرون من الناس، ويفضلونه علىٰ الحرب والقتال؛ فلقد عرضها في رسالته الأولى علىٰ الحسن عليه السلام

وأشاعها بين اهل العراق، علىٰ ألا يقضي أمراً من الامور بدون رأيه، ولا يعصيه في أمرٍ أُريد به طاعة اللّٰه ورسوله، وترك له مع ذلك أن يقترح ما يريد؛ كل ذلك لعلمه بأنها ستلقىٰ بهذه الصياغة قبولاً من الكثيرين، وسيتبع ذلك انقسام في صفوف الجيش يضطره إلى الصلح لأنه اهون الشرّين، كما التجأ والده من قبل للتحكيم والرضا بالاشعري حكماً لأهل العراق في مقابل ابن العاص، لأنه اقل خطراً وضرراً من المضي في الحرب، مع انحياز القسم الأكبر من الجيش إلى جانب فكرة التحكيم التي وضعها معاوية، بعد أن ضاق عليه امره وكاد أن يقع اسيراً بيد الاشتر ومن معه من الجنود البواسل.

وبالاضافة إلى أن فكرة الصلح بتلك الشروط ستكون سلاحاً بيد الخونة من اهل العراق، ستكون أيضاً عذراً مقبولاً لمعاوية لو كانت الحرب وأُصيب الحسنان وخيار الصحابة عند السواد الاعظم من الناس.

وكان الأمر كما قدر معاوية ؛ فقد ادّت فكرة الصلح بتلك الصيغة إلى التشويش والاضطراب في صفوف الجيش، وإلى تسلّل عبيد اللّٰه بن العباس وعدد من القادة وزعماء العشائر إلى معاوية واتّصال بعضهم به عن طريق المراسلة، وكان هو بدوره بما لديه من وسائل الاعلام يرسل إلى الحسن بجميع اخبارهم وتصرفاتهم ليقطع أمله من نتائج الحرب، ولا يبقى له خيار في الصلح، وكان الأمر كذلك.

وقال الشيخ المفيد في ارشاده والطبرسي في اعلام الورىٰ: إن اهل العراق كتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة، واستحثّوه علىٰ السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه إذا شاء عند دنوّه من معسكرهم أو الفتك به[1].

(١) المفيد، الارشاد: ١٩٠.

وجاء في علل الشرائع أن معاوية دسّ إلى عمرو بن حريث والأشعث ابن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي ووعد من يقتل الحسن بمئة الف وقيادة جند من اجناد الشام وبنت من بناته، ولمّا بلغ الحسن ذلك كان لا يخرج بدون لامة حربه، ولا ينزعها حتى في الصلاة، وقد رماه احدهم بسهم وهو يصلي فلم يثبت فيه.

ولا شك أن معاوية أراد من اغتيال الامام الحسن عليه السلام علىٰ يد العراقيين أن يسلم له الامر، ويخلو له الجو بدون قتال إذا تعذر الصلح، حتىٰ لا يتحمل مسؤولية قتله وقتل آله وانصاره تجاه الرأي العام الاسلامي، الذي لا يغفر له عملاً من هذا القبيل مهما كانت الظروف.

ولم يكن الامام أبو محمد الحسن عليه السلام يفكر بصلح معاوية ولا بمهادنته، غير أنه بعد أن تكدّست لديه الاخبار عن تفكّك جيشه، وانحياز اكثر القادة لجانب معاوية، أراد أن يختبر نواياهم ويمتحن عزيمتهم، فوقف بمن كان معه في ساباط، ولوّح لهم من بعيد بالصلح وجمع الكلمة فقال: «**فو اللّٰه إني لأرجو أن أكون انصح خلق اللّٰه لخلقه، وما اصبحت محتملاً علىٰ احد ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة. ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبون في الفرقة. ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا امري ولا تردّوا عليّ رأيي. غفر اللّٰه لي ولكم وأرشدني وإيّاكم لما فيه محبته ورضاه**»[١].

وهنا تنقّح لدىٰ الامام عليه السلام موضوع مصلحة الاسلام العليا بدفع اعظم الضررين، أولهما: الاستمرار بحرب خاسرة لا محالة فيها فناؤه وفناء اهل بيته وبقية الصفوة الصالحة من اصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله واصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر ١: ٥١٤ ـ ٥١٨.

واصحابه هو عليه السلام، وهم حفظة القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والذابون عن العترة الطاهرة، والدعاة الامناء إلى ولايتهم وقيادتهم، والثانية: القبول بالصلح وحقن دماء اهل بيت النبوة والعصمة وبقية الصفوة الصالحة من شيعتهم؛ ليحملوا لواء الدعوة لآل محمد صلى الله عليه وآله، ويصدعوا بالحق أمام محاولات تضييعه وتحريف وتزوير دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، ليتّصل حبلهم بحبل الاجيال اللاحقة، ولتصل إليها معالم الدين الحق، ولتدرك حق اهل البيت عليهم السلام وباطل اعدائهم.

وهكذا اضطر الامام الحسن عليه السلام للصلح، وكانت صورة معاهدة الصلح[١] بينه وبين معاوية بن أبي سفيان كالآتي:

المادة الاولىٰ:

تسليم الامر إلىٰ معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله[٢] صلى الله عليه وآله، وبسيرة الخلفاء الصالحين[٣].

المادة الثانية:

أن يكون الامر للحسن من بعده[٤]، فان حدث به حدث فلأخيه الحسين[٥]، وليس لمعاوية أن يعهد به إلىٰ أحد[٦].

---

(١) نقلاً عن كتاب صلح الحسن (عليه السلام) للشيخ راضي آل ياسين.
(٢) المدائني ـ فيما رواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٤ ص٨).
(٣) «فتح الباري» شرح صحيح البخاري ـ فيما رواه عنه ابن عقيل في النصايح الكافية (ص١٥٦ الطبعة الاولىٰ)، والبحار (ج ١٠ ص ١١٥).
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٩٤)، وابن كثير (ج٨ ص ٤١)، والاصابة (ج ٢ ص ١٢ و ١٣)، وابن قتيبة (ص ١٥٠) ودائرة المعارف الاسلامية لفريد وجدي (ج ٣ ص ٤٤٣ الطبعة الثانية) وغيرهم.
(٥) عمدة الطالب لابن المهنا (ص ٥٢).
(٦) المدائني ـ فيما يرويه عنه في شرح النهج ـ (ج ٤ ص٨)، والبحار (ج ١٠ ص ١١٥)، والفصول المهمة لابن الصباغ وغيرهم.

المادة الثالثة:

أن يترك سبَّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة[١]، وأن لا يذكر علياً إلّا بخير[٢].

المادة الرابعة:

استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف الف فلا يشمله تسليم الامر. وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام الفي الف درهم، وأن يفضّل بني هاشم في العطاء والصلاة على بني عبد شمس، وأن يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين الف الف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد[٣].

المادة الخامسة:

«على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وان يؤمَّن الاسود والاحمر، وان يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع احداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق باحنة»[٤].

«وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي

---

(١) أعيان الشيعة (ج ٤ ص٤٣).

(٢) الاصفهاني في مقاتل الطالبيين (ص٢٦)، وشرح النهج (ج ٤ ص ١٥) وقال غيرهما : « ان الحسن طلب إلى معاوية أن لا يشتم علياً، فلم يجبه إلى الكف عن شتمه، وأجابه على أن لا يشتم علياً وهو يسمع ». قال ابن الاثير : « ثم لم يف به أيضاً ».

(٣) تجد هذه النصوص متفرقة في الامامة والسياسة (ص ٢٠٠) والطبري (ج٦ ص ٩٢) وعلل الشرائع لابن بابويه (ص ٨١) وابن كثير (ج٨ ص ١٤) وغيرهم.

و (دار ابجرد) ولاية بفارس على حدود الاهواز. وجرد أو جراد : هي البلد أو المدينة بالفارسية القديمة والروسية الحديثة، فتكون داراب جرد بمعنى (مدينة داراب).

(٤) المصادر : مقاتل الطالبيين (ص٢٦)، ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ١٥)، البحار (ج ١٠ ص١٠١ و ١١٥)، الدينوري (ص ٢٠٠)، ونقلنا كل فقرة من مصدرها حرفياً.

بمكروه، وأن اصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لاحد منهم بسوء، ويوصل إلىٰ كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب اصحاب عليّ حيث كانوا..»[١].

«وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي، ولا لاخيه الحسين، ولا لاحد من أهل بيت رسول الله، غائلةً، سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق»[٢].

قال ابن قتيبة: «ثم كتب عبدالله بن عامر ـ يعني رسول معاوية إلى الحسن عليه السلام ـ إلىٰ معاوية شروط الحسن كما أملاها عليه، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه، وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكدة، والايمان المغلّظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، ووجه به إلى عبدالله بن عامر، فاوصله إلىٰ الحسن»[٣].

وذكر غيره نص الصيغة التي كتبها معاوية في ختام المعاهدة فيما واثق الله عليه من الوفاء بها، بما لفظه بحرفه:

«وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك، عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله علىٰ أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه»[٤].

وكان ذلك في النصف من جمادى الاولى سنة ٤١ ـ على أصح الروايات ـ

ج ـ وجد الامام عليه السلام أن عليه ـ في سبيل بيان الاسباب والعلل التي ألجأته إلى عقد معاهدة الصلح مع معاوية بن أبي سفيان ـ أن يكشف الحقائق ويظهر

---

(١) يتفق على نقل كل فقرة او فقرتين أو أكثر، من هذه الفقرات التي تتضمن الامان لاصحاب علي عليه السلام وشيعته، كل من الطبري (ج٦ ص٩٧)، وابن الاثير (ج ٣ ص ١٦٦)، وأبي الفرج في المقاتل (ص ٢٦)، وشرح النهج (ج ٤ ص ١٥)، والبحار (ج ١٠ ص ١١٥)، وعلل الشرائع (ص ٨١)، والنصائح الكافية (ص ١٥٦).

(٢) البحار (ج ١٠ ص ١١٥)، والنصائح الكافية (ص ١٥٦ ـ ط. ل).

(٣) الامامة والسياسة (ص ٢٠٠).

(٤) البحار (ج ١٠ ص ١١٥).

الحق لتتمّ الحجة البالغة في إدراك حقيقة المصلحة الاسلامية العليا الكامنة في هذا الصلح. وقد تواصلت بياناته وخطاباته في هذا السبيل إلى آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة.

وممّا يروىٰ في ذلك أن سليم بن قيس قال: « قام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام علىٰ المنبر حين اجتمع مع معاوية، فحمد اللّٰه واثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً ولم أرَ نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية، أنا اولى الناس بالناس في كتاب اللّٰه وعلىٰ لسان نبيّ اللّٰه. فأُقسم باللّٰه لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني، لأعطتهم السماء قطرها والارض بركتها، ولما طمعتم فيها يا معاوية، ولقد قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: ما ولّت أُمّة أمرها رجلاً قطّ وفيهم من هو اعلم منه، إلّا لم يزل امرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ملّة عبدة العجل. وقد ترك بنو اسرائيل هارون واعتكفوا علىٰ العجل وهم يعلمون أنّ هارون خليفة موسى، وقد تركت الأمّة عليّاً عليه السلام وقد سمعوا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله يقول لعلي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير النبوة، فلا نبي بعدي. وقد هرب رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى اللّٰه حتى فرّ إلى الغار، ولو وجد عليهم اعواناً ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية. وقد جعل اللّٰه هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، ولم يجد عليهم أعواناً. وقد جعل اللّٰه النبي في سعة حين فرّ من قومه لمّا لم يجد أعواناً عليهم، كذلك أنا وأبي في سعة من اللّٰه حين تركتنا الأمّة وبايعت غيرنا ولم نجد اعواناً. وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً.

أيها الناس، إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النبي غيري وغير أخي ».

وعن حنان بن سدير عن أبيه سدير عن أبيه عن أبي سعيد عقيصا قال:

«لما صالح الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، دخل عليه الناس فلامه بعضهم علىٰ بيعته، فقال عليه السلام: ويحكم! ماتدرون ما عملت. واللّه لَلّذي عملت لشيعتي خير ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت. ألا تعلمون أني إمامكم، ومفترض الطاعة عليكم، واحد سيدي شباب اهل الجنة بنصٍّ من رسول اللّه علي؟! قالوا: بلى. قال: أما علمتم أنّ الخضر لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند اللّه تعالىٰ ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منّا أحد إلّا يقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم (عج)؟ الذي يصلّي خلفه روح اللّه عيسى بن مريم عليه السلام، فإن اللّه عزوجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج. ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الاماء، يطيل اللّه عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون اربعين سنة، ذلك ليعلم أن اللّه علىٰ كل شيء قدير».

عن زيد بن وهب الجهني قال: «لما طُعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتيته وهو متوجّع، فقلت: ما ترى يابن رسول اللّه، فإنّ الناس متحيرون؟ فقال: أرىٰ ـ واللّه ـ أن معاوية خير لي من هؤلاء. يزعمون أنهم لي شيعة. ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي واخذوا مالي. واللّه لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأومن به في اهلي، خير من أن يقتلوني فتضيع اهل بيتي واهلي. واللّه لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً. واللّه لئن أُسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا اسير، أو يمنّ عليّ فيكون سنّة علىٰ بني هاشم آخر الدهر، ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه علىٰ الحيّ منّا والميت. قال: قلت: تترك يابن رسول اللّه شيعتك كالغنم ليس لها راعٍ؟! قال: وما أصنع يا أخا جهينة؟ إني واللّه اعلم بأمر قد أدّى به إليّ ثقاته: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لي ذات يوم وقد رآني فرحاً: يا حسن، أتفرح؟! كيف بك

إذا رأيت أباك قتيلاً؟ كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أُمية؟ وأميرها الرحب البلعوم، الواسع الاعفجاج، يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الارض عاذر، ثمّ يستولي علىٰ غربها وشرقها، يدين له العباد ويطول ملكه، يستنّ بسنن اهل البدع والضلال، ويُميت الحق وسنّة رسول اللّه ﷺ، يقسم المال في اهل ولايته، ويمنعه من هو أحق به، ويذلّ في ملكه المؤمن، ويقوىٰ في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين انصاره دولاً، ويتخذ عباد اللّه خولاً، يدرس في سلطانه الحق، ويظهر الباطل، ويقتل من ناواه علىٰ الحق، ويدين من والاه علىٰ الباطل»[(١)].

ويروىٰ أيضاً أنه بعد أن تمّ التوقيع علىٰ الصلح، قدم معاوية إلى الكوفة للاجتماع بالامام الحسن عليه السلام، حيث ارتقى معاوية المنبر ليعلن ـ متحدياً كل المواثيق والعهود والاعراف ـ أنه يسحق بقدميه كل الشروط التي صالح الحسن عليها، وخاطب الناس المحتشدة في مسجد الكوفة قائلاً: «واللّه إني ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني اللّه ذلك، وانتم له كارهون. ألا وإن كلّ دم أصيب في هذه الفتنة فهو مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين».

وهنا تململ اصحاب الامام الحسن عليه السلام وأتباعه، وتجرأوا عليه ووصفوه بمذلّ المؤمنين، فصبر سلام اللّه عليه صبراً جميلاً، وطفق يبيّن لهم الحقائق التي خفيت عنهم في اجواء الانفعال والعاطفة والغضب الذي اعتراهم من تحدي معاوية لهم، ونقضه لوثيقة الصلح وتوهينه للامام الحسن عليه السلام واصحابه.

وممّا روي عنه عليه السلام أنه قال لبشير الهمداني عندما لامه علىٰ الصلح: «لستُ

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ٢: ٢٨٨ ـ ٢٩١.

مُذلاًّ للمؤمنين، ولكني معزّهم. ما أردتُ لمصالحتي إلّا أن أدفع عنكم القتل، عندما رأيت تباطؤ اصحابي ونكولهم عن القتال».

قال عليه السلام ذلك لبشير هذا، لأنه كان أول المرتعدين من القتال. وقال لمالك بن ضمرة عندما كلّمه بشأن الوثيقة: «إني خشيت أن يُجتثّ المسلمون عن وجه الارض، فأردت أن يكون للدين داعٍ».

وقال مخاطباً أبا سعيد: «يا أبا سعيد، علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني اشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية».

وقال له حجر بن عدي، وكان وجهاً من وجوه صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابة علي وابنه الحسن عليهما السلام، عندما خاطب الامام الحسن عليه السلام بعد أن سمع كلام معاوية علىٰ المنبر وهو يتنصّل من كل الشروط التي وقعها مع الامام عليه السلام: «أما والله، لقد وددت أنك متّ في ذلك، ومتنا معك، ثم لم نَرَ هذا اليوم، فإنّا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا»، إلّا أن الامام أرسل إليه بعد انصرافه إلى بيته وقال له: «إني قد سمعت كلامك في مجلس معاوية، وليس كل إنسان يحب ما تحبّ ولا رأيه كرأيك، وإني لم أفعل ما فعلت إلّا إبقاءً عليكم»[1].

وعن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: «حدثني رجل منّا قال: أتيت الحسن بن علي عليه السلام فقلت: يابن رسول الله؛ أذللت رقابنا، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً. مابقي معك رجل. قال: وممَّ ذلك؟ قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية، قال: والله ما سلّمت الأمر إليه إلّا أني لم أجد انصاراً، ولو وجدت انصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنّي عرفت اهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً؛ إنهم لا وفاء لهم ولا ذمّة في قول ولا فعل، إنهم

---

(١) احمد بن اعثم، الفتوح ٤: ١٦١ و١٦٦.

لمختلفون، ويقولون لنا إن قلوبهم معنا، وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا. قال: وهو يكلمني إذ تنخع الدم، فدعا بطست فحمل من بين يديه ملىء مما خرج من جوفه من الدم. فقلت له: ما هذا يابن رسول اللّه؟ إنّي لأراك وجعاً! قال: أجلْ، دسّ إليّ هذا الطاغية مَن سقاني سمّاً، فقد وقع علىٰ كبدي وهو يخرج قطعاً كما ترىٰ»[١].

ولقد أشار الامام محمد الباقر عليه السلام إلى هذه المصلحة الاسلامية العليا في صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان بقوله: «واللّه، لَلّذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس»[٢].

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ٢: ٢٩١.

(٢) الكليني، الكافي ٨: ٣٣٠.

الامام الحسينعليه السلام ومصلحة الاسلام العليا

إن للحسينعليه السلام موقعاً رسالياً تميّز به عن سائر أئمة اهل البيتعليهم السلام، وجعل منه رمزاً خالداً لكل مظلوم يصحر بظلامته عبر التاريخ، وصرخة حق تدوّي في وجه الظالمين إلى يوم الدين. وليس جزافاً قول رسول اللّهصلى الله عليه وآله في حقهعليه السلام إن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، فعن أبي عبد اللّهعليه السلام قال: «كان النـبيصلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل عليَّ أحد، فجاء الحسينعليه السلام وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتىٰ دخل علىٰ النبي، فدخلت أم سلمة علىٰ إثره فإذا الحسين علىٰ صدره ، وإذا النبي يبكي، وإذا في يده شيء يقلّبه. فقال النبي: يا أُم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك. فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول اللّه، سل اللّه أن يدفع ذلك عنه؟ قال: قد فعلت فأوحىٰ اللّه عزوجل إليّ أن له درجة لا ينالها أحد من المخلـوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفَّعون، وأن المهدي من ولده، فطوبىٰ لمن كان من أولياء الحسين وشيعته، هم واللّه الفائزون يوم القيامة»[1].

وهو الذي نزل الوحي بتسميته حسيناً، فقد روي أنه عندما زُفت البشرىٰ لرسول اللّهصلى الله عليه وآله بولادة الامام الحسينعليه السلام، في اليوم الثالث من شهر شعبان المبارك في السنة الرابعة من الهـجرة، أسرعصلى الله عليه وآله إلى دار الزهـراءعليها السلام فـقال لأسماء بـنت عميس: «يا أسماء، هاتي ابني، فحملته إليه، وقد لُفّ في خرقة بيضاء، فاستبشرصلى الله عليه وآله وضمّه إليه وأذّن في أُذنه اليمنىٰ وأقام في اليسرىٰ، ثم وضـعه في حِـجرهِ وبكـىٰ،

(١) البحار ٤٤: ٢٢٥، ح ٥.

فقالت أسماء: فداك أبي وأُمي، ممَّ بكاؤك؟ قال صلى الله عليه وآله: من ابني هذا. قالت: إنه ولد الساعة. قال صلى الله عليه وآله: يا أسماء، تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي. ثم قال: يا أسماء، لا تخبري فاطمة فإنها حديثة عهد بولادته».

ثم قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أي شيء سميت ابني؟ فأجابه علي عليه السلام: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله. فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله حاملاً اسم الوليد المبارك، قال لعلي عليه السلام: سمه حسيناً»(١).

وتتوالى بيانات رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف مقام الامام الحسين عليه السلام، وموقعه الرفيع من الرسالة والرسول، منها:

عن يعلى بن مرة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسين مني وأنا من حسين، احب الله من احب حسيناً، حسينٌ سبط من الأسباط»(٢).

وعن سلمان الفارسي، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين ابناي، من أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه»(٣).

وعن البراء بن عازب، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حاملاً الحسين بن علي على عاتقه وهو يقول: اللّهم إني أحبه فأحبه»(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه، ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: أمسكه، ثم يقع عليه فيقبّله ويبكي، فيقول: يا

---

(١) الطبرسي، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ: ٢١٧. الطبري، ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ: ١١٩. الخوارزمي، مقتل الحسين ١: ٨٧ و ٨٨.

(٢) الفيروز آبادي، فضائل الخمسة ٣: ٢٦٢. صحيح الترمذي ٢: ٣٠٧.

(٣) الطبرسي، إعلام الورىٰ: ٢١٩.

(٤) ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة احوال الأئمة عليهم السلام: ١٧١.

أبه، لم تبكي؟ فيقول: يا بنيَّ، أُقَبل موضع السيوف منك وأبكي. قال: يـا أبـه، وأُقتل؟ قال: إي والله، وأبوك وأخوك وأنت. قال: يا أبه، فمصارعنا شتىٰ؟ قال: نعم، يا بني. قال: فمن يزورنا من أُمتك؟ قال: لا يزورني ويزور أبـاك وأخـاك وأنت إلّا الصديقون من أُمتي»[1].

وعن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «كان الحسين مع أمه تحمله، فأخذه النبيصلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. قالت فاطمة الزهراء: يا أبت، أي شيء تـقول؟ قال: يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذىٰ والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء، يـتهادون إلى القـتل، وكأني أنـظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم. قالت: يا أبه، وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلا، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلىٰ الأُمة، يخرج عليهم شرار أُمتي، لو أن أحدهم شُفع له في السموات والارضين ما شفّعوا فيه، وهم المخلدون في النار. قالت: يا أبه، فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قُتل قتلته أحد كان قبله، ويـبكيه السماوات والارضـون، والمـلائكة، والوحش، والنـباتات، والبحار، والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي علىٰ الارض متنفس، ويأتيه قوم من محبينا ليس في الارض أعلم بالله، ولا أقوم بحقنا منهم، وليس علىٰ ظهر الارض أحد يلتفت إليه غيرهم، اولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهـم قـوَّام الارض، وبهـم يـنزل الغـيث. فـقالت الزهراءعليها السلام: يا أبه، إنا لله، وبكت، فقال لها: يا بنتاه، إن أفضل أهل الجـنان هـم

---

(١) البحار ٤٤ : ٢٦١، ح ١٤.

الشهداء في الدنيا، بذلوا انفسهم واموالهم بأن لهم الجنّة، يقاتلون في سبيل اللّـه فيقتُلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً، فما عند اللّه خير من الدنيا وما فيها، قتلة أهون من ميتة، ومن كتب عليه القتل، خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت. يا فاطمة بنت محمد، أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هـذا الخـلق عـند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة ؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار؟ يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء. أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة علىٰ أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى مـا تأمـرين بـه، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند اللّه؟ فما ترين اللّه صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته علىٰ الخلائق، وأُمرت النار أن تطيعه؟. أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لابنك، وتأسف عليه كل شيء؟ أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان اللّه، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت اللّه واعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ اللّه وأمنه حتىٰ يفارق الدنـيا؟ قالت: يا أبه، سلّمت، ورضيت، وتوكلت علىٰ اللّه. فمسح علىٰ قلبها ومسح عينيها، وقال: إني وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقرُّ عيناك، ويفرح قلبك»[(١)].

وعن ابن عباس قال: «لما اشتد برسول اللّه صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه، ضم الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه، وهو يجود بـنفسه، ويـقول: مـالي وليزيد لا بارك اللّه فيه؟ اللّهم العن يزيد. ثم غُشي عليه طويلاً، وأفاق وجعل

(١) البحار ٤٤ : ٢٦٤ و ٢٦٥، ح٢٢.

يقبل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: أما إنَّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي اللّه عزوجل»[١].

ومن هنا ندرك كيف أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان يهيئ ولده الحسين عليه السلام لدور رسالي فريد، ويوصي به ويؤكده، ليحفظ له رسالته من الانحراف والضياع ؛ لذا نجد أن سيرة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام، هي من أبرز مصاديق وحدة الهدف في تحقيق وحفظ مصلحة الاسلام العليا، التي اتسمت بها ادوار ائمة اهل البيت عليهم السلام، علىٰ رغم تنوّعها في الطريقة وتباينها الظاهري في المواقف، وقد تمثل في سيرة الامام الحسين عليه السلام مبدأ حفظ مصلحة الاسلام العليا في اربعة مواقف كبرىٰ، شملت عهد إمامة أبيه عليه السلام وعهد إمامة أخيه الحسن عليه السلام وعهد إمامته عليه السلام.

١ ـ في عهد إمامة أبيه امير المؤمنين عليه السلام:

وقد جسّد الامام الحسين عليه السلام فيه الطاعة التامّة والامتثال الكامل لاوامر امامه امير المؤمنين عليه السلام، في الموقف من الخلافة بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وخصوصاً ايام الفتنة الطخياء علىٰ عهد عثمان بن عفان، التي انتهت بقتله، وكذلك في خوضه حروب الدفاع عن دولة الاسلام وخلافة امير المؤمنين عليه السلام، التي كان ابرزها حرب الناكثين المعروفة بحرب الجمل، وحرب القاسطين المعروفة بحرب صفين، وحرب المارقين المعروفة بحرب النهروان. وقد اشرنا إلى ذلك سابقاً عند بياننا لمواقف امير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن عليه السلام في حفظ مصلحة الاسلام العليا.

---

(١) المصدر نفسه ٢٦٦، ح ٢٤.

٢ - في عهد إمامة أخيه الحسن بن علي عليه السلام:

كان الامام الحسين عليه السلام ظهير أخيه الامام الحسن عليه السلام الأمين وساعده الأيمن في مواجهة الباغية معاوية بن أبي سفيان، ثم كان شريكه في دفع الفتنة الكبرىٰ التي وقع فيها اصحابه واتباعه بسبب الصلح، أملته الضرورة فأوقعه مع معاوية حقناً لدماء اهل البيت عليهم السلام، ودماء اصحابهم واتباعهم التي مثّلت في حينها سناء مصلحة الاسلام في بقاء من يصدع بحق الثقلين، ويذبّ عن اهل بيت النبوة والعصمة، ويدفع عن الاسلام غائلة التحريف والتزوير. وقد أشرنا أيضاً إلى ذلك فيما سلف من ذكر المواقف الكبرىٰ للامام الحسن عليه السلام لحفظ مصلحة الاسلام العليا.

٣ ـ في عهد إمامته عليه السلام:

وفي هذا العهد ضرب الامام الحسين عليه السلام المثل الاعلىٰ في تجسيد روح الثبات والقدم الراسخة علىٰ مبادئ الاسلام ومصلحته العليا، حيث كان له سلام اللّٰه عليه موقفان متواليان، قد يلحظان متخالفين ظاهرياً، من الحكم الأموي منذ اليوم الأول لصيرورة الامامة إليه بعد استشهاد أخيه الامام الحسن عليه السلام ؛ الأول من معاوية بن أبي سفيان، والثاني من يزيد بن معاوية:

أ ـ موقفه من معاوية بن أبي سفيان:

وله في موقفه هذا من معاوية صورتان تكامليتان، كلاهما تحكيان مبدأيته العصماء في لحاظ مصلحة الاسلام العليا:

الصورة الاولىٰ: التزامه عليه السلام بعهد أخيه الامام الحسن عليه السلام، ووفاؤه ببنود صلح أخيه المبرم مع معاوية بن أبي سفيان ؛ لاعتقاده بأنّ المصلحة الاسلامية لا زالت في ذلك، ولأن مبادئ الاسلام واحكامه تأبىٰ عليه نقض العهود والتحلل

من الوفاء بالعقود إلّا إذا أُخلّ بشروطه أو انتهت مدته، لقول اللّٰه تعالىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[١] وقوله أيضاً: ﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً﴾[٢]. فمّا رواه الكلبي والمدائني وغيرهما من اصحاب السير قالوا: «لمّا مات الحسن بن علي عليه السلام تحركت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة، فإن مات معاوية نظر في ذلك»[٣].

الصورة الثانية: وفيها سلك الامام الحسين عليه السلام مسلكاً تكاملياً في مقابل التزامه بما تمليه عليه الحكمة الالهية والمصلحة الاسلامية للصلح الذي عقده الامام الحسن عليه السلام مع معاوية والتي من ابرزها كشف حقيقة هذا الاخير وحقيقة حكومة بني أمية للمسلمين، فانطلق الامام عليه السلام من نفس هذه الحكمة الالهية والمصلحة الاسلامية وعمل جهده لكشف هذه الحقيقة.

وهنا يتبين لنا السر في عدم التخالف بين موقفه في الصورة الاولىٰ وموقفه في هذه الصورة الثانية، فهما صورتان لموقف تكاملي هادف يحفظ في الاولى حدود الصلح المعلنة ويسعىٰ في الثانية لتكميل تحقيق الاهداف المنشودة لهذا الصلح وذلك عن طريق إظهار الحق وإعلانه في وجه معاوية بن أبي سفيان، والتصدّي له بالحجّة البالغة، وتعرية انحرافه عن كتاب اللّٰه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، ودرء البدع التي احدثها في الدين، واستنكار الظلم والجور الذي أوقعه علىٰ صفوة الاصحاب والتابعين من شيعة اهل البيت عليهم السلام، وسفك دمائهم الطاهرة خلافاً لبنود الصلح المبرم مع الامام الحسن عليه السلام. وممّا روي في ذلك:

---

(١) المائدة: ١.

(٢) الاسراء: ٣٤.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد: ٢٠٠.

١ ـ تصديه عليه السلام لأمر معاوية وولاته وعماله بلعن امير المؤمنين عليه السلام على المنابر واضطهاد شيعته، وقتل من يروي شيئاً من فضائله، فعن سليم بن قيس قال: نادى منادي معاوية أن قد برئت الذمّة ممّن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل اهل بيته، وكان أشدّ الناس بليّة اهل الكوفة، لكثرة من بها من الشيعة، فاستعمل زياد بن أبيه، وضمّ إليه العراقين الكوفة والبصرة، فجعل يتتبع الشيعة وهو بهم عارف. يقتلهم تحت كل حجر ومدر، واخافهم، وقطع الايدي والأرجل، وصلبهم في جذوع النخل، وسمل اعينهم وطردهم وشردهم، حتى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور؛ فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد. وكتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الامصار أن لا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ واهل بيته شهادة، وانظروا قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه ومحبي اهل بيته واهل ولايته، والذين يروون فضله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته، ففعلوا حتى كثرت الرواية في عثمان، وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصّلات والخلع والقطائع من العرب والموالي، وكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في الأموال والدنيا، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة إلّا كتب اسمه وأُجيز، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه.

ثم كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه، فإن ذلك أحبّ إلينا وأقرّ لأعيننا، وأدحض لحجّة اهل البيت وأشدّ عليهم، فقرأ كلّ امير وقاضٍ كتابه على الناس. فأخذ الرواة في فضائل معاوية على المنبر في كل كورة وكل مسجد زوراً، وألقوا ذلك إلى معلمي الكتاتيب، فعلّموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن، حتى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه.

وكتب زياد بن أبيه إليه في حقّ الحضرميين أنهم علىٰ دين علي وعلىٰ رأيه، فكتب إليه معاوية أن اقتل كلّ من كان علىٰ دين عليّ ورأيه، فقتلهم ومثّل بهم.

وكتب كتاباً آخر: «انظروا من قبلكم من شيعة علي واتهمتموه بحبه فاقتلوه، وإن لم تقم عليه البينة، فاقتلوه علىٰ التهمة والظنة والشبهة تحت كل حجر» حتى إن الرجل لتسقط منه كلمة فتضرب عنقه، في حين كان الرجل يرمىٰ بالزندقة والكفر فلا يتعرّض له بمكروه بل يكرّم ويعظم، وكان الرجل من الشيعة لا يأمن علىٰ نفسه في بلد من البلدان، لا سيما الكوفة والبصرة، حتى لو أن احداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به خاف خادمه ومملوكه، فلا يحدثه إلّا بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلظة أن يكتم عليه، حتى كثرت أحاديثهم الكاذبة، ونشأ عليها الصبيان.

وكان اشدّ الناس في ذلك القرّاء المراؤون المتصنّعون، الذين يظهرون الخشوع والورع، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولّدوها، فحظوا بذلك عند الولاة والقضاة وادنوا مجالسهم، وأصابوا الأموال والقطائع والمنازل، حتى صارت احاديثهم ورواياتهم عندهم حقّاً وصدقاً، فرووها وقبلوها وتعلموها وعلّموها، وأحبّوا عليها وابغضوا من ردها أو شكّ فيها، فاجتمعت علىٰ ذلك جماعتهم، وصارت في يد المتنسّكين والمتدينين منهم، فقبلوها وهم يرون أنها حق، ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها، ولم يبغضوا من خالفها، فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلاً، والباطل عندهم حقّاً، والكذب صدقاً، والصدق كذباً.

فلمّا مات الحسن بن علي عليه السلام ازداد البلاء والفتنة، فلم يبق لله ولي إلّا هو خائف علىٰ نفسه، أو مقتول أو طريد أو شريد، فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين، حجّ الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه. وقد جمع

الحسين بن علي عليه السلام بني هاشم؛ رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم، مَنْ حج منهم ومَنْ لم يحج، ومن الانصار ممّن يعرفونه واهل بيته، ثم لم يدع احداً من اصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلّا جمعهم، فاجتمع عليه بمنىٰ اكثر من ألف رجل عامتهم التابعون وأبناء الصحابة، والحسين عليه السلام في سرادقه، فقام عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد اللّه واثنىٰ عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي أريد أن أسألكم عن اشياء، فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني. اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى امصاركم وقبائلكم من امنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني اخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، واللّه متمّ نوره ولو كره الكافرون».

فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً انزل اللّه فيهم (اهل البيت عليهم السلام) من القرآن إلّا قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمّه واهل بيته إلّا رواه وفي كل ذلك يقول الصحابة: «اللّهم نعم، قد سمعناه وشهدناه» ويقول التابعون: «اللّهم قد حدثنا من نصدقه ونأتمنه»، حتى لم يترك شيئاً إلّا قاله، ثم قال: «أنشدكم باللّه إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به» ثم نزل وتفرق الناس علىٰ ذلك(١).

٢ ـ استنكاره عليه السلام علىٰ معاوية قتله لصفوة من صحابة رسول اللّه وتابعيهم من شيعة اهل البيت ؛ لقد روى صالح بن كيسان قال: «لما قَتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حجّ ذلك العام، فلقي الحسين بن علي عليه السلام فقال: يا أبا عبد اللّه، هل بلغك ما صنعنا بحجر واصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم، وكفّناهم، وصلّينا عليهم. فضحك الحسين عليه السلام ثم قال: خصمك القوم

---

(١) راجع الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفّناهم ولا صلّينا عليهم ولا قبرناهم. ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك، ثم سلها الحق عليها ولها، فإن لم تجدها اعظم عيباً فما اصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترنّ غير قوسك ولا ترمينّ غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فإنّك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه، ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك، فانظر لنفسك أو دع ـ يعني عمرو بن العاص ـ»[١].

وجاء في سيرة اهل البيت لأبي علم: «إن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية، وكان عامله علىٰ المدينة، أمّا بعد، فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجالاً من اهل العراق ووجوه اهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن عليعليه السلام، وأنه لا يؤمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا، فاكتب إليّ برأيك. فكتب إليه معاوية: بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإيّاك أن تتعرض له بشيء، واترك حسيناً ما تركك، فإنّا لا نريد أن نتعرض له ما وفىٰ ببيعتنا، ولم ينازعنا سلطاننا، فأمسك عنه ما لم يبدِ لك صفحته».

وكتب إلى الحسينعليه السلام: «أمّا بعد، فقد انتهت إليّ أمور عنك إن كانت حقاً فإني ارغب بك عنها، ولعمر الله إن من أعطىٰ الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإن أحق الناس بالوفاء من هو مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي انزلك الله بها، فاذكر، وبعهد الله أوفِ، فإنك متى تنكرني أنكرك، ومتى تكدني أكدك، فاتق شقّ عصا هذه الأمة، وأن يردهم الله علىٰ يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأُمة جدك، ولا يستخفنّك السفهاء الذين لا

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ٢: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

يوقنون».

فكتب إليه الحسين عليه السلام في جوابه: «أما بعد، فقد بلغني كتابك أنه بلغك عني أمور أن بي عنها غنىً؛ زعمت أني راغب فيها، وأنا بغيرها عنك جدير، أمّا ما رقي اليك عني، فإنه رقّاه إليك الملّاقون المشاءون بالنمائم، المفرقون بين الجمع، كذب الساعون الواشون، ما أردت حربك ولا خلافاً عليك. وايمُ اللّٰه إني لأخاف اللّٰه عزّ ذكره في ترك ذلك، وما أظنّ اللّٰه تبارك وتعالىٰ براضٍ عني بتركه، ولا عاذري بدون الاعتذار إليه فيك وفي اولئك القاسطين الملبين حزب الظالمين، بل اولياء الشيطان الرجيم.

ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة واصحابه الصالحين المطيعين العابدين؛ كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في اللّٰه لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً بعد ماكنت اعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في صدرك عليهم!.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول اللّٰه، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفرت لونه، ونحلت جسمه، بعد أن أمنته وأعطيته من عهود اللّٰه عزوجل وميثاقه ما لو أعطيته العُصم ففهمته لنزلت إليك من شغف الجبال، ثم قتلته جرأة علىٰ اللّٰه عزوجل واستخفافاً بذلك العهد ؟!.

أولست المدعي زياد بن سمية، المولود علىٰ فراش عبيد عبد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك؟ وقد قال رسول اللّٰه: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فتركت سنة رسول اللّٰه واتبعت هواك بغير هدىً من اللّٰه، ثم سلّطته علىٰ اهل العراق فقطع ايدي المسلمين وارجلهم وسمل اعينهم، وصلبهم علىٰ جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك فيهم ابن سمية أنهم علىٰ دين عليّ ورأيه، فكتبت إليه اقتل كلّ من كان علىٰ دين علي عليه السلام ورأيه، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك؟ ودين عليّ ـ والله ـ وابن عليّ للذي كان يضرب عليه أباك، وهو أجلسك بمجلسك الذي انت فيه. ولولا ذلك لكان افضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرّحلتين اللتين بنا منّ الله عليكم فوضعهما عنكم. وقلت فيما تقول: انظر نفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وإتقِ شقّ عصا هذه الأمة وأن تردهم في فتنة. فلا اعرف فتنة اعظم من ولايتك عليها، ولا اعلم نظراً لنفسي وولدي وأمّة جدي افضل من جهادك، فإن فعلته فهو قربة إلى الله عزوجل، وإن تركته فأستغفر الله لذنبي واسأله توفيق لإرشاد أُموري.

وقلت فيما تقول: إن أنكرك تنكرني، وإن أكدك تكدني. وهل رأيك إلّا كيد الصالحين منذ خلقت؟ فكدني ما بدا لك إن شئت، فإني أرجو ألّا يضرّني كيدك، وألّا يكون علىٰ أحد أضرّ منه علىٰ نفسك، علىٰ أنك تكيد فتوقظ عدوك وتوبق نفسك، كفعلك بهؤلاء الذين قتلتهم ومثّلت بهم بعد الصلح والايمان والعهد والميثاق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلّا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقّنا بما به شرفت وعرفت، مخافة امر لعلك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا. أو ماتوا قبل أن يدركوا.

أبشر يا معاوية بقصاص، واستعد للحساب، واعلم أنّ لله عزوجل كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وليس الله تبارك وتعالىٰ بناسٍ أخذك بالظنة وقتلك أولياءه بالتهمة، ونفيك إيّاهم من دار الهجرة إلى الغربة والوحشة، واخذك الناس ببيعة ابنك غلام من الغلمان، يشرب الشراب، ويلعب بالكعاب. لا أُعلمك إلّا قد خمرت نفسك، وشريت دينك، وغششت رعيتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت التقي الورع الحليم.

قال: فلمّا قرأ معاوية كتاب الحسين عليه السلام قال: لقد كان في نفسه غضب عليّ ما كنت أشعر به، فقال ابنه يزيد، وعبد بن أبي عمير بن جعفر: أجبه جواباً شديداً تصغر إليه نفسه، وتذكر أباه بأسوأ فعله وآثاره. فقال: كلّا، أرأيتما لو أنّي أردت أن أعيب عليّاً محقّاً ما عسيت أن أقول؟ إن مثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل وما لا يعرف الناس، ومتى عبت رجلاً بما لا يعرف لم يحفل به صاحبه ولم يره شيئاً، وما عسيت أن أعيب حسيناً وما أرىٰ للعيب فيه موضعاً، إلّا أني قد أردت أن أكتب إليه وأتوعّده وأهدده وأجهله ثم رأيت ألا أفعل»[١].

٣ ـ إظهاره وإعلانه لفضائل اهل البيت عليهم السلام وحقهم في ولاية المسلمين، فعن موسىٰ بن عقبة أنه قال: «لقد قيل لمعاوية إنّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب، فإن فيه حصراً أو في لسانه كلالة. فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في اعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله واثنىٰ عليه وصلّى علىٰ النبي صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين عليه السلام: **نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، واهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالىٰ، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتبع حقايقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، انْ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة. قال الله عزوجل: ﴿أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ وقال: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر**

(١) الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر ٢ : ٤٥. والطبرسي، الاحتجاج ٢:٢٩٧ ـ ٢٩٨.

منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلّا قليلاً﴾.

وأحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنّه لكم عدوّ مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً وللعمد حطماً وللسهام غرضاً، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً»[1].

ب ـ موقفه من يزيد بن معاوية:

جسّد الامام الحسين عليه السلام في هذا الموقف الرسالي الفريد أحد ابرز مصاديق وحدة الهدف في تحقيق مصلحة الاسلام العليا في ادوار ائمة اهل البيت عليهم السلام، رغم تنوعها وتباينها في الطريقة والاساليب، حين نهض عليه السلام في وجه الفاجر يزيد بن معاوية مسترخصاً كل شيء في سبيل مصلحة الاسلام العليا.

إن من ابرز مصاديق الحكمة في نهضة الامام الحسين عليه السلام في سبيل تحقيق مصلحة الاسلام العليا هي:

١ ـ أن معاوية في تنصيبه لابنه يزيد من بعده للخلافة قد نقض عهده المبرم في صلحه مع الامام الحسن عليه السلام، وبذلك اصبح الامام الحسين عليه السلام أمام أمر مستحدث يقتضي منه موقفاً يتناسب وما تمليه مصلحة الاسلام العليا.

٢ ـ ان تنصيب يزيد من قبل أبيه معاوية خليفة للمسلمين سيصبح اكبر قضية تهدد اساس العقيدة الاسلامية بالمحق، ويعرضها للزوال، وذلك من خلال الانحراف الخطير الذي سيطرأ علىٰ مسألة الحكم الاسلامي وخلافة رسول

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ٢: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

اللّه صلى الله عليه وآله فإن تنصيب مثل يزيد للخلافة ـ وهو المتجاهر بالفسق والفجور والزنا وشرب الخمور، وبتلك الطريقة التي سلكها معاوية ، وهي إخراج الخلافة عن اصولها حتىٰ عن مبنىٰ الخلافة الراشدة بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وجعلها وراثية في بني أمية علىٰ اسس الجاهلية ومقولاتها ـ يعني علىٰ اقل تقدير وقوع الحكم الاسلامي في خطر التحوّل الجذري، والانقلاب الكلّي في الحكم الالهي الذي جاء به رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وما يقوم علىٰ اساسه من عدل وقسط وصلاح، إلى عصبيات الجاهلية القبلية، وحكم الطاغوت الوراثي الذي سيكون للهوىٰ والرأي المستبد الملاك التام والمقياس الفصل في قيامه وحاكميّته علىٰ المسلمين.

٣ـإن مشكلة الانحراف الجذري في مسألة الخلافة آنذاك لم تكن في إدراك مجمل هذه الحقيقة ، فقد كان المسلمون المخلصون حينئذٍ، وعلىٰ رأسهم كبار الصحابة والتابعين من الموالين لأهل البيت عليهم السلام ومحبيهم، مدركين لها ولخطورتها، إلّا انّ الإرادة العامة للمسلمين لم تكن بمستوىٰ هذا الإدراك، مما دفع الامام الحسين عليه السلام لتحمل هذه المسؤولية الكبرىٰ، فانبرىٰ لبذل دمه ودماء اهل بيته واصحابه لتكون وقوداً ساخناً لإلهاب تلك الإرادة الهامدة، وتعرية حقيقة الجاهلية الكامنة في خلافة يزيد بن معاوية، التي استبدل فيها حاكمية كتاب اللّه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله واهل بيته الطاهرين عليهم السلام، بحاكمية الجاهلية وسنة القبيلة والآباء والاجداد من بني أمية وأبي جهل ؛ وبدأت منذ نهضته وبعد استشهاده عليه السلام مرحلة المواجهة والجهاد العنيد لهذا الخطّ المنحرف، ليقوم للدين عود ولتستقيم كلمته في العباد.

ولتصديق ذلك لابد لنا من إلقاء نظرة علىٰ نماذج من الوقائع الخاصة لنهضة الامام الحسين عليه السلام الكبرىٰ، لنتلمس من خلالها المحتوىٰ المبدئي في حفظ مصلحة الاسلام العليا، ورعايتها التي ضحىٰ الامام الحسين عليه السلام بنفسه واهل بيته واصحابه

من اجلها، منها:

١ ـ لا بيعة ليزيد (شارب الخمور وقاتل النفس المحرمة والمعلن بالفسق):

فقد جاء في كتب التاريخ أن معاوية لما هلك بدمشق في منتصف رجب سنة ستين هجرية، وكان ابنه يزيد في حوران، قام الضحاك بن قيس بتكفينه ثم صلىٰ عليه ودفنه بمقابر باب الصغير، وأرسل البريد إلى يزيد يعزّيه بأبيه، ويطلب منه الاسراع في القدوم ليأخذ بيعة مجددة من الناس[1]، فسار يزيد إلى دمشق فوصلها بعد ثلاثة ايام من دفن معاوية، واقبل الناس عليه يهنّئونه بالخلافة ويعزونه بوفاة أبيه، فقال يزيد: «... أبشروا يا اهل الشام، فإن الخير لم يزل فيكم، وستكون بيني وبين اهل العراق ملحمة، وذلك أني رأيت في منامي منذ ثلاث ليال كأن بيني وبين اهل العراق نهراً يطّرد بالدم جرياً شديداً، وجعلت اجهد نفسي لأجوزه فلم أقدر حتى جازه بين يدي عبيد الله بن زياد وأنا انظر إليه».

فصاح اهل الشام: «امض بنا حيث شئت. معك سيوفنا التي عرفها اهل العراق في صفين»، فجزاهم خيراً وفرّق فيهم أموالاً جزيلة.

وكتب إلى العمال في البلدان يخبرهم بهلاك أبيه وأقرهم علىٰ عملهم، وضم العراقين إلى عبيد الله بن زياد بعد أن أشار عليه بذلك سرجون مولىٰ معاوية، وكتب إلى الوليد بن عتبة وكان علىٰ المدينة: «أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه واستخلصه ومكّن له، ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته. عاش بقدر ومات بأجل، وقد كان عهد إليّ وأوصاني بالحذر من آل أبي تراب لجرأتهم علىٰ سفك الدماء، وقد علمت يا وليد أن الله تبارك وتعالىٰ منتقم للمظلوم عثمان من آل أبي سفيان؛ لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا

---

(١) راجع ابن كثير الدمشقي ـ البداية والنهاية ٨: ١٤٥.

فخذ البيعة علىٰ اهل المدينة».

ثم أرفق الكتاب بصحيفة صغيرة فيها: «خذ الحسين وعبد اللّٰه بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد اللّٰه بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ومن أبىٰ فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه»[١].

وقام العامل بهذه المهمة، فبعث إلى الحسين عليه السلام وابن الزبير في منتصف الليل رجاء أن يغتنم الفرصة بمبايعتهما قبل الناس، فوجدهما رسوله عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان بن عفان[٢] في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، فارتاب ابن الزبير من هذه الدعوة التي لم تكن في الوقت الذي يجلس فيه للناس[٣].

واتضح لابن الزبير ما عزم عليه الحسين من ملاقاة الوالي في ذلك الوقت، فأشار عليه بالترك حذار الغيلة، فعرّفه الحسين عليه السلام القدرة علىٰ الامتناع[٤]، وصار إليه الحسين عليه السلام في ثلاثين[٥] من مواليه واهل بيته وشيعته شاكين السلاح، ليكونوا علىٰ الباب فيمنعوه إذا علا صوته[٦]، وبيده قضيب رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، ولما استقر المجلس بأبي عبد اللّٰه عليه السلام نعىٰ الوليد إليه معاوية، ثم عرض عليه البيعة ليزيد، فقال عليه السلام: **«مثلي لا يبايع سراً، فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فكان امرأً واحداً»**[٧].

فاقتنع الوليد بكلامه، ولكن مروان ابتدر قائلاً: «إنْ فارقك الساعة ولم يبايع لم تقدر منه علىٰ مثلها حتى تكثر القتلىٰ بينكم، ولكن احبس الرجل حتى

---

(١) مقتل الخوارزمي ١: ١٧٨ـ ١٨٠ ط. النجف.
(٢) تاريخ ابن عساكر ٤:٣٢٧.
(٣) تاريخ الطبري ٣:٢٧٠.
(٤) الكامل لابن الأثير ٤:١٥.
(٥) اللهوف للسيد رضي الدين ابن طاووس.
(٦) مقتل الخوارزمي ١:١٨٣، الفصل ٨.
(٧) تاريخ الطبري ٣:٢٧٠.

يبايع أو تضرب عنقه. فقال الحسين: يابن الزرقاء[١]، أنت تقتلني أم هو؟ كذبت وأثمت»[٢].

ثم أقبل علىٰ الوليد وقال: «أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح اللّٰه وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيُّنا أحق بالخلافة»[٣].

فأغلظ الوليد في كلامه وارتفعت الاصوات، فهجم تسعة عشر رجلا قد انتضوا خناجرهم وأخرجوا الحسين عليه السلام إلى منزله قهراً[٤]، فقال مروان للوليد: «عصيتني! فو اللّٰه لا يمكنك علىٰ مثلها. قال الوليد: (ويح غيرك) يا مروان! اخترت لي ما فيه هلاك ديني. أقتل حسيناً أن قال لا ابايع؟! واللّٰه لا أظن امرئً يحاسب بدم الحسين إلّا خفيف الميزان يوم القيامة[٥]، ولا ينظر اللّٰه إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم»[٦].

٢ ـ الخلافة محرمة علىٰ آل أبي سفيان:

وفيها دلالة علىٰ حرمة الخلافة علىٰ أساس قبلي جاهلي، فقد نقلت كتب التاريخ أن الامام الحسين عليه السلام بعد أن رفض بيعة يزيد، لقيه مروان عند صباح اليوم الثاني، فدار بينهما كلام نصح فيه مروان الامام عليه السلام ببيعة يزيد، فاسترجع

---

(١) في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٢٢٩، طبع ايران، والآداب السلطانية للفخري : ٨٨، أن جدة مروان كانت من البغايا، وفي كامل ابن الأثير ٤:٧٥، أن الناس كانوا يعيرون ولد عبد الملك بن مروان بالزرقاء بنت موهب، لأنها من المومسات ومن ذوات الرايات.

(٢) تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير والإرشاد وإعلام الورىٰ.

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلي (من أعلام القرن السادس).

(٤) مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٢٠٨.

(٥) تاريخ الطبري ٣: ٢٧٠.

(٦) اللهوف : ١٤.

الحسين عليه السلام وقال: «علىٰ الاسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يـزيد، ولقـد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة علىٰ آل أبي سفيان[1]، فإذا رأيتم معاوية علىٰ منبري فابقروا بطنه، وقد رآه اهل المدينة علىٰ المنبر فلم يـبقروا، فابتلاهم الله بيزيد الفاسق» وطال الحديث بينهما حتى انصرف مروان مغضباً[2].

٣ـ لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد:

فقد جاء أن محمّد بن الحنفية قال للامام الحسين عليه السلام: «يا أخي، أنت أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخـلق إلّا لك، وأنت أحق بها. تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت، ثم ابعث برسلك إلى الناس، فإن بايعوك حمدت الله علىٰ ذلك، وإن اجتمعوا علىٰ غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولم تذهب مروءتك ولا فضلك. وإني اخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الامصار فيختلف الناس بـينهم، فـطائفة مـعك وأخرىٰ عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة غرضاً، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً. فقال الحسين: فأين اذهب؟ قال: تـنزل مكة، فإن اطمأنّت بك الدار وإلّا لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى آخر حتى تنظر ما يصير إليه أمر الناس، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الامور استقبالاً، ولا تكون الأمور أبداً أشكل عليك منها حين تستدبرها استدباراً[3]. فقال الحسين: يا أخي، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىً لما بايعت يزيد بن معاوية. فقطع محمد كلامه بالبكاء. فقال الحسين: يا أخي، جزاك الله خيراً. لقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم علىٰ الخروج إلى مكة، وقد

---

(١) اللهوف: ١٣. ومثير الاحزان: ١٠.

(٢) مقتل الخوارزمي ١: ١٨٥، الفصل ٩.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٧١، والكامل لابن الأثير ٤: ٧.

تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، أمرهم أمري ورأيهم رأيي. وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم، لا تخفِ عني شيئاً من أمورهم»[١].

٤ ـ إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمّدصلى الله عليه وآله:

كتب الحسينعليه السلام قبل خروجه من المدينة وصيّة قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصىٰ به الحسين بن عليعليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية، أن الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله. أريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين.

وهذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه انيب». ثم طوىٰ الكتاب وختمه ودفعه إلى أخيه محمد[٢].

٥ ـ ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه علىٰ ذات الله:

فقد ذكر المؤرخون أن الحسينعليه السلام وافته في مكة كتب اهل الكوفة، من

---

(١) مقتل محمد بن أبي طالب، ولم يذكر ارباب المقاتل هذا العذر، واعتذر العلامة الحلي في أجوبة مسائل ابن مهنا بالمرض، وفي أخذ الثار لابن نما الحلي ص ٨١، إصابته بقروح فلم يتمكن من الخروج مع الحسين(ع).
(٢) مقتل العوالم : ٥٤، ومقتل الخوارزمي ١: ١٨٨، الفصل ٩.

الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة، يسألونه القدوم عليهم لأنهم بغير إمـام، ولم يجتمعوا مع النعمان بن بشير في جمعة ولا جماعة، وكثرت لديه الكتب، حتى ورد عليه في يوم واحد ستمئة كتاب، واجتمع عنده من نوب متفرقة اثنا عـشر ألف كتاب، وفي كل ذلك يؤكدون الطلب وهو لا يجيبهم. وآخر كتاب ورد عليه من شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطارد، وفيه: «إن الناس ينتظرونك، لا رأي لهـم غيرك، فالعجل العجل يابن رسول اللّه، فـقد اخـضرّ الجـناب وأيـنعت الثمـار وأعشبت الارض وأورقت الاشجار، فاقدم إذا شئت، فإنما تقدم علىٰ جـند لك مجنّدة»[١].

ولما اجتمع عند الحسين ما ملأ خرجين كتب إليهم كتاباً واحداً دفـعه إلى هانئ بن هانئ السَبُعي، وسعيد بن عبد اللّه الحنفي، وكانا آخر الرسل. وصورته: «بسم اللّه الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين. أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسـلكم، وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل اللّه أن يجمعنا بك علىٰ الهدىٰ والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجىٰ منكم علىٰ مثل ما قدمت عليّ بـه رسـلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء اللّه. فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بـالحق، والحـابس نـفسه عـلىٰ ذات اللّـه. والسلام»[٢].

---

(١) ابن نما، مثير الاحزان:١١.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٧٨. والأخبار الطوال : ٢٣٨.

٦ ـ رضا اللّٰه رضانا اهل البيت:

فقد ورد أن الحسين عليه السلام لما بلغه أن يزيد انفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمّره علىٰ الحاج، وولّاه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين عليه السلام أينما وجد[١]، عزم علىٰ الخروج من مكة قبل إتمام الحج، واقتصر علىٰ العمرة كراهية أن تستباح به حرمة البيت[٢].

وقبل أن يخرج قام خطيباً فقال: «الحمد للّٰه، وما شاء اللّٰه، ولا قوة إلّا باللّٰه، وصلى اللّٰه علىٰ رسوله. خطّ الموت علىٰ ولد آدم مخطّ القلادة علىٰ جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف! وخير لي مصرع أنا لاقيه. كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً. لا محيص عن يوم خطّ بالقلم. رضا اللّٰه رضانا اهل البيت. نصبر علىٰ بلائه ويوفّينا أجور الصابرين. لن تشذ عن رسول اللّٰه لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده. ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطّناً على لقاء اللّٰه نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء اللّٰه تعالىٰ»[٣].

وكان خروجه عليه السلام من مكة لثمان مضين من ذي الحجة، ومعه اهل بيته ومواليه وشيعته من اهل الحجاز والبصرة والكوفة، الذين انضموا إليه ايام إقامته بمكة، وأعطىٰ كل واحد منهم عشرة دنانير وجملاً يحمل عليه زاده[٤].

٧ ـ نحن اهل بيت محمد صلى الله عليه وآله أولى بولاية هذا الأمر:

فقد جاء أن الحسين عليه السلام بعد خروجه من مكة سار حتى نزل في شراف،

---

(١) المنتخب : ٣٠٤، الليلة العاشرة.

(٢) ابن نما، مثير الاحزان : ٨٩ . وتاريخ الطبري ٣: ٢٩٥.

(٣) اللهوف : ٣٣. وابن نما، مثير الاحزان : ٢٠.

(٤) نفس المهموم : ٩١.

وعند السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا، وفي نصف النهار سمع رجلاً من اصحابه يكبر، فقال الحسين: «لم كبرت؟ قال: رأيت النخل، فأنكر من معه أن يكون بهذا الموضع نخل وإنما هو أسنّة الرماح وآذان الخيل، فقال الحسين: وأنا أراه ذلك» ثم سألهم عن ملجأ يلجأون إليه، فقالوا: «هذا ذو حسم[1] عن يسارك فهو كما تريد» فسبق إليه الحسين وضرب أبنيته. وطلع عليهم الحر الرياحي[2] مع ألف فارس، بعثه ابن زياد ليحبس الحسين عليه السلام عن الرجوع إلى المدينة أينما يجده، أو يقدم به الكوفة، فلما رأى سيد الشهداء عليه السلام ما بالقوم من العطش، أمر اصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل، فسقوهم وخيولهم عن آخرهم.

وكان علي بن الطعان المحاربي مع الحر، فجاء آخرهم وقد أضرّ به العطش، فقال له الحسين عليه السلام: «أنخ الراوية» وهي الجمل بلغة الحجاز فلم يفهم مراده فقال له: «أنخ الجمل» ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيل من السقاء، فقال له ريحانة الرسول: «اخنث السقاء» فلم يدر ما يصنع لشدة العطش، فقام عليه السلام بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه.

ثم إن الحسين استقبلهم فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: «إنها معذرة إلى الله عزوجل وإليكم، وإني لم آتكم حتى اتتني كتبكم، وقدمت بها عليّ رسلكم أن اقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، ولعل الله أن يجمعنا بك علىٰ الهدىٰ، فإن كنتم علىٰ ذلك فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم».

فسكتوا جميعاً. وأذّن الحجاج بن مسروق الجعفي لصلاة الظهر، فقال

---

(١) حسم (بضم الحاء المهملة وفتح السين بعدها ميم): جبل كان النعمان بن المنذر يصطاد به.

(٢) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢١٥: الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الردف بن هرمي بن رياح يربوع، وقيل لعتاب الردف لأن الملوك يردفونه.

الحسين للحر: «أتصلي بأصحابك؟ قال: لا، بل نصلي جميعاً بصلاتك» فصلى بهم الحسين عليه السلام.

وبعد أن فرغ من الصلاة أقبل عليهم فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه، وصلى علىٰ النبي محمد صلى الله عليه وآله وقال: «أيها الناس، إنكم إن تتقوا اللّٰه وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى للّٰه، ونحن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، أولىٰ بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان، وإن أبيتم إلّا الكراهية لنا والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن علىٰ غير ما أتتني به كتبكم، انصرفت عنكم. فقال الحر: ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها، فأمر الحسين عقبة بن سمعان فأخرج خرجين مملوّين كتباً. قال الحر: إني لست من هؤلاء، وإني أُمرت ألّا افارقك إذا لقيتك حتى أُقدمك الكوفة علىٰ ابن زياد. فقال الحسين: الموت أدنىٰ إليك من ذلك، وأمر أصحابه بالركوب، وركبت النساء فحال بينهم وبين الانصراف إلى المدينة»[1].

٨ ـ من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام اللّٰه ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول اللّٰه يعمل في عباد اللّٰه بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً علىٰ اللّٰه أن يدخله مدخله:

فقد ورد أن الامام الحسين عليه السلام خطب في اصحاب الحر في البيضة[2]، فقال بعد الحمد للّٰه والثناء عليه: «أيها الناس، إن رسول اللّٰه قال: من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام اللّٰه ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول اللّٰه يعمل في عباد اللّٰه بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً علىٰ اللّٰه أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام اللّٰه وحرموا حلاله، وأنا أحقّ

---

(١) ارشاد المفيد. وابن شهرآشوب في المناقب ٢: ١٩٣.

(٢) البيضة: ما بين واقصة إلى عذيب الهجانات، وهي أرض واسعة لبني يربوع بن حنظلة.

من غيَّر، وقد اتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، ولكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

٩ ـ إني لا أرىٰ الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً:

لقد كان نزول الامام الحسين عليه السلام في كربلاء في الثاني من المحرم سنة إحدىٰ وستين[٢]، فجمع ولده وإخوته وأهل بيته، ونظر إليهم وبكىٰ وقال: «اللّهم إنا عترة نبيك محمد، قد أُخرجنا وطُردنا وأُزعجنا عن حرم جدنا، وتعدّت بنو أمية علينا. اللّهم فخذ لنا بحقنا، وانصرنا علىٰ القوم الظالمين».

وأقبل علىٰ اصحابه فقال: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق علىٰ ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الديّانون»[٣].

ثم حمد الله وأثنىٰ عليه وصلى علىٰ محمد وآله وقال: «أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلّا صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهىٰ عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرىٰ الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٧.

(٢) نص عليه الطبري في تاريخه ٣: ٣١٠، وابن الاثير في الكامل ٤: ٢٠، والمفيد في الإرشاد.

(٣) البحار ١٠: ١٩٨. ومقتل الخوارزمي ١: ٢٣٧.

(٤) هذا في اللهوف، وعند الطبري في تاريخه ٣: ٣٠٧ أنه خطب فيهم بذي حسم، وفي العقد الفريد ٢: ٣١٢،

١٠ ـ لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق:

عندما بعث الحر بن يزيد الرياحي إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين عليه السلام في كربلاء، كتب ابن زياد إلى الحسين عليه السلام: «أما بعد يا حسين، فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إليّ امير المؤمنين يزيد ألّا اتوسّد الوثير ولا أشبع من الخمير أو ألحقك باللطيف الخبير، أو تنزل علىٰ حكمي وحكم يزيد. والسلام».

ولما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب رماه من يده وقال: «**لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق.** وطالبه الرسول بالجواب فقال: **ما له عندي جواب، لأنّه حقت عليه كلمة العذاب**».

وأخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبو عبد الله عليه السلام، فاشتد غضبه[1] وأمر عمر ابن سعد بالخروج إلى كربلاء لقتال الامام الحسين عليه السلام.

١١ ـ لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد:

عندما أقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين ألفاً، دعا الامام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادىٰ بصوت عالٍ سمعه جلهم: «**أيها الناس، اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون﴾. ﴿إن وليّي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾** ».

ثم قال: «**الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة**

وحلية الأولياء ٣: ٣٩، وتاريخ ابن عساكر ٤: ٣٣٣ مثل ما في اللهوف، وفي مجمع الزوائد ٩: ١٩٢، وذخائر العقبىٰ: ١٤٩، وحلية الأولياء ٢: ٣٩، والعقد الفريد ٢: ٣١٢ ما يظهر منه أنه خطب بذلك يوم عاشوراء، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ٢٠٩ لما نزل عمر بن سعد بالحسين خطب اصحابه.

(١) البحار ١٠: ١٨٩، ومقتل العوالم: ٧٦.

بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقي من فتنته، فلا تغرّنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم علىٰ أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربنا وبئس العبيد أنتم! أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ﷺ، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون! إنا لله وإنا إليه راجعون. هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين[١].

أيها الناس انسبوني من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيار عمي؟ أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول ـ وهو الحق ـ فو الله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضرّ به من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الانصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس ابن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!».

ثم قال الحسين عليه السلام: «فإن كنتم في شك من هذا القول، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم! أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص

---

(١) مقتل محمد بن ابي طالب.

جراحة؟ فأخذوا لا يكلمونه، فنادىٰ: يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن ابجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن اقدم قد أينعت الثمار واخضرّ الجناب، وإنما تقدم علىٰ جند لك مجنّدة؟ فقالوا: لم نفعل.

قال: سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم. ثم قال: أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الارض، فقال له قيس بن الاشعث: أولا تنزل علىٰ حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلّا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك. أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد. عباد الله، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون. أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».

ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها[1].

١٢ ـ هيهات منّا الذلّة يأبىٰ الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون:

وخطب الامام الحسين عليه السلام خطبته الثانية فيمن جاء لقتاله، حيث ركب فرسه واخذ مصحفاً ونشره علىٰ رأسه، ووقف بإزاء القوم وقال: «يا قوم، إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله »[2].

ثم استشهدهم علىٰ نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبي صلى الله عليه وآله ودرعه وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسألهم عما أقدمهم علىٰ قتله، فقالوا: «طاعة للأمير عبيد الله بن زياد» فقال عليه السلام: «تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً! أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً

(١) تاريخ الطبري ٣:٣١٩.

(٢) تذكرة الخواص: ١٤٣.

اقتدحناها علىٰ عدونا وعدوكم؟ فأصبحتم ألباً لأعدائكم علىٰ أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات! تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبىٰ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان ومطفئي السنن! ويحكم! أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟ أجل والله، غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجىً للناظر، وأكلة للغاصب.

ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلّة، يأبىٰ الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام علىٰ مصارع الكرام. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة علىٰ قلة العدد وخذلان الناصر.

أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحىٰ، وتقلق بكم قلق المحور. عهد عهده إليّ أبي عن جدي رسول الله ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون﴾. ﴿إني توكّلت علىٰ الله ربي وربكم ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم﴾»[1].

ثم رفع يديه نحو السماء وقال: «اللّهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مُصبِرة، فإنهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكّلنا وإليك المصير[2].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٣٤. ومقتل الخوارزمي ٢: ٧ واللهوف: ٥٤.
(٢) اللهوف: ٥٦ ط. صيدا، ومقتل الخوارزمي ٢: ٧.

والله لا يدع أحداً منهم إلّا أنتقم لي منه، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي»(١).

١٣ ـ يا أمة السوء، بئسما خلفتم محمداً في عترته:

فقد روي أن الامام الحسين عليه السلام عندما ودّع عياله أمرهم بـالصبر ولبس الأُزر، وقال: «استعدّوا للبلاء، واعـلموا أن اللّـه تـعالىٰ حـاميكم وحـافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب عدوّكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكّوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم»(٢).

ثم صاح في القوم بصوت عال: «يا أمة السوء، بئسما خلفتم محمداً في عترته! أما إنكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قـتلكم إياي. وايم الله، إني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون. فقال الحصين: وبماذا ينتقم لك منا يابن فاطمة؟ قـال: يلقي بأسكـم بينكم ويسفك دماءكم، ثم يصبّ عليكم العذاب صبّاً»(٣).

١٤ ـ اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرّونا وخـذلونا وغـدروا بـنا وقتلونا ونحن عترة نبيك صلى الله عليه وآله:

وحتى اللحظات الاخيرة التي كان الامام الحسين عليه السلام يجود فيها بنفسه، وهو مضمخ بدمه علىٰ ارض كربلاء، لم يغفل أبداً عن مبدأيته الرسالية، فكانت آهاته وآلامه، وهو في تلك الحالة، هي تسليم لأمر الله، ونـظرٌ إلى مسـتقبل الرسـالة والأمة، وبيان لحقيقة موقفه وموقعه من الرسالة التي حملها، والدور الذي اضطلع

---

(١) مقتل العوالم: ٨٤.

(٢) جلاء العيون للمجلسي (بالفارسية).

(٣) مقتل العوالم: ٩٨، ونفس المهموم: ١٨٩، ومقتل الخوارزمي ٢: ٣٤.

به، فيما روي أن هلال بن نافع قال: «كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه، فو الله ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدمه أحسن منه وجهاً، ولا أنور، ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله، فاستقىٰ في هذه الحال ماء فأبوا أن يسقوه، وقال له رجل: لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها، فقال (عليه السلام): أنا أرد الحامية؟ وإنما أرد علىٰ جدي رسول الله، وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي، فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحدهم من الرحمة شيئاً »[١].

ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال: «اللّهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنيّ عن الخلايق، عريض الكبرياء، قادر علىٰ ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر علىٰ ما أردت، تدرك ما طلبت، شكور إذا شُكرت، ذكور إذا ذُكرت، أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً. اللّهم احكم بيننا وبين قومنا، فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله، الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته علىٰ الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين[٢].

صبراً علىٰ قضائك يا رب لا إله سواك يا غياث المستغيثين[٣]، مالي رب سواك ولا معبود غيرك، صبراً علىٰ حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائماً لا نفاد له، يا محيي الموتىٰ، يا قائماً علىٰ كل نفس بما كسبت، احكم بيني وبينهم وأنت خير

---

(١) ابن نما، مثير الاحزان: ٤٩.
(٢) مصباح المتهجد والإقبال، وعنهما في مزار البحار: ١٠٧، باب زيارته يوم ولادته.
(٣) اسرار الشهادة: ٤٢٣.

الحاكمين»[١].

المأساوية المروعة لواقعة كربلاء عنصر أساسي في تحقيق مصلحة الاسلام العليا:

لقد كان للصورة المأساوية التي تميّزت بها واقعة الطف الدامية في كل وقائعها ومفرداتها، دور مرسوم وأثر بليغ شاءه اللّه سبحانه لتتحقق للامام الحسين عليه السلام أهدافه الالهية من خلال نهضته الكبرىٰ. والمتصفح لكتب التاريخ التي تسرد تفاصيل واقعة الطف الأليمة سيهتز ضميره ويعتريه الحزن والألم الشديد، بل تجري دمعته مع كل مفردة من مفردات الواقعة المأساوية، منذ حركة الامام الحسين عليه السلام بأهل بيته وأصحابه من مكة المكرمة، حتى استشهاده علىٰ أرض كربلاء وسبي نسائه وأطفاله فيما بعد، وفي الوقت نفسه يستعر غضباً وغيضاً علىٰ الطاغية يزيد وابن زياد وعمّالهم من قتلة الامام الحسين عليه السلام؛ لشدة قسوتهم وظلمهم الذي لا حدّ له في طريقة مواجهة الامام عليه السلام، وقتله وقتل أهل بيته وأصحابه وسبي نساء عترة الرسول صلى الله عليه وآله وأطفالهم.

ولقد فعلت هذه المأساة فعلها في تأجيج عواطف المسلمين، خصوصاً أهل الكوفة وغيرها من حواضر العراق والحجاز، وخلقت الأرضية الواسعة لأيّة مبادرة تعبوية لمواجهة الخلافة الاموية، وكسر هيبتها، وفضح تسترها بستار الخلافة الاسلامية، ولهذا نجد أن مرحلة المواجهة والجهاد العنيد لهذا الخط المنحرف قد بدأت منذ أن بدأت النهضة الحسينية الكبرىٰ، واشتدت بعد استشهاده عليه السلام، وكلها تنادي بشعار الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، وهو شعار الامام الحسين عليه السلام الشهير، الذي أطلقه في نهضته حيث قال: «**رضا اللّه رضانا أهل البيت**».

---

(١) رياض المصائب: ٣٣.

ولم أجد أبلغ من وصف الامام الحسن عليه السلام لمأساة الامام الحسين عليه السلام، فقد روىٰ أبو عبد اللّٰه الصادق عليه السلام أن الحسين دخل علىٰ أخيه الحسن عليه السلام في مرضه الذي استشهد فيه، فلما رأى ما به بكى، فقال له الحسن: «ما يبكيك يا أبا عبد اللّٰه؟ قال: أبكي لما صنع بك. فقال الحسن عليه السلام: **إن الذي يؤتىٰ إليّ سمٌ يدس إليّ فاقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد اللّٰه، يزدلف إليك ثلاثون ألفاً يدّعون أنهم من أمّة جدنا محمد، وينتحلون دين الاسلام، فيجتمعون علىٰ قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار**»[1].

ولم يقف الأثر التعبوي للنهضة الحسينية عند حدٍّ مقطعي من مسيرة الأمة، بل تواصل بنمو نوعي وكمي مطّرد عبر العصور، حتى إننا نستطيع القول: إن من أبرز الأدلّة الواقعية علىٰ الأثر الدائم لهذه النهضة الخالدة في أعماق المسلمين، وتحقيقها للهدف الشامل في تقويم المصلحة الاسلامية العليا علىٰ مستوىٰ الرسالة والأمة جمعاء، هو هذا الإجماع المطلق في جميع العصور علىٰ تأييدها والتفاعل مع معطياتها، والإدانة المطلقة ليزيد بن معاوية موقفاً ومنهجاً، فهذه كتب الحديث والتاريخ والسير لكل المذاهب والفرق الاسلامية تجمع علىٰ ذلك، وهذه كتب المحدثين من اسلاميين وغير اسلاميين، ممن تناول قيام الامام الحسين عليه السلام ونهضته بالدرس والتحليل، تجمع علىٰ ذلك أيضاً، حتىٰ لقد جاء علىٰ لسان أحدهم، وهو الزعيم الهندي المعروف (غاندي) قوله: «لقد عرف الحسين كيف يكون مظلوماً فينتصر».

---

(١) أمالي الصدوق: ١٠١، المجلس ٢٤.

حفظ مصلحة الاسلام العليا

نهج متواصل في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام

ويستمرّ هذا الخطّ المقدّس في تقديم مصلحة الإسلام العليا علىٰ أيّة مصلحة أخرىٰ، في مواقف وسيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام ؛ فالإمام علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام رأىٰ في زمنه أنّ الأزمة الأخلاقيّة في الأمة الإسلاميّة، هي الخطر الأساسي الجديد الذي بدأ يغزو حواضر المسلمين وتجمّعاتهم. فبدلاً من مجالس الذكر الحكيم والحديث الشريف وتداول شؤون الإسلام والمسلمين، بدأت مجالس الشعر الماجن ومحافل الغناء والعزف تنتشر في كلّ مكان، وبرزت طبقة منهم لتتخصّص بهذه المفاسد إمعاناً في سلب الإرادة الإسلاميّة عن الأمّة، وتخديرها تحت سطوة الخلافة الأمويّة الجائرة، فما كان من الإمام زين العابدين عليه السلام إلّا أن ينتهج أسلوباً رائعاً من أساليب التربية الذاتيّة، ألا وهو الدعاء والمناجاة، ونشر مكارم الأخلاق، ونهج المسالك العرفانيّة العالية، التي من شأنها أن تدخل وتتفاعل تلقائيّاً مع كلّ فردٍ وفي كلّ ظرف، فانحسرت موجة المجون والفواحش لتقبع في سرايا القصور الأمويّة ومجالسها الخاصّة.

وهكذا مهّد الإمام السجّاد عليه السلام لحركة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام من بعده، لتبدأ أكبر مدرسة تحكي دعوة محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، ورسالة الإسلام الإلهي الأصيل بالبروز والانتشار في أوساط الأمّة، لينشأ جيل من علماء الإسلام الحقيقيّين، ولتبدأ علىٰ يدي هذين الإمامين وأيدي الأئمّة من بعدهما معركة الرسالة بكلّ أبعادها، مع رسالة الطاغوت بكلّ أشكاله وألوانه، ترسيخاً وإبعاداً لها عن شوب التحريف والتزوير، ولتنتشر في كلّ أمصار الأرض، وتصل صافية

نقيّة إلىٰ كلّ الأجيال المتعاقبة. فخاض الإمام الكاظم عليه السلام معركة الحاكميّة الإلهيّة لتثبيت مواصفات الحاكم الإسلامي وواجباته وطبيعة علاقته بالأمّة، وسلك الإمام الرضا والإمام الجواد عليهما السلام طريق حماية الإسلام من وافدة أهل الكتاب وشبهاتهم، ومستجدّات الحوادث والقضايا التي ظهرت في زمانهم، إحياءً للدين، وإظهاراً له علىٰ الدين كلّه. ولم توقف مسيرتهم الإسلاميّة الكبرىٰ هذه وسائل الإرهاب والبطش والسجن والتشريد والإغراء والإغواء، حتّىٰ استشهدوا جميعاً في سبيل مصلحة الإسلام العليا، واستتر آخرهم تمهيداً وإعداداً للأمّة وللصفوة منها، ليظهر عليه السلام بعد انتظار، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، ويكون الدين كلّه لله.

وبين استتاره وظهوره المبارك عجّل الله فرجه يستهدي محبّوه من أتباع أهل البيت عليهم السلام، والصفوة من أبناء مدرستهم الكبرىٰ، نفس المنهج وذات الخط في تقديم مصلحة الإسلام العليا علىٰ كلّ المصالح والشؤون، فتجدهم في كلّ قضايا المسلمين وشؤونهم، وما يُعدّ الدفاع عنه دفاعاً عن بيضة الإسلام، هم السبّاقين في البذل والعطاء بالنفس والمال والكلمة الهادفة والموقف المسؤول، فهذه قضيّة فلسطين قضيّة المسلمين الأولىٰ لم يصمد مع أبنائها المجاهدين حقّ الصمود، ويصدع بالحقّ الإسلاميّ فيها، مثلما صمد وصدع أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

والحكم الإلهي التأريخي للإمام الخميني قدس سره بإعدام المرتدّ سلمان رشدي، والإصرار الجازم علىٰ تنفيذه مثل بارز آخر علىٰ ذلك، فقد تمثّلت فيه كرامة وعزّة وقدسيّة الإسلام أمام الكفر والشرك، والاستخفاف بالمقدّسات الإسلاميّة. ولم يثنِ قادة أتباع أهل البيت عليهم السلام، عن استنهاض المسلمين في كلّ مكان لأداء هذا التكليف الإلهي، ما فرضه الاستكبار المحارب من صور الحرب السياسيّة والإعلاميّة، والتضحية بالكثير من المصالح الاقتصاديّة، والتعرّض لمختلف أشكال

المؤامرات الشيطانيّة الخبيثة.

وهكذا شأنهم في قضايا الإسلام الأخرىٰ: في مأساة شعب العراق، ومحنة المسلمين في الهند وكشمير، والمذابح الوحشيّة التي طالتهم في البلقان، وفتنتهم الدمويّة في طاجكستان وأذربيجان والصومال، والتنكيل الذي لاحقهم في مصر والجزائر وغيرها من بلاد الإسلام، والنهب الاقتصادي والاستعمار السياسي والحرب الإعلاميّة والثقافيّة التي تشنّها دول الاستكبار الغربي بقيادة الفرعون الأكبر أميركا. في كلّ ذلك وغيره من قضايا الإسلام والمسلمين الكبرىٰ، تجد أتباع أهل البيت عليهم السلام في القلب من حركة المسلمين، وعلماءهم الشوكة الدامية في عين الاستكبار وعملائه الطغاة أينما حلّوا أو رحلوا، وليس غريباً أن تقود أميركا وكلّ دول الكفر والشرك في الغرب حملة شيطانيّة مسعورة ؛ للنيل من دولة أهل البيت عليهم السلام في إيران، حركة الإشعاع، والإسناد، وقاعدة الدعوة والجهاد، واصفة إيّاها ببؤرة الإرهاب الدولي والخطر الأكبر علىٰ حضارتهم الكافرة وتطلّعاتهم الاستكباريّة، مبرّرة بذلك كلّ المؤامرات التي تحيكها للقضاء علىٰ هذه الدولة المباركة لإطفاء نورها الإلهي، ولن يكون لهم هذا ما دام الله تعالىٰ أساس وجودها وأصل حكومتها ﴿يُريدونَ أنْ يُطْفِئوا نُورَ اللهِ بأفْواهِهِمْ وَيَأبىٰ اللهُ إلّا أنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرونْ﴾[1].

---

(١) التوبة : ٣٢.

الأصل الثالث : حفظ وحدة المسلمين

الأسس المبدئية للوحدة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

لعلّ من أبرز المسائل التي تعيش أملاً حيّاً في ضمير المسلمين، وهدفاً أكيداً في تطلّعات الأُمة الاسلامية، ورغبة ملحّة لدىٰ رجالها وقادتها المجاهدين، هي مسألة الوحدة بين المسلمين، والتقارب بين مذاهبهم وفرقهم، وردم الهوة الوهمية بينهم تلك التي خلقها الجهل والهوىٰ، وأحكمها كيد حكّام الجور والفساد ، وعمل علىٰ اتساعها وتكريس أمرها في مرحلتنا المعاصرة الكفر العالمي ومؤسساته الثقافية والإعلامية الخبيثة، حتى استحكمت وأصبح أمرها يحتاج إلىٰ الهمّة العالية للعلماء المخلصين، والحركة الرائدة للقادة المجاهدين، والإرادة الماضية للأُمة الواعية الراشدة، خصوصاً وأن المشتركات تكاد تجعل، وبنظرة علمية موضوعية ، كل الاختلافات علىٰ الهامش فيما تحتفظ بالاصول والاركان واحدةً لا تعدد فيها، متحدةً لا خلاف عليها، سواءً كانت بمنطق صريح مباشر للثوابت والنصوص العقائدية والتشريعية أو بالملازمة العقلية والعقلائية لها.

وتتأكّد هذه الرؤية عند مراجعتنا لتراث السلف الصالح وأُطروحاتهم الحديثية والعلمية لمفردات الاسلام في مختلف أُصوله وفروعه، ذلك لأن يد التحريف والتزوير، ومواكبة مصالح الحكّام الفاسدين والسلاطين المنحرفين لم تكن قد توغلت واستقرّت بعد في كثير مما وصلنا من بعدهم، وقد كان لائمة أهل

بيت النبوة والعصمة عليهم السلام الدور الاساس في ذلك حتىٰ لقد تبلورت منهجية خاصة تميّزوا بها من خلال مدرستهم النبوية الاصيلة، بذلوا لتحقيقها في حياة الامة الاسلامية كل وجودهم وحياتهم ليصدق علىٰ واقع هذه الامة الوصف القرآني الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله...﴾[1]. كما كانت مواجهة الطغاة ومخططاتهم في اجهاض هذا الهدف الرسالي الكبير شرسة لا هوادة فيها.

وليس أدلَّ علىٰ ذلك من معاناة أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من علماء ورواة حديث وما تعرضوا له من اضطهاد وقمع وتشريد وسجن وتعذيب وقتل، منعاً للحق من أن يظهر وتدول دولته، وللأُمة من أن تعي وترشد فتتحد وتردع الباطل وتسقط سلطانه. ولن ينهض بهذا العبء الثقيل ويضطلع بهذه المسؤولية الكبرىٰ إلّا أهل العلم المخلصين ورجال الأُمة الواعين من أتباع هذه المدرسة الرائدة وسالكي نهجها القويم، الذين يدركون خطورة الأمر وأهميته، ومواطن الصحة من الفساد في المنقول ومنطق الصواب من الخطأ في المعقول، بروح اسلامية مسؤولة تأمل رضا الله، وبعقول علميّة متفتحة تفحص عن الحقيقة وتنشد الحق، وبأخلاقية تدعو إلىٰ سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي دراستنا المختصرة هذه نحاول أن نسلّط الضوء وبنظرة سريعة علىٰ الاسس المبدئية للوحدة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام لتكون مدخلاً مفهرساً لدراسة أكثر عمقاً وأوسع تفصيلاً في التعرف علىٰ معالم هذه المدرسة النبوية الطاهرة في منهجها واساليبها الالهية لبناء الامة الاسلامية الواحدة وتوحيد المسلمين علىٰ اسس الاسلام المحمدي الاصيل. وكلّنا أمل ورجاء أن

---

(١) آل عمران: ١١٠.

تتحقق بذلك خطوة أساسية، ويشيّد ركن ركين في مسيرة الوحـدة الاسـلامية المقدسة.

ويمكننا حصر هذه الأُسس من خلال الاستقراء القرآني والسيرة الشريفة في أساسين:

الأساس الأول: وحدة العقيدة الاسلامية.

الأساس الثاني: وحدة التشريع الاجتماعي والسياسي العام.

وسنتناولهما تباعاً ان شاء اللّٰه تعالىٰ.

الأساس الأول:

وحدة العقيدة الاسلامية

وهي المضمون العقائدي لشهادة «أن لا إله إلّا اللّه وأن محمداً رسول اللّه ﷺ».

فبقول «لا إله إلّا اللّه» تبدأ مسيرة التوحيد نحو الفلاح والصلاح «يا أيها الناس قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا»[١].

وبالشهادةِ لمحمد بن عبداللّه ﷺ بالرسالة الإلهية تنطلق رحلة التسليم والايمان نحو اللّه سبحانه: ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً﴾[٢].

وبهاتين الشهادتين تتحقق وحدة العقيدة الاسلامية في اساسيها الأوليين وهما توحيد اللّه والتسليم للرسول بالرسالة الالهية فتتقوم العلاقة الانسانية علىٰ اساس هذه العقيدة في الحقوق والواجبات وحفظ الحرمات، فعن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «من شهد أن لا إله إلّا اللّه واستقبل قبلتنا وصلىٰ صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما علىٰ المسلم»[٣].

ويقول ﷺ ايضاً: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلّا اللّه وأن محمداً رسول اللّه فإذا شهدوا أن لا إله إلّا اللّه وأن محمداً رسول اللّه واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلّوا صلاتنا حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلّا بحقها»[٤].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير: ١ : ٤٦٢، ط. دار الفكر.

(٢) النساء : ٦٥.

(٣) جامع الاصول ١:١٥٨.

(٤) راجع صحيح البخاري ٢، وصحيح مسلم ٦، وجامع الاصول ١ : ١٥٨ ـ ١٥٩.

وبذلك تتم الحجة الشرعية علىٰ اسلام قائلها ويحرم حينئذ نفي اصل الاسلام عنه وتكفيره في العقيدة وان صدر منه ما يخالف احكام الاسلام التفصيلية بعد ذلك لنهي رسول اللّٰه ﷺ عن ذلك في قوله: «**كفّوا عن أهل لا إله إلّا اللّٰه لا تكفّروهم بذنب فمن كفّر أهل لا إله إلّا اللّٰه فهو إلى الكفر أقرب**»[١]، وقوله ﷺ أيضاً: «**من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله ومن قتل نفساً بشيء عذّبه اللّٰه بما قتل**»[٢]، وقوله ﷺ أيضاً: «**إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فهو كقتله، ولَعْنُ المؤمن كقتله**»[٣].

وعليه ففي هذا الأساس مبدءان:

الأوّل: مبدأ التوحيد:

وهو الأُس الأوّل للصراط المستقيم، ومنطق حركة الانسان نحو الكمال الواحد الأحد ﴿**واعتصموا بحبلِ اللّٰهِ جميعاً ولا تَفرّقوا واذكروا نعمةَ اللّٰهِ عليكم إذ كنتم أعداءً فألّفَ بينَ قلوبِكم فأصبحتُم بنعمتِه إخواناً وكنتم علىٰ شفا حُفرةٍ من النار فأنقذكم منها كذلكَ يبيّنُ اللّٰهُ لكم آياتِهِ لعلّكم تهتدونَ**﴾[٤]. ﴿**لا إكراهَ في الدينِ قد تبيّنَ الرشدُ منَ الغيِّ فمنْ يكفرْ بالطاغوتِ ويؤمنْ باللّٰهِ فقد استمسكَ بالعروةِ الوثقىٰ لا انفصامَ لها واللّٰهُ سميعٌ عليمٌ**﴾[٥].

وبدونه لا يمكن ان تتوحد حركة أيّ انسان مع نظيره مهما كانت المحاولات والنوايا، ومهما توفّرت العوامل المادية لذلك ﴿**وإنْ يريدوا أن يخدعوكَ فإنَّ حسبَكَ اللّٰهُ هو الذي أيّدكَ بنصره وبالمؤمنينَ * وألّفَ بينَ قلوبِهم لو أنفقت ما في**

(١، ٢، ٣) راجع جامع الاصول ١ و ١٠ و ١١، وكنز العمال للمتقي الهندي ١.
(٤) آل عمران : ١٠٣.
(٥) البقرة : ٢٥٦.

الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ اللّهَ ألّفَ بينهم إنّه عزيزٌ حكيمٌ﴾[١].

بل سنجد كل انسان قد افترق إلى فرقة بنفسه، وبعدد أهواء النفوس وشهواتها ستكون هناك سبلٌ وفرق ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقياً فاتّبعوهُ ولا تتّبعوا السبلَ فَتَفَرّقَ بكم عن سبيلِه ذلكم وصّاكم بهِ لعلّكم تتقونَ﴾[٢]. ﴿شَرَعَ لَكم من الدينِ ما وصّىٰ به نوحاً والذي أوحينا إليكَ وما وصّينا بهِ ابراهيمَ وموسىٰ وعيسىٰ أنْ أقيموا الدينَ ولا تتفرّقوا فيه كَبُرَ علىٰ المشركينَ ما تدعوهم إليهِ اللّهُ يجتبي إليه مَنْ يشاءُ ويهدي إليه مَنْ يُنيبُ﴾[٣].

كما أن التوحيد هو الاساس في بناء الأمّة الواحدة ﴿إنَّ هذه أُمّتُكم أمّـةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون﴾[٤]، ﴿وإنَّ هذه أُمّتُكم أمّـةً واحـدةً وأنـا ربُّكـم فاتّقون﴾[٥]. وهو الاساس أيضاً في قلب الموازين الاجتماعية في بناء العـلاقات والجماعات، وتغيّرها من موازين النسب والحسب إلى موازيـن الايمـان بـاللّه والتحزّب له ومن أجله سبحانه ﴿لا تجد قوماً يؤمنونَ باللّهِ واليومِ الآخرِ يوادّونَ مَنْ حادَّ اللّهَ ورسولَهُ ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانَهم أو عشيرتَهم أُولئك كتبَ في قلوبِهم الإيمانَ وأيّدهم بروحٍ منه ويدخِلُهم جنّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها رضيَ اللّه عنهم ورضوا عنه اولئك حزبُ اللّه ألا إنَّ حزبَ اللّهِ هم المفلحونَ﴾[٦].

وهو بعد ذلك حصن المسلم وضمان لسلامة الدين والمصير، فقد روي عن

(١) الأنفال : ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) الانعام : ١٥٣.
(٣) الشورىٰ : ١٣.
(٤) الانبياء : ٩٢.
(٥) المؤمنون: ٥٢.
(٦) المجادلة : ٢٢.

علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام عن ابائه الطاهرين عليهم السلام عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: قال اللّٰه جلّ جلاله: «إني أنا اللّٰه لا إله إلّا أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلّا اللّٰه بالاخلاص دخل حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي»[١]. وعنه عليه السلام ايضاً عن آبائه الطاهرين عليهم السلام عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: «ما جزاء من أنعم اللّٰه عزّ وجل عليه بالتوحيد إلّا الجنة»[٢].

كما أن بالتوحيد كمال التصديق بالدين لقول اميرالمؤمنين عليه السلام: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده»[٣].

الثاني: مبدأ الايمان بالرسول والطاعة له:

وهو المبدأ الثاني من مبادئ العقيدة الاسلامية الواحدة، التي عاش المسلمون الأوائل حقيقتها علىٰ الأرض، وتفاعلوا معها قيماً وسلوكاً وجهاداً وآثاراً، وأقام علىٰ ذلك اللاحقون من بعدهم بعقولهم وعواطفهم وسلوكهم، وقولهم فيه قول اللّٰه عزّ وجل في محكم كتابه المجيد:﴿إنَّ اللّٰهَ وملائكتَه يصلّونَ علىٰ النبيِّ يا أيّها الذينَ آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[٤]. ويمكننا الإحاطة الاجمالية بهذا المبدأ ودوره في التوحيد والوحدة الاسلامية من خلال تناول المفردات التالية:

أ ـ الكتاب الإلهي الواحد «القرآن الكريم»:

باعتباره الكتاب الذي جاء به الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله من عند اللّٰه تعالىٰ، وقام

---

(١) التوحيد للصدوق : ٢٤ ـ ٢٥.
(٢) التوحيد للصدوق : ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) نهج البلاغة : خ ١.
(٤) الاحزاب : ٥٦.

بتبليغه للناس، وعمل علىٰ تثبيت مكانته المقدسة ووحدته في عقيدة المسلمين، وحفظه لهم بإذن اللّٰه، ودعاهم إلى أن يكون الدستور الأبدي لهم، ومن أبرز مداليل أن القرآن الكريم، باعتباره الكتاب الالهي الاوحد للمسلمين، أساس مبدئي للوحدة والاخوة بين المسلمين هي:

١ ـ كونه امام الأُمة المصدِّق والحقّ من اللّٰه تعالىٰ الذي لامرية فيه، ورحمته الواسعة الذي يتوحد المسلمون تحت لوائه وذلك مدلول قوله تعالىٰ: ﴿ومن قبله كتاب موسىٰ إماماً ورحمةً وهذا كتابٌ مصدِّقٌ لساناً عربياً لينذرَ الذين ظلموا وبشرىٰ للمحسنينَ﴾[١]، وقوله تعالىٰ: ﴿أفَمَنْ كان علىٰ بيّنةٍ من ربّهِ ويتلوهُ شاهدٌ منهُ ومن قبلِهِ كتابُ موسىٰ إماماً ورحمةً أُولئكَ يؤمنونَ بهِ ومن يكفرْ بهِ من الاحزابِ فالنارُ موعدُه فلا تكُ في مريةٍ منهُ إنّه الحقُّ من ربّك ولكنَّ اكثرَ الناسِ لا يؤمنونَ﴾[٢].

وعن علي اميرالمؤمنين عليه السلام قال: «عليكم بالقرآن فاتّخذوه اماماً قائداً»[٣].

وبخلاف ذلك تنتفي الوحدة وتحل الفرقة وينتشر الضلال ويضيع الدين وذلك قول اميرالمؤمنين عليه السلام: «انه سيأتي عليكم بعدي زمان ليس فيه شيءٌ اخفىٰ من الحقّ، ولا اظهر من الباطل.... فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم! لان الضلالة لا توافق الهدىٰ وإن اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا على الجماعة كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه، ولا يعرفون إلّا خطه وزُبْرَهُ...»[٤].

وهو حبل اللّٰه المتين في توحيد المبدأ وعروته الوثقىٰ في وحدة الدين

---

(١) الاحقاف: ١٢.

(٢) هود: ١٧.

(٣) كنز العمال: ح ٤٠٢٩.

(٤) نهج البلاغة: خ ١٤٧.

وطريقته المثلىٰ في صراطه المستقيم، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام «عـليكم بكتابِ اللّٰهِ، فإنّه الحبلُ المتينُ والنورُ المبينُ، والشفاءُ النافعُ... مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به سبقَ»[١].

وذكر الامام الرضا عليه السلام يوماً القرآن، فقال: «هو حبلُ اللّٰهِ المتينُ، وعروتُه الوثقىٰ، وطريقتُه المثلىٰ، المؤدّي الىٰ الجنّةِ، والمنجي من النارِ»[٢].

٢ ـ كونه يمتاز في هذا السبيل، سبيل الحجّة التامّة للواحد الأحد في المعبود، والتوحيد والوحدة الاسلامية في الدين، انه محفوظ لا ينحرف ﴿إنّا نحـن نـزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٣]، ويطمئن اللّٰه سبحانه رسوله الامين صلى الله عليه وآله بعدم ضياع القرآن الكريم فان عليه تعالىٰ جمعه وقرآنه ومن ثم بـيانه وهـو قـوله الكـريم: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فاذا قـرأنـاه فـاتبع قرآنه * ثم إنّ علينا بيانه﴾[٤].

كما أنه قائم لا يبلىٰ، وحق لا اختلاف ولا تخلّف فيه، وهو مفاد قول الامام الرضا عليه السلام: «لا يخلق من الأزمنة، ولا يغثّ علىٰ الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان، وحجّة علىٰ كل إنسان، لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ»[٥].

وعنه عن أبيه عليه السلام إن رجلاً سأل أبا عبداللّٰه عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد علىٰ النشر والدرس إلّا غضاضة؟ فقال: «لأن اللّٰه تبارك وتعالىٰ لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم

(١) نهج البلاغة :خ ١٥٦.
(٢) بحار الأنوار ٩٢ : ١٤.
(٣) الحجر : ٩.
(٤) القيامة : ١٦ ـ ١٩.
(٥) بحار الانوار ٩٢ : ١٤.

القيامة»[١].

وعن اميرالمؤمنين علي عليه السلام قـال: «كتاب اللّه تبصرون به، وتنطقون بـه، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه علىٰ بعض، ولا يختلف في اللّه ، ولا يخالف بصاحبه عن اللّه»[٢].

ومن بليغ وصفه عليه السلام للقرآن الكريم كونه قوام الاسـلام الابـدي وبـنيانه الازلي قوله: «.. ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخـبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يُظلم ضَـوْؤهُ، وفرقاناً لا يخمدُ بُرْهانهُ، وتبياناً لا تهدم أركانه وشفاءً لا تخشىٰ أسقامُه، وعزّاً لا تهزمُ أنصارُهُ، وحقّاً لا تخذلُ أعوانه، فهو معدن الايمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحورهُ، ورياض العدل وغدرانه، وأثـافي الاسـلام وبـنيانُهُ، وأوديـةُ الحـقِّ وغيطانه، وبحرٌ لا ينزفه المستنزفون، وعيونٌ لا ينضبها الماتحون، ومـناهلُ لا يغيضها الواردون، ومنازلُ لا يضلُّ نهجها المسافرون، واعلامٌ لا يـعمىٰ عـنها السائرون وآكامٌ لا يجوزُ عنها القاصدون...»[٣].

والقرآن بعد ذلك نزل بالحق مصدقاً لما سبقه من كتب الانبياء والمرسلين ومهيمناً وحاكماً عليها، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل اللّه ولا تتبع أهواءَهم عمّا جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء اللّه لجعلكم امةً واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى اللّه مرجعكم جميعاً فـينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[٤].

---

(١) بحار الانوار ٩٢ : ١٥.
(٢) نهج البلاغة : خ ١٣٣.
(٣) نهج البلاغة : خ ١٩٨.
(٤) المائدة: ٤٨.

٣ـ كونه الحجّة البيضاء التي لا طريق للباطل والفرقة والفتن بين المسلمين معها، لو يتلونه حق تلاوته ويتبعونه حقّ اتّباعه، وذلك مفاد قوله عزَّ من قائل في كتابه الكريم: ﴿الذين آتيناهم الكتابَ يتلونَه حقَّ تلاوتِه أُولئكَ يؤمنونَ بهِ ومن يكفرْ بهِ فأولئكَ همُ الخاسرون﴾[1]. وهو بعد ذلك مقوّم مبدئي للأُخوّة الاسلامية التي نادىٰ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وبذل اهل البيت عليهم السلام من بعده كل وجودهم من اجل تجسيدها وتحقيقها في واقع المسلمين وخصوصاً في سلوك وحياة أتباعهم ومحبيهم.

فعن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «أَوِّهِ علىٰ إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموهُ، وتدبّروا الفرضَ فأقاموه، أحيوا السنّةَ وأماتوا البدعةَ، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه»[2].

ثم هو حصن الامة من الفتن والمخرج الآمن منها، فعن أميرالمؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أتاني جبرئيل فقال: يا محمد سيكون في أُمّتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ماقبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم، وحكم مابينكم...»[3].

وعن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أُمتك ستفتن، فسئل: ما المخرج من ذلك؟ فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغىٰ العلم في غيره أضلّه الله...»[4].

وعن الصادق عليه السلام قال: «من لم يعرف الحقّ من القرآن لم يتنكب الفتن»[5].

---

(١) البقرة: ١٢١.
(٢) نهج البلاغة: خ ١٨٢.
(٣) تفسيرالعياشي ١ : ٣.
(٤) بحارالانوار ٩٢ : ٢٧.
(٥) بحار الانوار ٢ : ٢٤٢.

٤ ـ كما أن في القرآن الكريم حل مشاكل المسلمين وحكم ما بينهم، ونظم أمرهم، وبذلك يُحكم بناء الأُمّة الواحدة ويشتدُّ عودها وتقوىٰ شوكتها. وهو مدلول قوله تعالىٰ: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خسارا﴾[١]، وقوله تعالىٰ: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىٰ ورحمة للمؤمنين﴾[٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[٣].

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «القرآن غنيّ لا غنىٰ دونه، ولا فقر بعده»[٤].

وعن أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال: «واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحَدِّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدىً، أو نقصان من عمىً. واعلموا أنه ليس علىٰ أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنىً، فاستشفوهُ من أدوائكم، واستعينوا به علىٰ لاوائكم، فان فيه شفاءً من أكبر الداء: وهو الكفر والنفاق، والغيُّ والضلال، فاسألوا اللّه به، وتوجهوا اليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى اللّه تعالىٰ بمثله، واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدّق، وانه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه، ومن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة صُدِّق عليه، فانه ينادي منادٍ يوم القيامة: (ألا إن كل حارث مبتلىً في حرثه وعاقبة عمله، غير حَرَثَةِ القرآن). فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلوه علىٰ ربكم، واستنصحوه علىٰ انفسكم، واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه

---

(١) الاسراء: ٨٢.
(٢) يونس : ٥٧.
(٣) فصلت : ٤٤.
(٤) بحار الانوار ٩٢ : ١٩.

أهواءكم»[١].

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم»[٢].

وقال أيضاً: «... ألا إنَّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»[٣].

وعنه عليه السلام في وصف القرآن الكريم قال: «جعله اللّه ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخلَهُ، وهدىً لمن ائتمَّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلْجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآية لمن توسَّم، وجُنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روىٰ، وحكماً لمن قضىٰ»[٤].

وبالمفاد نفسه قال الصادق عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب اللّه عزّ وجل، ولكن لا تبلغه عقول الرجال»[٥].

ب ـ عظمة الرسول صلى الله عليه وآله وصفاته الكمالية:

إن الخصال المثالية والصفات الكمالية التي حباها اللّه تعالىٰ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وتعاهده عليها تحقق هدفين أساسيين في مضمار إمضاء الإرادة الإلهية علىٰ الارض، وسوق الانسان المسلم في مدارج الكمال إلى ربّه العزيز المتعالي

---

(١) نهج البلاغة: خ ١٧٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٩ : ٢٢٠.
(٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ٢١٧.
(٤) نهج البلاغة : خ ١٩٨.
(٥) الكافي ١ : ٦٠.

وهما:

١ ـ علىٰ صعيد تبليغ رسالة اللّٰه ودعوة الانسان لعبوديته سبحانه سيكون كمال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وعصمته من الخطأ والنسيان والخيانة مُنجّزاً للحجّة الإلهية التامة علىٰ الارض والبلاغ المبين في الدين للانسان، فعن أميرالمؤمنين عليه السلام في بيان هذه الصفة الشريفة والمنزلة الرفيعة للرسول الكريم صلى الله عليه وآله يقول: «... **أرسله علىٰ حين فترة من الرسل، وتنازع في الألسن، فقفىٰ به الرسل، وختم به الوحي، فجاهد في اللّٰه المدبرين عنه، والعادلين به...**»[1]. ذلك لأن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله لا ينطق إلّا عن وحي وتسديد إلهي لقوله تعالىٰ في كتابه الكريم: **﴿وما ينطقُ عن الهوىٰ * إن هوّ إلّا وحيٌ يوحىٰ * علّمهُ شديدُ القُوىٰ﴾**[2]. وبهذا تتحقق وحدة الدين ووحدة الطرح الإلهي للبشرية، وإلى هذا اشار أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما ورد من كتاب له للاشتر حين ولاه مصر: «... **واردُد إلى اللّٰه ورسوله ما يُضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور فقد قال اللّٰه تعالىٰ لقوم أحبّ ارشادهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللّٰه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردّوه الىٰ اللّٰه والرسول﴾ فالرد الىٰ اللّٰه: الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول: الأخذ بسنته الجامعة غير المفرّقة..**»[3].

وقد استوعب أميرالمؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة في امضاء ارادة اللّٰه لتحقيق وحدة الطرح الالهي من خلال عظمة الرسول صلى الله عليه وآله ومقامه الالهي قائلاً: «**اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك علىٰ محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الاباطيل، والدامغ**

---

(١) نهج البلاغة: خ ٨٩.

(٢) النجم: ٣ ـ ٥.

(٣) نهج البلاغة: ك ٥٣.

صولات الاضاليل ؛ كما حُمِّل فاضطلع قائماً بأمرك مُستوفزاً في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولا واهٍ في عزم، واعياً لوحيك حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك؛ حتىٰ أورىٰ قبس القابس واضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام، وأقام بموضحات الاعلام ونيرات الاحكام، فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق ورسولك الىٰ الخلق...»[١].

٢ ـ علىٰ صعيد التربية والإعداد لإنسان الرسالة الإلهية ومجتمع العدل الإلهي والأُمة الواحدة الراشدة ستكون الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ ورأفته ورحمته سبيلاً حسناً، وحكمته ودرايته منهجاً ربانياً لتحقق المصاديق النموذجيّة للاقتداء والتأسّي برسول الله ﷺ الذي أمر الله عباده به حيث قال في محكم كتابه الكريم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذكرَ اللهَ كثيراً﴾[٢].

ومن الواضح الجلي أنَّ التأسّي برسول الله ﷺ يعني بمفهوم لازمٍ وحدة التلقّي والأخذ، ووحدة السلوك ووحدة الدعوة والتبليغ في واقع المسلم المتأسّي، كما هو شأن الرسول ﷺ مع ربّه عزّوجل حين أدّبه وربّاه، فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام: «إن الله أدّب نبيّه ﷺ حتىٰ إذا أقامه علىٰ ما أراد، قال له: ﴿وأمُرْ بالعرفِ وأعرض عن الجاهلينَ﴾ فلمّا فعل ذلك له رسول الله ﷺ زكّاه الله فقال: ﴿إنّك لعلىٰ خلقٍ عظيمٍ﴾ فلمّا زكّاه فوّض إليه دينه فقال: ﴿ما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾»[٣].

---

(١) نهج البلاغة : خ ٧٢.
(٢) الأحزاب : ٢١.
(٣) الحشر : ٧.

وهكذا تكون أخلاق رسول الله ﷺ العظيمة، وخصاله الكريمة باعثَ شوقِ المسلمين وحبّهم لله الواحد الأحد، ورائد هديهم ورشادهم لصراطه المستقيم، وحجّةً تامة علىٰ صدق ما آتاهم من الدين، وعاملَ شدِّهم وتحريكهم لتولّي أمرهم في تحقيق إرادة الله وإعلاء كلمته في الأرضين، وكل ذلك عوامل بناء وترسيخ لوحدة الامة وتأسيس أرضية خلقية كاملة للأُخوة بين المسلمين.

وقد صدق الله في محكم كتابه إذ قال في ذلك: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عَنِتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ﴾[(١)]، وقوله تعالىٰ: ﴿فبما رحمةٍ من اللهِ لنتَ لهمْ ولو كنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولِكَ فاعفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاورهمْ في الأمرِ فإذا عزمتَ فتوكّلْ علىٰ اللهِ إنَّ اللهَ يحبُّ المتوكّلينَ﴾[(٢)].

ج ـ قيمة وآثار طاعة الرسول ﷺ:

إنَّ لطاعة الرسول ﷺ قيمةً وآثاراً ذكرها القرآن الكريم وأشارت اليها السنّة الشريفة للرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، خصوصاً في تحقيق أخلاقية الوحدة والاخاء بين المسلمين، ومن أبرز تلك القيم والآثار:

١ ـ إنّها تؤدي إلى توحيد الله، والتوبة والإنابة له سبحانه، وهي بذلك ترتّب آثار هذا التوحيد وتلك الإنابة في تحقيق وحدة المبدأ والمسار والمصير للمسلمين، حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿من يطعِ الرسولَ فقدْ أطاعَ اللهَ ومنْ تولّىٰ فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً﴾[(٣)] وجاء أيضاً: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلّا ليطاعَ باذنِ اللهِ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسَهم جاءوك فاستغفروا اللهَ واستغفرَ لهم

---

(١) التوبة : ١٢٨.

(٢) آل عمران : ١٥٩.

(٣) النساء: ٨٠.

الرسولُ لوجدوا اللّهَ تواباً رحياً﴾[١]. بل ان مخالفة رسول اللّه ﷺ وشقاقه الصريح هي في طول مخالفة وشقاق اللّه سبحانه وهي تساوق الكفر في الآثار والنتائج، وقد تضافرت آيات القرآن الكريم في بيان ذلك وتأكيده، منها قوله تعالىٰ: ﴿إن الذين يحادّون اللّه ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آياتٍ بيناتٍ وللكافرين عذاب مهين * يوم يبعثهم اللّه جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه اللّه ونسوه واللّه علىٰ كل شيء شهيد﴾[٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿ذلك بأنّهم شاقّوا اللّه ورسوله ومن يشاقِّ اللّه فانّ اللّه شديد العقاب﴾[٣].

ويذهب القرآن الكريم إلىٰ أبعد من ذلك فيؤكد أن التوحيد الخالص والايمان الحق لا يجتمع أبداً في قلب مؤمن مع ودٍّ من خالف اللّه ورسوله وإن كانوا آباءه أو أبناءه أو اخوانه أو عشيرته، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إن الذين يحادّون اللّه ورسوله اولئك في الاذلين * كتب اللّه لأغلبنّ أنا ورسلي إن اللّه قويٌّ عزيز * لا تجد قوماً يؤمنون باللّه واليوم الآخر يوادّون من حادّ اللّه ورسوله ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كَتَبَ في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي اللّه عنهم ورضوا عنه اولئك حزب اللّه ألا إنّ حزب اللّه هم المفلحون﴾[٤].

٢ ـ تحقيق وحدة الإمامة والقيادة الإلهية، وبالتالي وحدة القرار والحركة والهدف في مسيرة المسلمين نحو اللّه، إذ بوحدة الامامة والقيادة الإلهية تنتفي كل عوامل الاختلاف والتفرق عن سبيل اللّه. فطاعة رسول اللّه ﷺ والتسليم له بعنوانه اماماً وقائداً للمسلمين بلا حرج وشوب هو علامة كاشفة عن صدق

---

(١) النساء : ٦٤.

(٢) المجادلة : ٥ ـ ٦.

(٣) الحشر : ٤.

(٤) المجادلة : ٢٠ ـ ٢٢.

الايمان والاقرار بالحاكمية المطلقة للرسول صلى الله عليه وآله في كل شأن من شؤون الامة، وهي تقابل الصد عن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله والتحرّج من انفاذ قضاءه وتنفيذ أوامره، الذي هو علامة كاشفة عن النفاق وعدم صدق الايمان بالرسول صلى الله عليه وآله وبالتالي عدم الاقرار بامامته وقيادته الإلهية، وهو في واقعه المبدأ السلبي الذي منه تتفرق الامة وتتمزق إلى شيع وأحزاب لغيرالله يعادي بعضها بعضَها الآخر فيفشلوا وتذهب ريحهم، وهو مفاد قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللّٰهَ وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه الىٰ اللّٰهِ والرسول إن كنتمْ تؤمنونَ باللّٰهِ واليومِ الآخر ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلاً * ألمْ ترَ إلى الذين يزعُمون أنَّهم آمنوا بما أُنزلَ اليكَ وما أُنزلَ من قبلِكَ يُريدون أنْ يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقدْ أُمروا أنْ يكفروا بهِ ويريدُ الشيطانُ أنْ يُضلَّهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزلَ اللّٰهُ وإلى الرسولِ رأيتَ المنافقينَ يصدّونَ عنك صدوداً * فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ بما قدّمتْ أيديهِمْ ثمّ جاءوكَ يحلفونَ باللّٰهِ إنْ أردنا إلّا إحساناً وتوفيقاً * أُولئك الذينَ يعلمُ اللّٰهُ ما في قلوبِهم فأعرضْ عنهمْ وعِظهمْ وقلْ لهمْ في أنفسِهم قولاً بليغاً * وما أرسلنا من رسولٍ إلّا ليطاعَ بإذنِ اللّٰهِ ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسَهم جاءوكَ فاستغفروا اللّٰهَ واستغفر لهمُ الرسولُ لوجدوا اللّٰهَ توّاباً رحيماً * فلا وربِّكَ لا يؤمنونَ حتّىٰ يحكّموكَ فيما شجرَ بينَهمْ ثمَّ لا يجدوا في أنفسِهم حرجاً ممّا قضيتَ ويسلّموا تسليماً﴾[١]. وهو أيضاً مدلول قوله تعالىٰ: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب﴾[٢].

ومن هذه الرؤية المبدئية في وحدة الامامة والقيادة ندرك أهمية بيانات رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله المتكررة في تعيين من يخلفه اماماً وخليفة للمسلمين، وتتابع

---

(١) النساء: ٥٩ ـ ٦٥.

(٢) الحشر: ٧.

وصاياه في ضرورة اتباع وطاعة من نصبه للخلافة والامامة من بعده، وذلك حفظاً للدين واقامة لأركانه وتوحيداً للامة وصيانة لكيانها. وقد كانت هذه البيانات والوصايا في كمها وكيفها قد استوعبت كل الصيغ والاساليب والمناسبات المشهودة والمعهودة لدى المسلمين أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، منها:

أ ـ حديث الغدير: قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**»[1].

ب ـ حديث الثقلين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أيها الناس إنما أنا بَشرٌ أوشك ان ادعى فأُجيب، واني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما ـ أو ان اعتصمتم بهما ـ لن تضلّوا ابداً، وهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي، احدهما اثقل من الآخر، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فاتقوا الله وانظروا كيف تخلفوني ـ أو كيف تحفظوني ـ فيهما، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فانهم اعلم منكم وتوشكون ان تردوا عليَّ الحوض، وأسألكم حين تردون عليَّ عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما، فمن استقبل قبلتي واجاب دعوتي فليستوص بهم خيراً**»[2].

ج ـ حديث الكساء: روى الواحدي في كتابه المسمى باسباب النزول يرفعه بسنده إلى ام سلمة رضي الله عنها انها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتها يوماً فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها عصيدة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون

---

(١) روى هذا الحديث مسلم في الصحيح، والحاكم في المستدرك، بشرط الشيخين، وقد جمع العلامة الفقيه السيد مير حامد حسين أسناد هذه الروايات وحقق في سندها ومتنها في عشر مجلدات عبقات الانوار. كما حقق العلامة الأميني طرق هذه الرواية في موسوعته القيّمة (الغدير) بصورة موسعة، فراجع.

(٢) ورد هذا الحديث الشريف في صحيح مسلم ٧: ١٢٢، وسنن الترمذي ٥: ٦٢٠؛ طبع دار الفكر، وسنن الدارمي ٢: ٤٣٢، ومسند احمد بن حنبل ٣: ١٤، وخصائص النسائي: ٣٠، ومستدرك الحاكم ٣: ١٠٩، ١٤٨، ٥٣٣. وعشرات المصادر الحديثية الاخرى.

والنبي صلى الله عليه وآله جالساً على دكة، وتحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة قريباً منهم، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله الكساء، فغشاهم به ثم قال: **اللهم أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**. قالت: فادخلت رأسي، قلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: **إنك إلى خير، إنك إلى خير**، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ **انما يريدُ الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ »[1].

د ـ حديث الدار: روىٰ الطبري في تاريخه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: **« لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي ان الله أمرني ان انذر عشيرتي الاقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت اني متىٰ أُباديهم بهذا الامر ارىٰ منهم ما اكره، فصمت عليه حتىٰ جاء جبرئيل فقال: يا محمد انك ان لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من الطعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسّاً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتىٰ أكلمهم، وابلّغهم من أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب، فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به،**

---

(١) رواية ام سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي ٥ : ١٩٨ و ١٩٩. ورواية اخرىٰ في سنن الترمذي ١٣ : ٢٤٨. ومسند احمد بن حنبل ٦ : ٣٠٦. وأسد الغابة ٤ : ٢٩، و ٢ : ٢٩٧. وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٧. واخرىٰ بمستدرك الصحيحين ٢ : ٤١٦ و ٣ : ١٤٧. وسنن البيهقي ٢ : ١٥٠. واسد الغابة ٥ : ٥٢١ و ٥٨٩. وفي تاريخ بغداد ٩ : ٢٩٢. واخرىٰ بمسند احمد بن حنبل ٦ : ٢٩٢. ورواية ابن عباس بمسند احمد بن حنبل ١ : ٣٣٠، وخصائص النسائي : ١١. والرياض النضرة ٢ : ٢٦٩، ومجمع الزوائد ٩ : ١١٩ و ٢٠٧، وتفسير الآية بالدر المنثور.

ورواية عمر بن ابي سلمة بن عبد الاسد ابو حفص المخزومي في فضائل الخمسة ١ : ٢١٤ عن صحيح الترمذي ٢ : ٢٠٩. ورواية سعد بن ابي وقاص في خصائص النسائي : ٤ و ٥. وسنن الترمذي ١٣ : ١٧١ و ١٧٢. ورواية أنس بن مالك في سنن الترمذي ١٣ : ٢٤٨. ومجمع الزوائد ٩ : ٢٠٦.

وغيرهم مثل قتادة في تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته بأسد الغابة ٣ : ٤١٣، ومعقل بن يسار، راجع سنن الترمذي ١٣ : ٢٤٨.

وروىٰ استشهاد السبط الحسن عليه السلام بمستدرك الصحيحين ٣ : ١٧٢. ومجمع الزوائد ٩ : ١٤٦ و ١٧٢.

فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشقها بأسنانه، ثم القاها في نواحي الصفحة ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتىٰ ما لهم بشيء من حاجة، وما ارىٰ إلّا موضع ايديهم، وايم الله الذي نفس عليّ بيده، وان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتىٰ رووا منه جميعاً، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما اراد رسول الله ﷺ ان يكلمهم بدره ابو لهب إلى الكلام فقال: لهدّما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال: الغد يا علي، ان هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي. قال: ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالامس فأكلوا حتىٰ ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتىٰ رووا منه جميعاً.

ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ان ادعوكم اليه، فأيكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، فقلت ـ واني لأحدثهم سناً وارمصهم عيناً، واعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ: أنا يا نبي الله اكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا واطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب: قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع»[1].

---

(١) رواه ابن الاثير في تاريخه الكامل ٣ : ٦٢، وابن كثير الدمشق في البداية والنهاية ٣ : ٣٩ والحلبي في سيرته ١ : ٣٢٢، وتاريخ الذهبي : ١٤٤ و ١٤٥، وحياة محمد، لهيكل : ١٠٤، واثبات الهداة ١ : ٣٥٥، والصراط المستقيم ١ : ٣٢٥، وغاية المرام : ٣٢١، عن ابي الحديد. واعيان الشيعة ١ : ٢٣٠، والارشاد للمفيد : ٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١ : ٨٧، وفي كنز العمال ١٥ : ١١٥، وابن تيمية في منهاج =

هـ ـ حديث السفينة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»(١).

و ـ حديث الامان من الاختلاف: اخرج الطبراني عن ابن عباس، ان النبي صلى الله عليه وآله قال: «النجوم امان لأهل الارض من الغرق، واهل بيتي امان لأهل الارض من الاختلاف»(٢).

ز ـ حديث المودّة: أخرج الامام احمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ ﴾، قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما»(٣).

وقد اشتهر أمر هذه الاحاديث والوصايا النبوية وتمّت حجيتها وتحدت كل محاولات الطمس والتحريف والتزييف التي قام بها من كان في عقيدته برسول

= السنة ٤ : ٨٠، وشواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٣٧١، والقاضي لقمان في شرح الاخبار ١ : ١٠٦، والعلامة الاميني في الغدير ١ : ٢٠٦.

(١) رواه ابو نعيم في حلية الاولياء ٤ : ٣٠٦، وابن حجر في زوائد مسند البزار، باب اهل البيت والازواج : ٢٧٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٣، والطبراني في المعجم الكبير ١ : ١٢٥، والمحب الطبري في ذخائره : ٣٠، والحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٣، والمتقي في كنز العمال ٦ : ٢١٦، وفي مستدرك الصحيحين ٢ : ٣٤٣، والخطيب البغدادي في تاريخه ١٢ : ١٩، والفيروز آبادي، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢ : ٦٥.

(٢) رواه الشبراوي الشافعي، الاتحاف بحب الاشراف : ٢٠، والحاكم في مستدرك الصحيحين ٣ : ١٤٩، والمتقي في كنز العمال ٦ : ٢١٧، وابن حجر في صواعقه : ١٤٠.

(٣) راجع مناقب علي بن أبي طالب للمغازلي : ٣٠٧، أخرجه الامام احمد بن حنبل في المناقب : ٢١٨ مخطوط وخرّجه عن محب الدين الطبري في ذخائر العقبىٰ : ٢٤، واخرجه الثعلبي في الكشف والبيان والطبري في معجمه الكبير : ١٣١، وخرّجه عنه الكنجي في كفايته، ب ١١، ص ٩١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ و ٧ : ١٠٣، كلهم بالاسناد إلى الحسين بن الحسن الاشقر بعين السند واللفظ.

واخرجه بعين هذا السند ابن كثير الدمشقي في تفسيره ٤ : ١١٢ من طريق ابن ابي حاتم وابن حجر العسقلاني في تخريج أحاديث الكشّاف : ١٤٥، من طريق الطبراني وابن ابي حاتم، والحاكم في مناقب الشافعي.

اللّه ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام شوب وبقايا جاهلية جهلاء، ولو تولّوا من نصبه رسول اللّه ﷺ للخلافة من بعده لاستقامت الامة علىٰ الصراط المستقيم ولما كالها الشقاق والتفرق، وبهذا ورد أنه: «ذُكرت الامارة ـ أو الخلافة ـ عند النبي ﷺ فقال»: «... ان وليتموها عليّاً وجدتموه هاديا مهديّاً يسلك بكم على الطريق المستقيم»[١].

٣ـ ومن الآثار المهمة لطاعة رسول اللّه ﷺ هو منع سيادة حالة النفاق في أوساط المسلمين، وبالتالي الوقوف في وجه التفرّق والتشرذم والانكفاء عن الأهداف الإلهية للإسلام في هداية الناس، وتحقيق وحدة الأُمة الاسلامية وبناء كيانها الشامخ، وهو مدلول قوله تعالىٰ في محكم كتابه العزيز والذي يحدد فيه سبحانه علامات الطاعة للرسول ﷺ ولوازمها ويكشف عن حالات النفاق في طاعته والتسليم له ﷺ وعلامات هذا النفاق والآثار المترتبة عليه ويرشده الى الموقف المبدئي من المعرضين والمعارضين ﴿ويقولونَ آمنّا باللّهِ وبالرسولِ وأطعنا ثمّ يتولّىٰ فريقٌ منهم من بعدِ ذلكَ وما أُولئكَ بالمؤمنين * وإذا دُعوا إلى اللّهِ ورسولِهِ ليحكمَ بينهم إذا فريقٌ منهم معرضون * وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبِهم مرضٌ أمِ ارتابوا أم يخافون أن يحيفَ اللّه عليهمْ ورسولُه بل أُولئك هم الظالمون * إنما كان قولَ المؤمنينَ إذا دُعوا إلى اللّهِ ورسولِهِ ليحكمَ بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأُولئك همُ المفلحون * ومن يطعِ اللّهَ ورسولَه ويخشَ اللّهَ ويتّقِه فأُولئك همُ الفائزون * وأقسموا باللّهِ جهدَ أيمانِهم لئن أمرتهم ليخرُجُنّ قل لا تُقسموا طاعةٌ معروفةٌ إنّ اللّهَ خبيرٌ بما تعملون * قلْ أطيعوا اللّهَ وأطيعوا الرسولَ فإنْ تولّوا فإنّما عليه ما حُمّلَ وعليكم ما حُمّلتُم وإنْ تُطيعوه تهتدوا

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣: ٦٩.

وما على الرسولِ إلّا البلاغُ المبينُ﴾[١].

لهذا نجد أن القرآن الكريم قد عنىٰ بشكل كبير ومثير خطورة النفاق علىٰ انتشار دعوة الرسول ﷺ بين الناس واقامة مجتمع التوحيد وبناء أُمة الاسلام، فجاءت عشرات الآيات الكريمة تحذّر الرسول الكريم ﷺ منهم وتكشف نواياهم وخططهم في اجهاض الدعوة الاسلامية والتشكيك في مقام الرسول الكريم ﷺ وقيادته بهدف خلق حالة من التردد وعدم التسليم له ﷺ تمهيداً لأرضية التمرد عليه وعصيان أوامره. وكثيراً ما كان يَحذَر هؤلاء المنافقون أن تنزل آية كريمة لتكشف أمرهم وخططهم، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في مواضع متعددة، منها قوله تعالىٰ: ﴿يحذر المنافقون أن تُنزَّل عليهم سورةٌ تنبئُهُم بما في قلوبهم قل استهزئوا إنَّ اللّه مُخرجٌ ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولُنَّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أباللّه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَّعفُ عن طائفة منكم نعذِّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين * المنافقون والمنافقات بعضُهم من بعضٍ يأمرون بالمنكر وينهونَ عن المعروف ويقبضون ايديَهُم نسُوا اللّه فنسيهُم إن المنافقين هم الفاسقون * وعَدَ اللّهُ المنافقين والمنافقاتِ والكفار نارَ جهنَّم خالدينَ فيها هي حسبُهم ولَعَنَهمُ اللّهُ ولهم عذابٌ مقيمٌ﴾[٢].

ولجني هذه الثمرة الكبيرة وردع النفاق ومنع سيادته حذّر اللّه سبحانه رسوله الكريم ﷺ منهم ومن خططهم ونواياهم وأمره بجهادهم ومواجهتهم، والزمه بالاقدام وانفاذ ما أمره به، وتعبئة المؤمنين وتحريضهم علىٰ طاعته وامتثال أوامره، وتحذيرهم من دسائس المنافقين ودعاياتهم الكاذبة، فقد جاء العديد من آيات القرآن الكريم بهذا المدلول، منها قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفّار

---

(١) النور: ٤٧ ـ ٥٤.

(٢) التوبة: ٦٤ ـ ٦٨.

والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسولُهُ من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولّوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ومالهم في الأرض من وليٍّ ولا نصير * ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون * الم يعلموا أن الله يعلم سرَّهم ونجواهم وأن الله علّام الغيوب * الذين يلمزون المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلّا جُهدهم فيسخرون منهم سَخِرَ الله منهم ولهم عذابٌ اليم * استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللّهُ لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين * فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نارُ جهنم اشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون * فان رجعك الله إلى طائفةٍ منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوّاً إنكم رضيتم بالقعود أول مرةٍ فاقعدوا مع الخالفين * ولا تُصلِّ علىٰ أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم علىٰ قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تعجبك أموالُهم وأولادهم إنما يُريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أُنزلت سورةٌ أن آمِنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أُولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون * لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأُولئك هم المفلحون * أعدَّ الله لهم جنّاتٍ تجري

من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * وجاء المُعذِّرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسولهُ سيصيبُ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم﴾(١).

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ويقولون طاعةٌ فاذا برزوا من عندك بيَّت طائفةٌ منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يُبيِّتون فأعرض عنهم وتوكَّل علىٰ الله وكفىٰ بالله وكيلاً * أفلا يتدبرون القُرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً * وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونهُ منهم ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتهُ لاتَّبعتُمُ الشيطان إلّا قليلاً * فقاتل في سبيل الله لا تكلَّف إلّا نفسك وحرِّض المؤمنين عسىٰ الله أن يكُفَّ بأس الذين كفروا والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً﴾(٢).

---

(١) التوبة: ٧٣ ـ ٩٠.

(٢) النساء: ٨١ ـ ٨٤.

الأساس الثاني:

وحدة التشريع الاجتماعي والسياسي العام

وينطلق هذا الاساس المبدئي من الآية الكريمة: ﴿إنّ هذه أُمتكُم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدونِ﴾[1]، وتؤكّد آية كريمة أُخرىٰ ذات المفهوم فتقول: ﴿وإنَّ هذه أُمتكُم أمّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتّقون﴾[2].

ومن ظاهر الآيتين الكريمتين نجد أن علّة وحدة الامة الاسلامية هي وحدة الرب والمعبود، وأن هذه الوحدة لا تتحقق في اطارها الاجتماعي والسياسي إلّا إذا تجسّدت هذه العقيدة عبادةً للّٰه، وتقوىٰ علىٰ هديه وشريعته التي ارادها حياةً للأُمّة، وتوحيداً لها في سيرها الشامل نحو اللّٰه تعالىٰ.

ونجد مخطط هذه الوحدة الشاملة لجميع جوانب حياة الأُمّة وحركتها الالهية في الجوانب التالية:

١ ـ وحدة الشعائر الاسلامية:

كالقبلة الواحدة والصلاة والحج وغيرها ؛ ولهذا الجانب أثرٌ كبير في إبراز الصفة القدسية لمظهريّة وحدة الامة من خلال الشعائر الاسلامية الواحدة، فالقبلة الواحدة، وهي الكعبة المشرّفة، بيت اللّٰه الذي أقام قواعده نبيا اللّٰه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بأمر اللّٰه ووحيه: ﴿وإذْ يَرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربَّنا تقبّلْ منّا إنّكَ انتَ السميعُ العليمُ﴾[3].

---

(١) الأنبياء : ٩٢.
(٢) المؤمنون : ٥٢.
(٣) البقرة : ١٢٧.

والقيمة الرسالية المميّزة لقبلة المسلمين هذه أنها لم تكن قبلتهم بادئ الأمر، إلى أن أمر الله رسوله أن يتحوّل إلى الكعبة المشرّفة ويتخذها قبلة خاصة للمسلمين، فقد روىٰ علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «تحوّل القبلة إلى الكعبة بعدما صلّى النبي صلى الله عليه وآله بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلّىٰ إلى بيت المقدس سبعة أشهر، قال: ثم وجهه الله إلى الكعبة، وذلك أن اليهود كانوا يعيّرون رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون له: أنت تابع لنا، تصلي إلى قبلتنا، فاغتمّ رسول الله من ذلك غماً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله تعالىٰ في ذلك أمراً، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلّىٰ من الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه وحوّله إلىٰ الكعبة، وأنزل عليه: ﴿قد نَرىٰ تَقلُّبَ وجهِكَ في السَّماءِ فلنُولّينَّكَ قِبلةً تَرضاها فولِّ وَجهَك شَطرَ المسجدِ الحَرامِ﴾ وكان صلّى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة، فقالت اليهود والسفهاء: ﴿ما ولّاهُم عَن قِبلتِهم الّتي كانوا عَليها﴾»[1].

وبذلك تميّز المسلمون عن اليهود وكانت الكعبة قبلتهم دون سواهم، وحّدوا الله باستقبالها في صلاتهم وشعائرهم المتعلقة بها، فعن الامام الباقر عليه السلام قال: «إذا استقبل المصلّي القبلة استقبل الرحمن بوجهه لا إله غيره»[2]، فكانت بحق احدىٰ عوامل شعورهم بالأمة الواحدة في مبدئها ومسارها وغايتها، وكذلك الامر في الصلاة، فهي مبدأ بناء امة التوحيد والعدل، وذلك مفاد قوله تعالىٰ علىٰ لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام: ﴿ربِّ اجعَلني مُقيمَ الصَّلاةِ ومِن ذُرّيتي رَبَّنا وتَقبَّلْ دُعاءِ﴾[3].

---

(١) مجمع البيان ١ : ٢٢٣.

(٢) البحار ٨٢ : ٢٠٦.

(٣) ابراهيم : ٤٠.

وشأن الصلاة توحيد المسلمين، لكونها رأس الاسلام بعد الإقرار بالدين، فعن رسول الله ﷺ قال: «ليكن همّك الصلاة، فإنّها رأس الاسلام بعد الإقرار بالدين»[١]. ولكونها أيضاً وجه الدين، فعن الامام الصادق عليه السلام قال: «لكل شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة»[٢]. وكونها خير العمل وعمود الدين، فعن رسول الله ﷺ: «الصلاة عمود الدين»[٣]. وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: «أُوصيكم بالصلاة وحفظها، فإنها خير العمل، وهي عمود دينكم»[٤].

وعنه عليه السلام أيضاً: «اللّٰه اللّٰه في الصلاة ؛ فإنها عمود دينكم»[٥]، ولكون إقامتها إقامة للملّة، بل هي الملّة كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «عباد اللّٰه إن أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى اللّٰه جلّ ذكره الإيمان باللّٰه وبرسله وما جاءت به من عند اللّٰه وإقامة الصلاة، فإنها الملّة»[٦]، وهل أدلُّ من ذلك في شأنية الصلاة علىٰ وحدة المسلمين في الدين والملّة؟ خصوصاً إذا تُوّج أداؤها بالجماعة، ففي ذلك إظهار للحجة، وإعلان للتوحيد في العبادة، وبناء لأمّة الاسلام الواحدة.

فعن صلاة الجماعة قال الامام الرضا عليه السلام: «إنما جعلت الجماعة لئلّا يكون الاخلاص والتوحيد والاسلام والعبادة للّٰه إلّا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً، لأنَّ في إظهاره حجّة علىٰ أهل الشرق والغرب للّٰه وحده، وليكون المنافق والمستخفّ مؤدياً لما أقرَّ به، يظهر الاسلام والمراقبة، وليكون شهادات الناس بالاسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة، مع ما فيه من المساعدة علىٰ البرّ والتقوىٰ، والزجر

---

(١) البحار ٧٧ : ١٢٧.
(٢) البحار ٨٢ : ٣١٠.
(٣) كنز العمال ح ١٨٨٨٩.
(٤) البحار ٨٢ : ٢٠٩.
(٥) شرح نهج البلاغة ١٧ : ٥.
(٦) البحار ٧٧ : ٢٩٠.

عن كثير من معاصي الله عزّوجل»[١].

والحج هو الآخر شعيرة من شعائر الله الكبرىٰ التي تعبر تعبيراً عظيماً عن وحدة المسلمين وتواصلهم وتعارفهم وتناصرهم، من خلال الاجتماع الهائل للحجّاج المسلمين في مكّة المكرّمة علىٰ اختلاف قومياتهم وأوطانهم واجتهاداتهم الاسلامية، ومن خلال أدائهم الواحد وتناسقهم الفريد في أعمال الحج وشعائره الموحّدة، وجعْل الشارع الحجّ فريضة واجبة علىٰ المستطيع، يبرز أهميته وأثره في تحقيق أهداف الاسلام السياسية والاجتماعية الكبرىٰ، تصديقاً للآية الكريمة: ﴿ولِلّهِ علىٰ الناسِ حِجُّ البيتِ من استطاعَ إليهِ سبيلاً﴾[٢]؛ وهي بعد ذلك نداء وأذان للناس المسلمين للاجتماع: ﴿وأذِّنْ في الناسِ بالحجِّ يأتوكَ رجالاً وعلىٰ كلِّ ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميقٍ﴾[٣] ليتداولوا شؤونهم وينظّموا أمرهم، وليتشاوروا فيما يحقق وحدتهم وعزّتهم، ويقيم دينهم ويديل دولتهم، ويقوي شوكتهم سياسياً واقتصادياً.

كل ذلك يتم في أجواء شعائر الحجّ الإلهية المقدسة، وفي إطار المناخ الروحي لهذه الفريضة العبادية المشهودة، فعن هشام بن الحكم قال: « سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت له: ماالعلّة التي من أجلها كلّف اللّه العباد الحجّ والطواف بالبيت؟ فقال: إن اللّه خلق الخلق... وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كل قوم من التجارات من بلدٍ إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمّال، ولتعرف آثار رسول اللّه صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسىٰ .

---

(١) وسائل الشيعة ٥ : ٣٧٢ نقلاً عن العلل وعيون الأخبار.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) الحج : ٢٧.

ولو كان كل قوم (إنّما) يتّكلون علىٰ بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد، وسقطت الجلب والارباح، وعميت الاخبار، ولم تقفوا علىٰ ذلك، فذلك علّة الحج »[١].

وفي باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنه سمعها من الامام الرضا عليه السلام جاء: « فإن قال [قائل]: فلم أمر بالحج؟ قيل: لعلّة الوفادة إلى اللّٰه عزّ وجلّ وطلب الزيادة.... مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع في شرق الارض وغربها ... وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، مع ما فيه من التفقّه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿فَلولا نفرَ مِن كُلِّ فِرقةٍ منهم طائفةٌ ليَتفقَّهوا في الدِّينِ وليُنذِروا قَومَهم إذا رَجَعوا إليهم لعلَّهم يَحذَرونَ﴾ و ﴿لِيَشهدوا منافعَ لهم﴾ »[٢].

وهكذا لو تتبعنا باقي الشعائر الاسلامية لوجدناها طافحة بدلالات التوحيد العقائدي والوحدة الاجتماعية والسياسية بين المسلمين، مفعمة بروح التواصل والتناصر والتآخي في اللّٰه فيما بينهم.

٢ ـ وحدة الشأن الاسلامي:

وفي هذا الجانب يظهر أبرز صور التكافل وأقوىٰ الأواصر الأخوية بين أبناء الامة الاسلامية، وتنشأ منه حالة اجتماعية فريدة ومعبّرة عن شوكة المسلمين ومنَعَتهم، مما يؤهّلهم لتمثّل الوحدة السياسية فيما يتعلّق بكيانهم الاسلامي الواحد، ومجمل حركته العامة، وهو يخوض صراع إثبات الوجود وأصالة البقاء عقائدياً وحضارياً. وبنظرة فاحصة إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنّة الشريفة نجدها قد

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ٩.

(٢) عيون اخبارالرضا ٢: ١٢٦.

جاءت نصّاً جلياً في بيان هذا الأصل الاسلامي الشامخ، منها الآية الكـريمة التي تحكي قوّة الارتباط بين المؤمنين، وتعبّر عنها بالولاية، حيث تقول: ﴿والمُؤمنونَ والمُؤمناتُ بَعضُهمْ أولياء بَعضٍ يأمُرونَ بالمعروفِ ويَنهَونَ عن المُنكَرِ ويُـقيمون الصَّلاةَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ ويُطيعون اللّهَ ورَسولَهُ أُولئكَ سَيَرحَمُهم اللّهُ إنَّ اللّه عزيزٌ حكيمٌ﴾[1].

ويحدثنا الرسولصلى الله عليه وآله عـن وحـدة الشأن الاسـلامي فـيما بـين المـؤمنين، وضرورة اهتمام بعضهم بقضايا البعض الآخر وأمـوره، تحـقيقاً لتـلك الوحـدة فيقول: «مَنْ أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم»[2]، ويضيفصلى الله عليه وآله أيضاً مؤكّداً أن كل ذلك مرتبط باللّه، رافض للذل، محقق للعزّة، مصدّق قـوله تـعالىٰ: ﴿وللّهِ العِزّةُ ولِرسولهِ وللمُؤمنينَ﴾[3] فيقولصلى الله عليه وآله: «مَنْ أصبح من أمتي وهمّـته غير اللّه فليس من اللّه، ومن لم يهتمّ بأمور المؤمنين فليس منهم، ومن أقرَّ بالذلّ طائعاً فليس من أهل البيت»[4].

ويؤكّد حفيده الامام الصادقعليه السلام ذلك بقوله: «من لم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم»[5].

ثم يسلّط الرسولصلى الله عليه وآله الضوء علىٰ حالة الاهتمام بأُمور المؤمنين، ويـصفها بأنها حالة تواد وتراحم، ويـعلل ذلك بأن المـؤمنين هـم كـالجسد في تـرابـطه وإحساسه الواحد، فيقول: «مثل المؤمنون في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا

---

(١) التوبة : ٧١.
(٢) الكافي ٢ : ١٦٣.
(٣) المنافقون : ٨.
(٤) البحار ٧٧ : ١٦٢، ح ١٨١.
(٥) الكافي ٢ : ١٦٤.

اشتكىٰ بعضه تداعىٰ سائره بالسهر والحمّىٰ»[١].

ويقول الامام الصادق عليه السلام في ذلك أيضاً: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكىٰ شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده...»[٢].

ويقول عليه السلام أيضاً: «إنما المؤمنون إخوة بنو أبٍ وأمٍّ، وإذا ضرب علىٰ الرجل منهم عرق سهر له الآخرون»[٣].

إذن فوحدة الشأن الاسلامي أصل وحقيقة مبدئية مقوّمة للوحدة والاخوّة بين المسلمين، وأساس بنّاء في قيام الامة الاسلامية الواحدة.

٣ـ الولاية والتناصر بين المسلمين:

إنَّ اول ما أسّسه الرسول صلى الله عليه وآله بأمر اللّه سبحانه في بناء كيان الامة الاسلامية ، وعمل لتجسيده واقعاً محسوساً هو مبدأ الولاية والتناصر بين المسلمين، الذي عبّر عنه القرآن الكريم أروع تعبير حين قال: ﴿والمُؤمنونَ والمُؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ يأمُرونَ بالمعروفِ ويَنهَون عن المُنكرِ ويُقيمونَ الصَّلاةَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ ويُطيعونَ اللّهَ ورسولَه أولئكَ سيَرحَمهم اللّهُ إنّ اللّهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾[٤]. وبذل الرسول صلى الله عليه وآله الكثير لشدّ المسلمين نحو تمثلهم صورة حاكيةً معبرةً في جميع جوانب الحياة، سواء في بعدها الفردي أو الاجتماعي والسياسي، حتى أصبحت السمة البارزة والمميّزة لهم، ولدرجات قربهم إلى اللّه ورسوله، وتكشف لنا الآيات القرآنية الكريمة عن هذا المبدأ الأساسي بتفصيل رائع، حيث يقول تعالىٰ فيها: ﴿إنّ الّذينَ آمَنوا وهاجَروا وجاهَدوا بأموالِهم وأنفُسِهم في سبيلِ اللّه

---

(١) البحار ٦١ : ١٥٠.

(٢) الكافي ٢ : ١٦٦.

(٣) البحار ٧٤ : ٢٦٤.

(٤) التوبة : ٧١.

والّذين آوَوا ونَصَرُوا أولئكَ بعضُهم اولياءُ بعضٍ والّذينَ آمَـنوا ولم يُهـاجِروا مالكم من وَلايتِهم مِن شيءٍ حتّىٰ يُهاجِروا وإنْ استَنصَروكم في الدِّيـنِ فـعلَيكم النَّصرُ إلّا علىٰ قومٍ بينَكم وبينَهم مِيثاقٌ واللّٰهُ بما تَعمَلونَ بصيرٌ * والّذينَ كفروا بعضُهم أولياءُ بعضٍ إلّا تفعلوه تكُنْ فِتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ * والّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل اللّٰه والذين آووا ونصروا أولئك هم المُؤمنونَ حقّاً لهم مغفرةٌ ورِزقٌ كريمٌ * والّذين آمَنوا مِن بَعدُ وهاجَروا وجاهَدوا معكم فأولئكَ مِنكم وأولو الأرحامِ بـعضُهم أولىٰ ببعضٍ في كـتابِ اللّٰـهِ إنَّ اللّٰـهَ بكـلِّ شيءٍ عليمٌ﴾(١).

وقد جعل رسول اللّه صلى الله عليه وآله أمر التناصر بين المسلمين معياراً لانتماء المسـلم وارتباطه العضوي بالأمة الاسلامية وكيانها الواحد، فعن أبي عـبداللّٰـه عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن يسمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين، فلم يجبه فليس بمسلم»(٢).

ثم جعل لدماء المسلمين حـرمة أوجب حـفظها، وشرّع القـصاص لمـن يتجاوز عليها، بل جعل المسلمين ـ كل المسلمين ـ قوة واحدة متكافئة متكافلة في الدفاع عن كل فرد ينتمي مبدئياً إليهم، فعن الصادق عليه السلام قال: «خـطب رسـول الله صلى الله عليه وآله بمنىٰ (إلىٰ أن قال): المسلمون أخوة تـتكافأ دمـاؤهم، ويسـعىٰ بـذمتهم أدناهم، هم يد علىٰ من سواهم»(٣).

وعن إبراهيم بن عمر اليماني عنه عليه السلام قال: «حق المسلم علىٰ المسـلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يرویٰ ويعطش أخوه، ولا يكتسي ويعرىٰ أخوه، فما أعظم

---

(١) الأنفال : ٧٢ ـ ٧٥.
(٢) الكافي ٢ : ١٦٤.
(٣) وسائل الشيعة ٢٩ : ٧٥.

حق المسلم علىٰ أخيه المسلم!».

وقال عليه السلام: «أحِبّ لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإن سألك فأعطه لا تمله خيراً ولا يمله لك. كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته وإذا شهد فزره وأجلّهُ وأكرمه فإنه منك وأنت منه. فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتىٰ تسأل سميحتهُ، وإن أصابه خير فاحمد اللّٰه وإن ابتلي فاعضده، وإن تمحل له فأعِنه، وإذا قال الرجل لأخيه: أُف انقطع ما بينهما من الولاية، وإذا قال: أنت عدوي كفر أحدهما، فإذا اتهمهُ انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء».

وقال: «بلغني أنه عليه السلام قال: إن المؤمن ليزهر نوره لأهل السماء كما تزهر نجوم السماء لأهل الأرض».

وقال عليه السلام: «إن المؤمن ولي اللّٰه يعينه ويصنع له ولا يقول عليه إلّا الحق ولا يخاف غيره»(١).

وبذلك تُحكم أركان الولاية والتناصر في الامة الاسلامية، معبّرة عن أفضل وأهم عوامل قيام الوحدة الاجتماعية والسياسية بين ابنائها، علىٰ أُسسٍ عقائدية وطريقة عملية تكاملية، تجسد مبدأ التوحيد في منهجيّته لتوحيد الامة وجوداً وحركةً وهدفاً، ليصدق فيها قول اللّٰه عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيرَ أُمّةٍ أُخرجتْ للنّاسِ تأمُرون بالمعروفِ وتَنهَون عن المُنكرِ وتُؤمِنونَ باللّٰهِ﴾(٢).

---

(١) الكافي ٢: ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) آل عمران: ١١٠.

٤ ـ التواصي بالحق والتواصي بالصبر:

لا شكّ أن عظمة هذا المبدأ وقيمته في تكوين عصبة الايمان، وتقوية شوكة المسلمين ورص صفوفهم، وخلق المنعة والاقتدار في كيانهم هي العلّة في أن يُقسِم اللّه لأجله في قرآنه الكريم، وينصّ فيه علىٰ أنّ النجاة من الخسران المبين، والفوز بمراتب التسليم له سبحانه رهين بالتزامهم به محتوىً ومنهجاً في حياتهم الاجتماعية والسياسية، حيث يقول عزّ من قائل: ﴿والعصرِ * إنَّ الإنسانَ لفي خسرٍ * إلّا الّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ وتَواصَوا بالحقِّ وتَواصَوا بالصَّبرِ﴾[١].

إن التواصي بالحق والتواصي بالصبر علىٰ حمله والعمل به يوجب تحقق رتب للمؤمن تترتّب علاقته بالحقّ علىٰ ضوئها كالآتي:

أ ـ أولىٰ هذه الرتب هي معرفة الحق، وقد حدد الاسلام طريقة معرفته، وحصرها بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عند اللّه قرآناً، إرشاداً، وسنّةً للعقول، وتشريعاً للحياة، حيث خاطب اللّه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في محكم كتابه الكريم قائلاً: ﴿إنّا أرسلناكَ بالحقِّ بشيراً ونذيراً﴾[٢]، وجعل معيار الايمان وميزانه معرفة الحق من اللّه عزّ وجلّ عن طريق رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: ﴿... فأمّا الّذينَ آمَنوا فيعلَمونَ أنّه الحقُّ مِن ربِّهم﴾[٣]، ورفض المنهج الأرضي الذي يقرر أن معرفة الحق بالرجال، وأثبت العكس في أن معرفة الرجال تكون بالحقّ ليس إلّا، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنَّ دين اللّه لا يُعرف بالرجال، بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله»[٤] وقال عليه السلام أيضاً «إنّ الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال.

---

(١) العصر: ١ ـ ٣.

(٢) البقرة: ١١٩.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) أمالي المفيد: ٥.

اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله»[١].

وقد رسم الامام الصادق عليه السلام منهج معرفة الحق، وردع عن سواه فقال: **«مَنْ دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه، ومَنْ دخل فيه بالكتاب والسنّة زالت الجبال قبل أن يزول»**[٢]، كما حثَّ الاسلام علىٰ طلب الحق مهما كانت الموانع والعقبات، حيث لا يكون من أهل الحق إلّا مَنْ وجده وسلّم له وعمل به، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«خُض الغمراتِ إلىٰ الحقِّ حيث كان»**[٣]، وقال عليه السلام في ضرورة لزوم الحق عند معرفته ليكون من أهله: **«الزم الحق يُنزلك منازل أهل الحق يوم لا يُقضى إلّا بالحق»**[٤].

ب ـ وثاني هذه الرتب التسليم للحق والعمل به، وهو أول مصاديق معرفة الحق وآثاره الحقّة.

فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: **«السابقون إلى ظل العرش طوبىٰ لهم، قيل: يا رسول الله ومن هم؟ فقال: الذين يقبلون الحق إذا سمعوه ويبذلونه إذا سُئلوه ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم»**[٥].

وقد تألّق أمير المؤمنين في وصف هذه الرتبة، فقال ببلاغته الفريدة وفصاحته السديدة: **«ألا وإنّ الحقَّ مطايا ذلل، ركبها أهلها وأعطوا أزمّتها، فسارت بهم الهوينىٰ حتىٰ أتت ظِلّاً ظليلاً»**[٦]، وعن الامام الصادق عليه السلام قال: **«العزُّ أن تذلّ للحق إذا ألزمك»**[٧]، وفي العمل بالحق قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنَّ**

(١) ميزان الحكمة ٢: ٤٧٣ نقلاً عن كتاب علي وبنوه.
(٢) البحار ٢: ١٠٥.
(٣) البحار ٧٧: ٢٠٠.
(٤) غرر الحكم: ٤٦٥ ح ٤٠٨٩.
(٥) غرر الحكم ٢: ٤٧١، ح ٤١٢١.
(٦) نهج السعادة ٣: ٢٩٤.
(٧) البحار ٧٨: ٢٢٩.

أفضل الناس عند اللّٰه من كان العمل بالحق أحبّ إليه وإن نقصه وكرثه[١] من الباطل وإن جرّ فائدة وزاده»[٢].

وفي بيان الثمار الوفيرة والآثار العظيمة للتسليم للحق والعمل به يقول الامام الصادق عليه السلام: «إن اللّٰه إذا أراد بعبدٍ خيراً شرح صدره للإسلام، فإذا أعطاه ذلك أنطق اللّٰه لسانه بالحق فعمل به، فإذا جمع اللّٰه له ذلك تمّ له إسلامه ... ، وإذا لم يُردِ اللّٰه بعبدٍ خيراً وكله إلى نفسه، وكان صدره ضيّقاً حرجاً، فإن جرىٰ علىٰ لسانه حق لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يُعطه اللّٰه العمل به...»[٣].

ج ـ وثالث الرتب الصبر علىٰ الحق، لأنّ الحق ثقيل مبدأً يحمله الانسان المؤمن والجماعة المؤمنة، ومنهج حياة وعمل وجهاد يتنكّبه العاملون في طريق اللّٰه، ويقارعون به الجبت والطاغوت من أعداء اللّٰه والمستكبرين في الأرض، وقد نزلت في بيان شدة الحق وثقله علىٰ الانسان آيات كريمة منها قوله تعالىٰ: ﴿لقدْ جِئْناكُم بالحَقِّ ولكنَّ أكثركم للحَقِّ كارهونَ﴾[٤]، وتكرر في أكثر من آية قوله تعالىٰ: ﴿وأكثرُهم للحقِّ كارهونَ﴾[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، وفي أن العاقبة في الصبر علىٰ الحق قال: «الحق ثقيل، وقد يخفّفه اللّٰه علىٰ أقوام طلبوا العاقبة، فصبّروا نفوسهم، ووثقوا بصدق موعود اللّٰه لمن صبر واحتسب، فكن منهم واستغنِ باللّٰه»[٦]، وقال عليه السلام أيضاً: «لا يصبر للحقّ إلّا من يعرف فضله»[٧]، وقال عليه السلام أيضاً: «اصبر علىٰ

---

(١) كرثه الأمر: ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة / راجع لسان العرب، مادة «كرث».

(٢) البحار ٧٠: ١٠٧.

(٣) البحار ٧٨: ٢٢٤.

(٤) الشورىٰ: ٢٤.

(٥) المؤمنون: ٧٠ والزخرف: ٧٨.

(٦) البحار ٧٧: ٢٥٨.

(٧) غرر الحكم ٢: ٣٥٨.

مرارة الحق، وإياك أن تنخدع لحلاوة الباطل»[١]، وعن الامام الباقر عليه السلام قال: «لما حضرت أبي عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال: أي بُنيّ، أوصيك بما أوصاني أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنّ أباه عليه السلام أوصاه به: أي بنيّ، اصبر علىٰ الحق وإن كان مرّاً»[٢]. وعن الامام الصادق عليه السلام قال: «... اصبر علىٰ الحق فإنه لم يصبر أحدٌ قط لحقٍّ إلّا عوّضه اللّٰه ما هو خير له»[٣].

د ـ ورابع الرتب إعلان الحق والدعوة له تخلّقاً بأخلاق اللّٰه في ذلك حيث يقول عزَّ من قائل في كتابه الكريم: ﴿واللّٰهُ يقولُ الحقَّ وهُو يهدي السبيلَ﴾[٤]، وهذه الرتبة هي اعلىٰ الرتب وأسماها لما فيها من إقامة الحق وإرساء قواعده في الامة، وردع الباطل وأهله ومواجهة الجور وسلاطينه. وقد تواصلت آيات القرآن الكريم يؤكّد بعضها الآخر علىٰ ضرورة اضطلاع الامة المؤمنة بمهمة بيان الحق والدعوة إليه، منها قوله تعالىٰ: ﴿ومِن قوم موسىٰ أمةٌ يهدونَ بالحقِّ وبهِ يَعدِلونَ﴾[٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وممَّن خَلقْنا أمةٌ يهدونَ بالحقّ وبهِ يعدِلونَ﴾[٦]، كما أن هذه المهمة تعتبر من ممحصات الايمان ومحكّات اختباره، لا يفرق فيها من يتحملها بين أن تكون له وللأقربين منه أو عليه وعليهم ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنوا كُونوا قوّامينَ بالقِسطِ شُهداءَ للّٰهِ ولَو علىٰ أنفُسِكُم أو الوالدَينِ والأقربينَ إنْ يكُنْ غنياً أو فقيراً فاللّٰهُ أولىٰ بهِما فلا تتّبِعوا الهَوىٰ أنْ تعدِلُوا وإنْ تَلْووا أو تُعرضوا فإنَّ اللّٰهَ كانَ بما تعمَلونَ خَبيراً﴾[٧]، كما لا يفرق فيها بين رضاً أو غضب، فعن رسول

---

(١) غرر الحكم ٢: ٤٦٨، ح ٤١٠٥.
(٢) البحار ٧٠: ١٨٤.
(٣) البحار ٧٠: ١٠٧.
(٤) الاحزاب: ٤.
(٥) الأعراف: ١٥٩.
(٦) الأعراف: ١٨١.
(٧) النساء: ١٣٥.

الله صلى الله عليه وآله قال: «ما أنفق مؤمن نفقة هي أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من قول الحق في الرضا والغضب»(١) وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسين عليه السلام قال: «يا بنيّ، أوصيك بتقوىٰ الله في الغنىٰ والفقر، وكلمة الحقّ في الرضا والغضب»(٢).

بل إن مهمة اعلان كلمة الحق والصدع بها هي من أفضل الجهاد عند الله، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا لا يمنعنَّ رجلاً مهابة الناس أن يتكلّم بالحق إذا علمه. ألا إن افضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر»(٣)، وعن حفيده الامام الصادق عليه السلام قال: «كان أبي يقول: قم بالحق ولا تعرّض لما نابك»(٤).

وهكذا فلو ترقّت الامة وتسامت في رتب التواصي بالحق والتواصي بالصبر هذه تكامل بناؤها، ورُصَّت صفوفها، واشتد عودها، ولأصبحت امة الحق والعدل، يتوحّد فيها هدفها ومسارها ومصيرها ولتسنّمت بذلك رتبة الشهادة علىٰ الناس أمماً وشعوباً بعد الله ورسوله، ليصدق بحقها قوله تعالىٰ: ﴿وكَذلكَ جعَلْناكُم أُمّةً وَسَطاً لتَكونوا شُهَداءَ علىٰ النّاسِ ويَكونَ الرَّسولُ عليكُم شَهيداً...﴾(٥). ولا يتم ذلك جزافاً، بل لابد من الجهاد في الله حق الجهاد، والاعتصام به سبحانه في هذا السبيل لنيل هذه الرتبة السامية والشرف العظيم: ﴿وجاهِدوا في الله حقَّ جِهادِهِ هُوَ اجتَباكُم وما جعَلَ علَيكُم في الدّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلّةَ أبيكُم إبراهيمَ هُوَ سَمّاكُم المسلمينَ مِنْ قَبلُ وفي هذا ليكونَ الرَّسولُ شهيداً علَيكُم وتكونوا شُهَداءَ علىٰ النّاسِ فأقيمُوا الصّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ واعتَصِموا باللهِ هُوَ

---

(١) البحار ٧١: ٣٥٨.
(٢) البحار ٧٧: ٢٣٦.
(٣) كنز الفوائد ح ٤٣٥٨٨.
(٤) البحار ٧٤: ١٩٦.
(٥) البقرة: ١٤٣.

مَولاكم فنِعمَ المَولىٰ ونِعمَ النَّصيرُ﴾[١].

وقد بيّن اللّٰه سبحانه أنّ كل ما يصيب الامة الراشدة من قرح وفتن فهو سنّة قائمة في الناس لا تختص بالمؤمنين منهم، فيجب أن لا تثنيهم عن تنكّب طريق الحق والعدل والوصول إلى رتبة الشهادة الكبرىٰ: ﴿إنْ يَمسَسْكُم قَرْحٌ فقَدْ مسَّ القومَ قَرْحٌ مِثلُه وتِلكَ الأيامُ نُداولُها بينَ النّاسِ ولِيعلَمَ اللّٰهُ الّذينَ آمَنوا ويتَّخِذَ مِنكُم شُهداءَ واللّٰهُ لا يُحبّ الظالمينَ﴾[٢].

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنّ هذه الوظيفة الالهية والمبدأ الاسلامي ذات مفادٍ شامل لكل أبعاد الحياة الفكرية والعملية، وتكاد تنحصر ثمارها بممارستها علىٰ صعيد الامة خصوصاً، حيث لا نجد آية كريمة في القرآن الكريم لا يكون فيها خطاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبطاً بالمؤمنين، بوصفهم أمّة واحدة وجماعة متحدة يوالي بعضهم البعض الآخر، كما نجد أن طبيعة الارتباط بين وحدة الامة الاسلامية، بما تتحلىٰ به من إيمان وخير ورشاد، وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارتباط الموصوف بصفته والمعلول بعلته، فقد جعل اللّٰه سبحانه وتعالىٰ الأمة الاسلامية خير الأمم التي اخرجت للناس، بوصفها تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتؤمن باللّٰه: ﴿كُنتُم خَيرَ أمّةٍ أُخرِجتْ للنّاسِ تأمُرونَ بالمعروفِ وتنهَونَ عن المُنكرِ وتُؤمِنونَ باللّٰهِ﴾[٣]. كما أن ارادة اللّٰه سبحانه وتعالىٰ شاءت أن تكون سُنَّة التمكين في الأرض للامة المؤمنة معلّلة لإقامة الصلاة وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿الّذينَ إنْ مكّنّاهُم في الأرضِ أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوا

---

(١) الحج : ٧٨.

(٢) آل عمران : ١٤٠.

(٣) آل عمران : ١١٠.

الزَّكاةَ وأمَروا بالمعروفِ ونهَوا عن المنكرِ وللّهِ عاقبةُ الأُمورِ﴾[١]، وهكذا الأمر في غيرها من الآيات الكريمة وما جاء في السنّة الشريفة.

وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تزال امتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا علىٰ البر، فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم علىٰ بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[٢].

وللإحاطة بهذا المبدأ الاسلامي المهم، ودوره الخطير في بناء وتوحيد الامة الاسلامية، نعرض له باختصار في ثلاثة جوانب أساسيّة:

أولاً: أهلية الأمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فلو لم تكن الامة مؤهلة للقيام بهذه الوظيفة الإلهية الخطيرة، فإنها ستفقد أهم عامل من عوامل قوة شوكتها ودوام وحدتها، ذلك أن الامام الباقر عليه السلام قال: «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق اللّه عزّ وجلّ فمن نصرهما أعزه اللّه ومن خذلهما خذله اللّه»[٣].

وأهلية الامة هنا تعني توفرها علىٰ خصائص معينة بما هي أمة، وهذه الخصائص هي:

أ ـ الايمان باللّه ورسوله والتسليم والطاعة لهما، وهذه الصفة هي المنبع الأول والأساسي لمعرفة كل معروف يراد الأمر به، ومعرفة كل منكر يراد النهي عنه، والاستقامة في أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحقيق ثماره في الأمة: ﴿يومَ نبعَثُ في كلِّ أمّةٍ شهيداً عليهِم مِن أنفُسِهم وجِئنا بكَ شهيداً علىٰ هؤلاءِ

---

(١) الحج: ٤١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٩٨.

(٣) البحار ١٠٠: ٧٥.

ونزّلنا عليكَ الكِتابَ تِبياناً لكلِّ شيءٍ وهُدىً ورحمةً وبُشرىٰ للمسلمينَ﴾[١]، ولذا نجد أن اللّٰه سبحانه قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياق الايمان باللّٰه واليوم الآخر، ليحقَّ في القائمين به أنّهم من الصالحين: ﴿ليسُوا سَواءً مِن أهلِ الكتابِ أمّةٌ قائمةٌ يتلونَ آياتِ اللّٰهِ آناءَ اللّيلِ وهُم يسجُدونَ * يُؤمنونَ باللّٰهِ واليوم الآخرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهَونَ عن المُنكرِ ويُسارعونَ في الخيراتِ وأولئكَ مِن الصالحينَ﴾[٢]. وفي آية اخرىٰ جعل اللّٰه سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياق الايمان بالرسول واتّباعه واتّباع النور الذي أُنزل معه، وبذلك يصدق وصف اللّٰه لهم بالمفلحين: ﴿الّذينَ يتّبِعونَ الرّسولَ النّبيَّ الأُمّيَّ الّذي يجِدونَه مكتوباً عِندهم في التَّوراةِ والإنجيلِ يأمُرهم بالمعروفِ ويَنهاهم عن المُنكرِ ويُحلُّ لهُم الطيِّبات ويُحرِّمُ عليهِم الخَبائثَ ويضَعُ عَنهم إصْرَهم والأغلالَ الّتي كانتْ عليهِم فالّذينَ آمَنوا بهِ وعزَّروهُ ونَصروهُ واتَّبعوا النُّورَ الّذي أُنزلَ معَه أولئكَ هُم المُفلحونَ﴾[٣].

وفي ضرورة احاطة من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر بأحكام الاسلام، وعلمه بتفصيلاتها واستقامته عليها وحكمته في أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الامام الصادق عليه السلام: «إنّما يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عالِمٌ بما يأمر عالِمٌ بما ينهىٰ، عادلٌ فيما يأمر عادلٌ فيما ينهىٰ، رفيقٌ بما يأمر رفيقٌ بما ينهىٰ»[٤]، وقال عليه السلام عندما سُئل عنهما: «إنما هو علىٰ القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا علىٰ الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً إلى أي من أي. يقول: إلى الحق أم إلى الباطل، والدليل علىٰ ذلك من كتاب

(١) النحل : ٨٩.
(٢) آل عمران : ١١٣ ـ ١١٤.
(٣) الأعراف : ١٥٧.
(٤) تحف العقول : ٣٥٨.

اللّٰه قول اللّٰه عزّ وجلّ ﴿ولتَكُن مِنكُم أُمّةٌ يَدعونَ إلى الخَيرِ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾...»[١].

ب ـ الولاية فيما بين أبناء الأمة المؤمنة، فلو لم يكن بين ابناء الامة الواحدة موالاة الايمان لكان ثلماً في طاعتهم للّٰه ورسوله، ومن ثم تخلّفاً في اقامتهم للدين، وقوامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ظاهر تفريع اللّٰه سبحانه وتعالىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة اللّٰه ورسوله علىٰ الولاية فيما بين المؤمنين والمؤمنات في قوله عزّ من قائل: ﴿المُؤمنونَ والمُؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ يأمرونَ بالمعروفِ وينهَونَ عن المُنكرِ ويُقيمون الصَّلاة ويُؤتونَ الزَّكاةَ ويُطيعونَ اللّٰهَ ورسولَه أولئكَ سيَرحَمُهم اللّٰهُ إنَّ اللّٰه عزيزٌ حكيمٌ﴾[٢].

وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يؤكّد أنَّ أهم عوامل الولاية بين المؤمنين والمؤمنات هو الأمر بالمعروف، حيث قال: «من أمر بالمعروف شدَّ ظهور المؤمنين»[٣]، وقال عليه السلام أيضاً: «الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق»[٤]، أما ضعف الايمان الذي يبغضه اللّٰه سبحانه، وهو أخطر الوهن في الفرد المؤمن والأمة المؤمنة، فهو لازم لعدم النهي عن المنكر، وهو قول رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: «إن اللّٰه ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهىٰ عن المنكر»[٥].

ج ـ الخلافة للّٰه ولرسوله في الأرض، التي يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) البحار ١٠٠ : ٩٣.

(٢) التوبة : ٧١.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة : ٣١.

(٤) غرر الحكم: ٢٥٦، ح ١٢٣٩٤.

(٥) وسائل الشيعة ١١ : ٣٩٩.

المنكر من أهم مستلزماتها وواجباتها ؛ لقوله تعالىٰ في محكم كتابه الكريم: ﴿الّذينَ إنْ مكّنّاهم في الأرضِ أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوا الزَّكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونهَوا عن المُنكرِ ولِلّهِ عاقبةُ الأُمورِ﴾(١)، وقال الامام الباقر عليه السلام «إن اللّه جعل للـمعروف أهلاً من خلقه حبب اليهم فعاله، ووجّه لطلاب المعروف الطلب اليهم ويسر لهم قضاءه، كما يسر الغيث للأرض المجدبة »(٢). والخلافة عهد وبيعة بايع بها المؤمنون ربّهم اللّه ورسوله علىٰ حمل الأمانة الالهية وأدائها في الأرض، وإقـامة الديـن وإعلاء كلمته، وإن من أهم مقوماتها الأمر بالمعروف والنهي عن المـنكر، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ اللّهَ اشترىٰ مِن المؤمنينَ أنفُسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنَّةَ يُقاتلونَ في سبيلِ اللّهِ فيَقتُلون ويُقتَلون وعداً عليهِ حقّاً في التّوراةِ والإنجيلِ والقرآن ومَنْ أوفىٰ بعهدِهِ مِن اللّهِ فاستَبشروا ببَيعِكم الّذي بايَعتُم بهِ وذلكَ هُوَ الفوزُ العظيمُ * التّائبونَ العابدونَ الحامدونَ السّائحونَ الرّاكعونَ السّاجدون الآمرونَ بالمعروفِ والنّاهونَ عَن المُنكرِ والحافظونَ لحدودِ اللّهِ وبَشّرِ المُؤمنينَ﴾(٣).

والخلافة هنا خلافة الامة المؤمنة الواحدة التي يسـعىٰ لتـحقيقها الرسـل وأتباعهم من المؤمنين الصالحين، فهي خـلافة الديـن ورسـالته في الأرض التي وعدها اللّه عباده الصـالحين ﴿وَعـدَ اللّـهُ الّـذينَ آمَـنوا وعَـمِلوا الصّـالحاتِ لَيستَخلِفنّهم في الأرضِ كما استَخلفَ الّذينَ مِن قبلِهم ولَيُمَكّننّ لهم ديـنَهم الّـذي ارتَضىٰ لَهُم وليُبدِّلَنّهم مِن بَعدِ خَوفِهم أمْناً يَعبُدونَني لا يُشرِكونَ بِيْ شَيئاً ومَنْ كفَرَ بَعدَ ذلكَ فأولئكَ هُم الفاسِقونَ﴾(٤)، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «من أمر بالمعروف ونهىٰ

---

(١) الحج : ٤١.
(٢) الكافي ٤ : ٢٥.
(٣) التوبة : ١١١ ـ ١١٢.
(٤) النور : ٥٥.

عن المنكر فهو خليفة اللّٰه في الأرض، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله»[١].

ثانياً: دوائر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث دوائر هي:

أ ـ الدائرة الاولىٰ هي دائرة الامة داخلياً، سواء أكان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ صعيد فردي فيها، أو علىٰ صعيد جماعي، كما لو استشرت حالة المنكرات والإعراض عن المعروف استشراءً اجتماعياً عاماً، أو كانت هناك منظمات خاصة تقبع وراء انتشار المنكرات والإعراض عن المعروف بشكل مباشر أو غير مباشر، لذا جعل الاسلام غايته وقوامه في هذه الدائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا ينبغي لنفس مؤمنة ترىٰ من يعصي اللّٰه فلا تنكر عليه»[٢]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فرض اللّٰه تعالىٰ النهي عن المنكر ردعاً للسفهاء»[٣]، وعنه عليه السلام ايضاً قال: «غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود»[٤]، وقال أيضاً: «قوام الشريعة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود»[٥]. كما أن في الأمر بالمعروف تحقيقاً لمصلحة العامة في المجتمع الاسلامي الموحَّد، وذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فرض اللّٰه تعالىٰ... الأمر بالمعروف مصلحة للعوام»[٦].

ب ـ الدائرة الثانية هي دائرة حكّام الجور التي طالما جاهدها المؤمنون المجاهدون في أغلب أدوار المسيرة الاسلامية عبر تاريخها الطويل ؛ والأمر

---

(١) كنز العمال، ح ٥٥٦٤.
(٢) كنز العمال، ح ٥٦١٤.
(٣) البحار ٦ : ١١١.
(٤) مستدرك الوسائل ٢ : ٣٥٩.
(٥) غرر الحكم ٢ : ٨٠.
(٦) البحار ٦ : ١١١.

بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الدائرة من أفضل الجهاد لقول رسول الله ﷺ: «ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر»(١).

وقال الامام علي (عليه السلام): «ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، ولكن يضاعفان الثواب ويعظمان الأجر، وأفضل منهما كلمة عدل عند امام جائر»(٢). بل إن البرَّ كلّه والجهاد في سبيل اللّٰه لا يعدلان قيمة ودور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لقول امير المؤمنين (عليه السلام): «ما اعمال البرّ كلّها، والجهاد في سبيل اللّٰه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحر لجّي»(٣)، وما نهضة الامام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته الكرام، وثورته علىٰ يزيد المنحرف الجائر إلّا تصديق لهذا الأمر الالهي، وصدعٌ بكلمة الحق في وجه السلطان الجائر الذي رام حرف الدين، والاجهاز علىٰ أصوله وتعطيل فروعه ومحو صورته الالهية التي جاهد رسول اللّٰه ﷺ، وأهل بيته الطاهرون (عليهم السلام) وأصحابه الكرام (رضوان اللّٰه تعالىٰ عليهم) لتثبيتها وتوحيد الأمة عليها، وهو القائل (عليه السلام) في ذلك: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي»(٤).

ولولا ثورة الامام الحسين (عليه السلام) والمواقف الجهادية المتواصلة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم المخلصين، لوجدنا أن الأمة الاسلامية الواحدة أمم متعددة بعدد سلاطين الجور والضلال، ولما حصل هذا الانفصال والتقابل بين الأمة المؤمنة

---

(١) كنز العمال ح ٤٣٥٨٨.

(٢) غرر الحكم ٦ : ٢٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٩ : ٣٠٦.

(٤) البحار ٤٤ : ٣٢٩.

وهؤلاء السلاطين، ولما جعل منها أمة واحدة في مواجهة ألوان الجاهلية والتجبّر والطغيان، رغم الحدود والموانع المختلفة بين شعوبها وأوطانها.

ج ـ الدائرة الثالثة هي الدائرة الخارجية التي تدفع فيها الأمة الاسلامية عن نفسها من جهة كل منكر يغزوها من الأمم الضالة، وكل معروف مزوّر يفدها من المجتمعات الجاهلية، وذلك قول الامام الباقر عليه السلام: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتردّ المظالم، وتعمّر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكّوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم»[١].

ومن جهة أخرىٰ تتحمل الأمة الاسلامية مسؤوليتها الكبرىٰ في دعوة الامم والشعوب الاخرىٰ إلى الاسلام وبيانه لهم عقيدة حق، ونظام سعادة، وحضارة كمال للانسان علىٰ الأرض لقوله تعالىٰ: ﴿وَما أَرسلْناكَ إلّا كافّةً للنّاسِ بَشيراً ونَذيراً﴾[٢]. وقوله تعالىٰ أيضاً ﴿وَما أَرسلْناكَ إلّا رحمةً لِلعالَمِينَ﴾[٣]، ولكون الأمة الاسلامية تنفرد دون غيرها بأنها خير الأمم، لشرف انتمائها للاسلام الذي وحّدها وميّزها عن الأمم الأخرىٰ، وعظمة الرسالة التي تحملها للناس: ﴿كُنتُم خَيرَ أُمّةٍ أُخرِجَتْ لِلنّاسِ تَأمُرونَ بالمَعروفِ وتَنهَونَ عن المُنكرِ وتُؤمِنونَ باللّٰهِ ولَوْ آمنَ أهلُ الكِتابِ لَكانَ خَيراً لهمْ مِنهُم المُؤمنونَ وأكثَرُهُم الفاسِقونَ﴾[٤].

---

(١) الكافي ٥: ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) سبأ: ٢٨.
(٣) الأنبياء: ١٠٧.
(٤) آل عمران: ١١٠.

ثالثاً: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بناء الأمة الاسلامية والحفاظ علىٰ كيانها الواحد.

إن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثاراً عظيمة علىٰ صعيد بناء الامة الاسلامية، والحفاظ علىٰ وحدتها قوية شامخة، ومن أبرزها:

أ ـ تحقيق الوحدة والتماسك الداخلي علىٰ أساس التقوىٰ والعدل، وامتلاك القدرة علىٰ الحد من حالات الطغيان والظلم التي قد تظهر في اوساط الامة، سواء أكان علىٰ صعيد أفراد أو قوىً أو قيام دول وبروز حكّام ينزون علىٰ السلطة فيها ويجنحون إلى الجور والفساد، وبعكسه سوف ينتشر الفساد في أوساطها، وتذهب ريحها وتتمزّق أوصالها، وتتفرق شيعاً وأحزاباً يلعب بمقدّراتها أهل الفجور والفساد، ويملك المستكبرون أمرها، ويسومها الطغاة الظلم والجور، ويجرّعها المتجبرون الذلّ والهوان، وينهش أطرافها ويستحوذ علىٰ ثرواتها العتاة والشذّاذ من الأمم الأخرىٰ، فقد جاء في كتاب اللّٰه الحكيم: ﴿فلَولا كانَ مِن القُرون مِن قَبلِكُم أولُو بَقيّةٍ يَنهَونَ عَنِ الفَسادِ في الأرضِ إلّا قليلاً مِمَّن أنجَينا مِنهُم واتَّبَع الّذين ظَلَمُوا ما أُترِفوا فيهِ وكانوا مُجرمينَ﴾[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «اعتبروا أيّها الناس بما وعظ اللّٰه به أولياءه من سوء ثنائه علىٰ الأحبار إذ يقول: ﴿لَولا يَنهاهُم الرَّبّانيّونَ والأحبارُ عَن قَولِهِم الإثمَ﴾[2]، وقال: ﴿لُعنَ الّذينَ كفَروا مِن بَني إسرائيلَ ـ إلى قوله ـ لَبِئسَ ما كانُوا يَفعَلونَ﴾[3] وإنما عاب اللّٰه ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد، فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم،

---

(١) هود : ١١٦.

(٢) المائدة : ٦٦.

(٣) المائدة : ٨١.

ورهبةً مما يحذرون ؛ والله يقول: ﴿فَلا تَخشَوا النّاسَ واخشَـوني﴾[١]، وقـال: ﴿المُؤمنونَ والمُؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ يأمُـرونَ بـالمَعروفِ ويَـنهَونَ عَـن المُنكرِ﴾[٢] فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضةً منه، لعلمه بأنها إذا أُدّيت وأقيمت استقامت الفرائـض كـلها هـينها وصـعبها، وذلك أن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام، مع ردّ المظالم، ومخـالفة الظـالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها »[٣].

بل تفقد الامة لطف الله سبحانه باستجابة دعائها للخلاص مما هي فيه من بلاء، إن هي تركت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تعد اليها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر ولم يتبعوا الأخيار من أهـل بيتي، سلّط الله عـليهم شرارهـم، فـيدعـو عـند ذلك خـيارهم فـلا يستجـاب لهـم»[٤]، وعن أمير المـؤمنين عليه السلام قال: «لتأمـرنّ بالمعـروف ولتنهُنّ عن المنكر[٥]، أو ليستعملنّ عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[٦].

ب ـ تقوية شوكة الامة الاسلامية أمام الأمم الأخرىٰ، وظهورها بـمظهر القوّة الواحدة التي تُرهب أعداء الله والاسلام، ذلك أن قوّة شوكتها امام الاعداء ناشئة من قوّة بنائها الداخلي، وتماسكها الذاتي الذي حصّنها من نفوذ قوىٰ الكفر والجاهلية، وجعلها قوّة تُرهب أعداء الله ورسوله، مـضافاً إلى كـونها تـترصد العدو، وتحذره بما تملك من الحس بالمنكر فـتنكره قـبل أن يـنفذ إلى أوسـاطها،

---

(١) المائدة : ٤٧.
(٢) التوبة : ٧٢.
(٣) تحف العقول : ٢٣٧.
(٤) البحار ١٠٠ : ٧٢.
(٥) هكذا وردت في المصدر، وصوابها (ولتنهَونّ)، وكذا فيما يأتي من أحاديث.
(٦) التهذيب ٦ : ١٧٦.

والحس بالمعروف فتعلنه وتأمر به لينشأ منه رأي عام يملك الآفاق والنفوس، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر»(١).

ثم إن الأمة الاسلامية قد تحمّلت مسؤولية دعوة الناس للدخول في دين اللّٰه الحق، ورفع الحجب التي وضعها المستكبرون والطغاة ليحولوا بين البصائر ورؤية الحق حقّاً فيتبع والباطل باطلاً فيجتنب، والصبر على ما يصيبها من كيد الاعداء وفتنتهم، فقد جاء على لسان لقمان عليه السلام في القرآن الكريم: ﴿يا بُنيَّ أقِم الصَّلاةَ وأمُرْ بالمعروفِ وانهَ عن المُنكرِ واصبِرْ علىٰ ما أصابكَ إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ﴾(٢)، كما أن النصر الإلهي في تحقيق هذه الأهداف أثر من آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الصعيد، لقول رسول اللّٰه ﷺ: «يا أيها الناس، إن اللّٰه يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا اعطيكم وتستنصروني فلا انصركم»(٣)، كما ربط اللّٰه تعالى حرمان بركات الوحي ونزع هيبة الاسلام من الأمة، بتركها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعظيم الدنيا، فعن رسول اللّٰه ﷺ قال: «إذا عظّمت أمتي الدنيا نُزعت منها هيبة الاسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي»(٤). وعنه ﷺ ايضاً: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا نُزعت عنهم البركات وسلّط بعضهم على بعض، وليس لهم ناصر في الأرض ولا معين»(٥)، كما

---

(١) البحار ١٠٠ : ٩٤.
(٢) لقمان : ١٧.
(٣) الترغيب ٣ : ٢٣٣، رواه ابن ماجة وابن حبّان.
(٤) كنز العمال ح ٦٠٧.
(٥) البحار ١٠٠ : ٩٤.

ربط ذهاب قوّة الأمة وفقدها لعزّتها بتركها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن رسول الله ﷺ قال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليلحينّكم[١] الله كما لحيت عصاي هذه»[٢]. وعنه ﷺ ايضاً: «لتأمرنّ بالمعروف وتنهنّ عن المنكر أو ليبعثنّ الله عليكم العجم فليضربنّ رقابكم، وليكونن أشداء لا يفرّون»[٣].

٦ ـ التعاون على البرّ والتقوى:

البرّ هو أوسع صور الإحسان وأصدقها، وما اقترانه بالتقوى في كثير من الآيات الكريمة والروايات الشريفة، إلّا دليل على أن البرّ يفتقر في ديمومته ونموّه في الكيف والكم إلى تقوى البارّ للّه تعالى؛ كما أنهما لا ينهضان ولا يظهران حالة اجتماعية وسلوكاً عاماً لأبناء الأمة، إلّا إذا تناجى المسلمون بهما وتعاونوا عليهما، والتعاون عليهما عمل جماعي يجب أن يمارس على صعيد الامة، لتتحقق بذلك الأخوّة بأفضل صورها وأعلى رتبها، وتكون عاملاً حاسماً في رفع ودفع كل صور الإثم والعدوان والعصيان من واقع الأمة، وتوحيدها في المبدأ والمسار والمصير، ورصّ صفوفها على صراط الله المستقيم وسبيله القويم، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنوا إذا تَناجَيتُم فلا تَتَناجَوا بالإثمِ والعُدوانِ ومَعصِيةِ الرَّسولِ وتَناجَوا بالبِرِّ والتَقوىٰ واتّقوا اللّهَ الّذي إليهِ تُحشَرونَ﴾[٤]، وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿تَعاوَنوا علىٰ البِرِّ والتَّقوىٰ ولا تَعاونوا علىٰ الإثمِ والعُدوانِ واتَّقوا اللّهَ إنَّ اللّهَ شديدُ العِقابِ﴾[٥]، وجاء عن الامام الصادق عليه السلام في

---

(١) والمراد لينقصنكم الله في النفوس والأموال، وليصيبنكم بالمصائب العظام فتكونون كالأغصان التي جرّدت من اوراقها، وعريت من ألحيتها وأليافها فصارت قضباناً مجرّدة، وعيداناً مفردة.

(٢) البحار ١٠٠: ٧١.

(٣) كنز العمال ح ٥٥٦٣.

(٤) المجادلة: ٩.

(٥) المائدة: ٢.

وصيته لأحد أصحابه قوله: «من صالح الاعمال البر بالاخوان، والسعي في حوائجهم، ففي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان. أخبر بهذا غرر أصحابك... هم البررة بالإخوان في العسر واليسر»[١].

ويؤكّد المضمون المبدئي للبر وارتباطه المعنوي بالتقوىٰ أن علامات وصفات البارّ هي نفس علامات وصفات التقي، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وليسَ البِرُّ بأنْ تَأتوا البُيوتَ مِن ظُهورِها ولكنَّ البرَّ مَن اتَّقىٰ وأْتُوا البُيوتَ مِن أبوابِها واتَّقوا اللّٰهَ لعلَّكم تُفلِحونَ﴾[٢]، كما جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله في علامات البارّ قوله: «يحبّ في اللّٰه، ويبغض في اللّٰه ويصاحب في اللّٰه، ويفارق في اللّٰه، ويغضب في اللّٰه، ويرضىٰ في اللّٰه، ويعمل للّٰه، ويطلب اليه ويخشع خائفاً مخوفاً، طاهراً مخلصاً، مستحيياً مراقباً، ويحسن في اللّٰه»[٣].

وهكذا فإن أمة هذه صفات أبنائها، واللّٰه الواحد الأحد محورها في كل شيء، هي لا شك أمة التوحيد والوحدة في عقيدتها وحياتها وحركتها.

ويؤكد الامام الصادق عليه السلام دور التعاون علىٰ البر وأثره في بناء الأمة الصالحة وتوحدها في اللّٰه، وأنه يُثمر الحب في اللّٰه، والتواصل والتراحم فيما بين أبناء الأمة، وهذا هو أعلىٰ صور الأخوّة والتوحّد في اللّٰه ومن أجل اللّٰه، وذلك لتفريعه عليه السلام كل ذلك علىٰ البرّ في قوله: «اتقوا اللّٰه، وكونوا إخوة بررة، متحابّين في اللّٰه، متواصلين، متراحمين»[٤]، وجاء عنه عليه السلام أيضاً: «تواصلوا، وتبارّوا، وتراحموا، وتعاطفوا»[٥]، وجاء عنه عليه السلام ايضاً: «تواصلوا وتبارّوا وتراحموا،

(١) البحار ٧٤: ٣١٢.
(٢) البقرة: ١٨٩.
(٣) تحف العقول: ٢٣.
(٤) الكافي ٢: ١٧٥.
(٥) الكافي ٢: ١٧٥.

وكونوا إخوة بررة كما أمركم اللّٰه عزَّ وجل»(١).

بل إن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله يرىٰ أن بذل النفس في سبيل اللّٰه من أعلىٰ درجات البر، فقد قال صلى الله عليه وآله: «فوق كل ذي برّ برّ حتىٰ يقتل في سبيل اللّٰه فليس فوقه برّ»(٢). وبذلك يكون التعاون علىٰ البر جهاداً يدفع عن الأمة كيد الأعداء، ويحفظ بيضة الاسلام من الخطر، وهو عمل أمة متحدة على أسس الايمان والتقوىٰ والبذل والتضحية والصبر في البأساء والضرّاء وحين البأس، لقوله عزَّ من قائل في كتابه الكريم: ﴿ليسَ البِرَّ أنْ تُولّوا وجُوهَكم قِبَلَ المشرِقِ والمغرِبِ ولكنَّ البِرَّ مَن آمن باللّٰهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكِتابِ والنَبيّينَ وآتىٰ المال علىٰ حُبّهِ ذَوي القُربىٰ واليتامىٰ والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسائلينَ وفي الرِّقابِ وأقامَ الصَّلاةَ وآتىٰ الزَّكاةَ والمُوفونَ بعهدهم إذا عاهَدوا والصَّابرينَ في البأساءِ والضَّرّاءِ وحِينَ البأسِ أُولئكَ الّذينَ صَدَقوا وأُولئكَ هُم المتّقونَ﴾(٣).

٧ـ الاستباق إلى فعل الخير وإشاعته:

لقد طفح القرآن الكريم والسنّة الشريفة بالدعوة إلى فعل الخير والاستباق إليه وإشاعته، فقد قال الامام علي عليه السلام: «عليكم باعمال الخير فبادروها، ولا يكن غيركم أحق بها منكم»(٤). وذلك لكونه أعم الاسس الأخلاقية في تكوين الانسان الصالح والأمة الصالحة، وبناء وحدتها وتطبيق مبدأ الأخوّة بين أبنائها، لاجتماع حقيقة الدين فيه، لقول أمير المؤمنين عليه السلام فيه: «جماع الخير في الموالاة في اللّٰه، والمعاداة في اللّٰه، والبغض في اللّٰه، والمحبّة في اللّٰه»(٥). وقال الامام

(١) الكافي ٢ : ١٧٥.
(٢) البحار ٧٤ : ٦١.
(٣) البقرة : ١٧٧.
(٤) غرر الحكم.
(٥) غرر الحكم.

الصادق عليه السلام: «جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[١].

وقد صرّح القرآن الكريم بالسبب الكامن وراء الاختلاف والتفرّق وهو اتباع الأهواء، كما صرّح بالعلاج لهذا الداء الوبيل وهو الحكم بما أنزل اللّه واستباق الخيرات، فإنّهما الاساس الأخلاقي الأمثل لتوحيد الأمة ورفع الاختلاف فيما بينها، ومن آيات ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وأَنزلْنا إليكَ الكِتابَ بالحقِّ مصدِّقاً لما بَينَ يدَيهِ مِن الكِتابِ ومُهَيمِناً عَليهِ فاحكُمْ بينَهُم بِما أنزلَ اللّهُ ولا تتَّبِعْ أهواءَهُم عَمّا جاءكَ مِن الحقِّ لكلٍّ جَعلْنا مِنكُم شِرعةً ومِنهاجاً ولو شاءَ اللّهُ لجَعَلَكُم أُمّةً واحِدةً ولكنْ ليَبلُوَكم فيما آتاكُم فاستَبِقوا الخَيراتِ إلى اللّه مَرجِعُكم جَميعاً فيُنبِّئُكم بِما كُنتُم فيهِ تَختَلِفونَ﴾[٢].

كما جعل اللّه سبحانه من أبرز أعمال أوليائه ـ رسلاً وأئمة ـ فعل الخيرات، وأنها أحد اركان العبادة له سبحانه وتعالىٰ، حيث قال في محكم كتابه الكريم: ﴿وجَعلْناهُم أئِمّةً يَهدونَ بأمرِنا وأوحَينا إليهِمْ فِعلَ الخَيراتِ وإقامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ وكانُوا لنا عابِدينَ﴾[٣].

ومن أبرز سنن الخير التي تضفي علىٰ الأمة الاسلامية روح الأخوّة والسلام، وتخلق فيها أجواء الحب والوئام، وتميّزها عن غيرها من الامم هي سنّة افشاء السلام، فقد ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه، فقال: إفشاء السلام في العالم»[٤]، وورد

---

(١) مشكاة الانوار: ٢٦٤.
(٢) المائدة: ٤٨.
(٣) الأنبياء: ٧٣.
(٤) البحار: ٧٦: ١٢.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «سُنّة الأخيار لين الكلام وإفشاء السلام»[١].

أمّا أنه كيف تعرف الخير وأهله فقد ورد وصفهم في حديث المعراج علىٰ لسان رب العزة قال: «يا أحمد، إن أهل الخير وأهل الآخرة رقيقة وجوههم كثيرٌ حياؤهم، قليل حمقهم كثيرٌ نفعهم، قليل مكرهم، الناس منهم في راحة وانفسهم منهم في تعب، كلامهم موزون، محاسبين لانفسهم متعبين لها، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، اعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة، إذا كتب الناس من الغافلين كتبوا من الذاكرين... ولا يشغلهم عن الله شيء طرفة عين. ولا يريدون كثرة الطعام ولا كثرة الكلام ولا كثرة اللباس. الناس عندهم موتىٰ والله عندهم حيّ قيوم ... »[٢].

وأمّا أنه كيف تنتمي إلى أهل الخير وأُمته وذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنّ الله سبحانه قد جعل للخير أهلاً، وللحق دعائم، وللطاعة عصماً؛ وإن لكم عند كل طاعة عوناً من الله سبحانه يقول علىٰ الألسنة، ويثبّت الأفئدة فيه كِفاءٌ لمكتفٍ، وشفاءٌ لمشتفٍ»[٣]، فقد ورد في معرفة خير الناس أنه: « قال رجلٌ للنبي صلى الله عليه وآله ..: أحبّ أن اكون خير الناس، فقال: خير الناس مَنْ ينفع الناس فكن نافعاً لهم»[٤]. وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «خير الناس من انتفع به الناس»[٥]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «خيرُ الناس من نفع الناس»[٦]، وعنه عليه السلام أيضاً: «خير الناس من تحمّل مؤنة الناس»[٧] وعن معرفة الخير والشر وأهلها يقول أمير

---

(١) غرر الحكم.
(٢) البحار ٧٧ : ٢٤.
(٣) نهج البلاغة خ ٢١٤.
(٤) كنز العمال ح ٤٤١٥٥.
(٥) البحار ٧٥ : ٢٣.
(٦) غرر الحكم.
(٧) غرر الحكم.

المؤمنين عليه السلام: «إن الخير والشر لا يُعرفان إلّا بالناس، فإذا أردت أن تعرف الخير فاعمل الخير تعرف أهله، وإذا اردت أن تعرف الشر فاعمل الشر تعرف أهله»[١].

أمّا خير الأخيار وأفضلهم فقد عرّفه رسول اللّه صلى الله عليه وآله بقوله: «خيركم مَنْ دعاكم إلى فعل الخير»[٢]، وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «خيرٌ من الخير معطيه»[٣]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «افعلوا الخير ما استطعتم فخيرٌ من الخير فاعله»[٤]، وعنه أيضاً قال: «فاعل الخير خيرٌ منه وفاعل الشر شرٌ منه»[٥].

---

(١) البحار ٧٨ : ٤١.
(٢) تنبيه الخواطر : ٣٦٢.
(٣) البحار ٧٧ : ١٦١.
(٤) غرر الحكم.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢.

الفصل الثالث

قيادة أهـل البيـت عليهم السلام

- ☐ القيادة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
« الاطروحـة والجـذور »
- ☐ اساس الحكومة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
« شبهـة ورد »
- ☐ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومنطـق تحميل العقيدة بالقوة
« شبهـة ورد »

القيادة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

«الأُطروحة والجذور»

في محاولة منّا للتعرف علىٰ معالم مـدرسة اهـل البـيت عليهم السلام واطـروحاتها الاسلامية الحقة، نطرق أهم واخطر باب من ابواب الاسلام الاساسية الذي يقوم عليه بناؤه ويشتد به عوده وتقوىٰ شوكته، ألا وهو باب القيادة الاسلامية التي عاشت الامة في أمرها صراع وجودها وبقائها بين اطروحات وتجارب عـانت منها الكثير طيلة قرون متمادية منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله والىٰ يومنا هذا .. فما هي الحقيقة؟ .. ما هي الاطروحة الحقة في القيادة الاسلامية؟ وما هي الجذور؟ ولماذا لم يتسنَّ لها تبوّؤ موقعها المفترض لها؟ وما هي قيمتها وقيمة تجربتها في الواقع؟ .. ثم ما هو السبيل لملء الفراغ القيادي المباشر في واقع الامة المعاصر؟ .. تلك اسئلة تطلب الجواب، وقبل الدخول في صلب الموضوع نشير إلىٰ حقيقة مطلقة يَكشفها لنا واقع المسيرة الانسانية منذ مبدئها ولحد الآن، وهي ان قيام الحكم الالهي علىٰ اساس النظرية الدينية هو من الضرورات المسلّمة لاقامة العدل وردع الطغيان والظلم، حيث لم تعانِ البشرية من أمر علىٰ طول مراحـل مسـيرتها الانسـانية وتاريخها المتلاحم مثل ما عانت من أمر الطغيان في الحكم والحكـومة وسـطوة الطاغوت وسلطانه. ولذا نجد أن أُولىٰ مهمات الرسل في الامم هي ردع الطاغوت والدعوة لاجتنابه، والارشاد لولاية الله وعبادته ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَـقَّتْ عَـلَيْهِ

الضَّلالَةُ فَسيرُوا في الأرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبين﴾[١].

ويتأكد هذا الدور في الرسل من أُولي العزم، فمنهم من كان أول تكليف رسالي له هو مواجهة طغيان السلاطين وحكومات الطاغوت المتحكمة في المجتمعات البشرية، وانقاذها من سلطانهم وإعادتها الىٰ ولاية اللّٰه تعالىٰ.

فهذا ابراهيم الخليل عليه السلام اصطفاه اللّٰه نبياً واصطنعه رسولاً ليقارع طاغوت عصره نمرود وقومه علىٰ ما يشركون ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إبْراهيمَ علىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليم﴾[٢]، ثم جعله للناس إماماً ليدعوهم الىٰ حكومة العدل الالهي ويقيم أركانها فيهم ﴿وَإذِ ابْتَلىٰ إبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأتَمَّهُنَّ قالَ إنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قالَ وَمِنْ ذُرّيتي قالَ لا يَنالُ عَهْدي الظّالمين﴾[٣].

وهذا موسىٰ عليه السلام كليم اللّٰه يرسله الىٰ فرعون لانه طغىٰ ﴿اذْهَبْ إلىٰ فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغىٰ﴾[٤] وشدّ أزره بأخيه هارون بأن جعله وزيراً له وأشركه في أمره وقال له: ﴿اذْهَبْ أنْتَ وَأخوكَ بِآياتي وَلا تَنِيا في ذِكْري * اذْهَبا إلىٰ فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغىٰ﴾[٥].

وعيسىٰ روح اللّٰه أرسله أيضاً ليقف في وجه طغيان بني اسرائيل وإسرافهم علىٰ انفسهم بالفساد في الارض ﴿وَقَضَيْنا إلىٰ بَني إسْرائيلَ في الكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ في الأرْضِ مَرَّتينِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبيراً﴾[٦] فدعاهم المسيح عليه السلام الىٰ توحيد اللّٰه

---

(١) النحل: ٣٦.
(٢) الانعام: ٨٣.
(٣) البقرة: ١٢٤.
(٤) طه: ٢٤.
(٥) طه: ٤٢ ـ ٤٣.
(٦) الاسراء: ٤.

والرضوخ لارادته سبحانه، تحقيقاً للعدل واستئصالاً لشأفة الطغيان والظلم ﴿وَقالَ المَسيحُ يا بَني إسرائيلَ اعْبُدوا اللّٰهَ رَبّي وَربَّكُمْ إنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأواهُ النّارُ وَما لِلظّالِمينَ مِنْ أنْصار﴾[1].

واستمر الخطاب الالهي بخاتم الانبياء والرسل محمد ﷺ في إدارة الصراع العقائدي في واقع البشرية بين ولاية الطاغوت وولاية اللّٰه، وختم التنزيل بالقرآن الكريم، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً بالاسلام ﴿أفَغَيْرَ اللّٰهِ أبْتَغي حَكَماً وَهُوَ الّذي أنْزَلَ إلَيْكُمُ الكِتابَ مُفَصّلاً وَالّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْلَمُونَ أنّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبّكَ بِالحَقِّ فَلا تَكونَنَّ مِنَ المُمْتَرينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّميعُ العَليم﴾[2].

وفي خضم الكفاح النبوي المرير لدعوة الناس الى ولاية اللّٰه وتحكيمها في الأُمة المسلمة نجد أن الخطاب الإلهي المتمثل بالقرآن الكريم يؤكّد على أمر الولاية والامامة للرسول ﷺ، ويعبّد الأُمة بها، ويجعلها شرطاً لايمانهم بقوله العزيز: ﴿فَلا وَرَبّكَ لا يُؤمِنونَ حتّىٰ يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليماً﴾[3]. ويؤكد ان ولاية الرسول ﷺ والمؤمنين ممن اصطفاهم من بعده هي من ولاية اللّٰه سبحانه ﴿إنّما وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالّذينَ آمَنُوا الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ وَيُؤتُونَ الزّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ * وَمنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالّذينَ آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللّٰه هُمُ الغالِبُون﴾[4]. وذلك حفظاً لدين اللّٰه من التحريف وللامة الاسلامية من الضياع، كما انحرفت الاديان السابقة وضاعت الامم السالفة.

وهكذا نجد أن الآيات القرآنية الكريمة تتوالىٰ في مناسبات عديدة وصيغ

---

(١) المائدة: ٧٢.
(٢) الانعام: ١١٤ ـ ١١٥.
(٣) النساء: ٦٥.
(٤) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

مختلفة لتركز هذا المبدأ الالهي، وتقوّم الممارسة النبوية بالاساس العقائدي لاعداد وتربية العصبة المؤمنة بولاية الله ورسوله علىٰ التسليم المطلق بالنص الصادر عنهما في كل جوانب الحياة، وترشيد حركتها الرسالية في هذا الاتجاه، والوقوف بوجه الذين يجدون في أنفسهم حرجاً من ذلك التسليم من الذين مثّلوا اتجاهاً مخالفاً له منذ المرحلة الاولىٰ لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وحركته الرسالية في اعداد الامة الاسلامية وتربيتها، وأوجدوا لهم أنصاراً في صفوف المسلمين من الذين لم يستوعبوا الرؤية العقائدية للولاية الالهية وموقع الرسول صلى الله عليه وآله منها، ولم يهضموا تجربتها في واقعهم، فهم لا يرون في الرسول صلى الله عليه وآله سوى مبلّغ لكتاب الله وبعض الفرائض والسنن العبادية الخاصة، أمّا في غير ذلك فهو مجتهد شأنه شأن غيره، وبرؤيتهم هذه يقدّمون مبدأ الاجتهاد، بمعنىٰ إعمال الرأي البشري في تشخيص المصالح والمفاسد وفق تقديرهم للظروف علىٰ مبدأ التعبّد بالنص النبوي، علىٰ رغم ردع القرآن الكريم لهم بقوله في النبي صلى الله عليه وآله: ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوىٰ * وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ * إنْ هُوَ إلّا وَحيٌ يوحىٰ﴾(١)، بل يرون أن لهم تأويل النصوص الاسلامية وفق تقديراتهم وتشخيصاتهم تلك، ولهم في ذلك درجات تتناسب ومدىٰ انصهارهم بقيم الرسالة وقيادة الرسول صلى الله عليه وآله، وهي تبتعد أو تقترب من الدرجة العليا للانصهار بالرسالة والرسول صلى الله عليه وآله والتسليم الكامل لهما، وهي الدرجة التي يمثلها خط التعبّد بالنص النبوي الذي يرىٰ أن الاجتهاد في مقابل النص خروج عن الدين الالهي، وأن الاجتهاد الصحيح ما كان في إطار النص ومن أجل فهمه واستخراج الحكم الشرعي منه وفق الموازين التي أرشدت اليها تلك النصوص(٢). وهناك مصاديق متعددة تحكي اتجاه الاجتهاد في مقابل

---

(١) النجم: ٢ ـ ٤.

(٢) راجع كلمة التحرير: العدد الثامن من مجلة رسالة الثقلين تحت عنوان «مدرسة اهل البيت عليهم السلام علىٰ =

النص في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، منها موقف بعض الصحابة من صلح الحديبية الذي أوقعه رسول الله صلى الله عليه وآله واحتجاجهم علىٰ هذا الصلح، ومنها النزاع والخلاف الذي حصل بين الصحابة حول تأمير «أسامة بن زيد» علىٰ الجيش، الذي جاء النص النبوي صريحاً فيه، فقد عقد الرسول صلى الله عليه وآله اللواء لاسامة بيده الشريفة، وقال: اغزُ بسم الله وفي سبيل الله، وقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلىٰ بريدة وعسكر بالجرف، فتثاقل الاصحاب وطعن قوم منهم في تأمير اسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقالوا في ذلك فاكثروا حتىٰ غضب رسول الله صلى الله عليه وآله من طعنهم غضباً شديداً فخرج معصّب الرأس، مدثراً بقطيفته محموماً أَلِماً وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول قبل وفاته بيومين فصعد المنبر فحمد الله واثنىٰ عليه، ثم قال: «أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله، وايم الله ان كان لخليقاً بالإمارةِ، وان ابنه من بعده لخليق للامارة»(١). ومثله النزاع الذي حصل بين من كان من الصحابة عند رسول الله صلى الله عليه وآله في البيت لما حضرته الوفاة وخلافهم في الاستجابة لطلبه صلى الله عليه وآله الذي قال فيه: «ائتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»(٢)، فقال عمر: ان النبي صلى الله عليه وآله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت(٣) واختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر،

= طريق الاجتهاد والتجديد» للكاتب.

(١) السيرة الحلبيّة للامام علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ٣: ٢٠٧، والطبري في تأريخه ٢: ٤٢٩.

(٢) صحيح البخاري ج١: ٣٧ كتاب العلم وج٨: ١٦١ كتاب الاعتصام، صحيح مسلم ج٥: ٧٦ باب الوصية، مسند الامام أحمد ج١: ٣٥٥، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج٢: ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٣) يقصد من كان حاضراً من الصحابة في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله قال لهم: «قوموا»[١].

وإذا عرفنا ان هذه الواقعة كانت في الساعات الأخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ندرك مدىٰ الشقّة والصراع بين هذين الاتجاهين، والذي اشتد وبرزت معالمه بصورة اكبر وأوضح بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ولم ينحصر أمرها في الموقف من خلافة المسلمين وقيادتهم السياسية، بل امتدت الىٰ الكثير من جوانب التشريع الاسلامي، خصوصاً إذا عرفنا أن هناك عوامل كمنت وراء هذا الاتجاه، وكان لها الدور الأساسي في تغذيته وتقويته. وأبرز تلك العوامل هي رواسب ما قبل الاسلام والتي ظلت عالقة بعده تشكل مانعاً كبيراً أمام انصهار اصحاب هذا الاتجاه في الرسالة الاسلامية وقيادة رسولها الكريم صلى الله عليه وآله. ومنها ايضاً المنافقون الذين شكّلوا طابوراً معارضاً داخل المجتمع الاسلامي يثير الشكوك حول قيادة الرسول صلى الله عليه وآله ﴿وَإذْ يَقولُ المُنافِقونَ وَالّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسولُهُ إلّا غُرورا﴾[٢]، ويغذّي هذا الطابور وراء ستار الاسلام اتجاه التمرّد والعصيان لأوامره وإرشاداته صلى الله عليه وآله ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقونَ قالوا نَشْهَدُ إنّكَ لَرَسولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إنّكَ لَرَسولُهُ وَاللّهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقينَ لَكاذِبونَ * اتَّخَذُوا أيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ اللّهِ إنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُون﴾[٣]. وقد حذر اللّه سبحانه رسوله الكريم صلى الله عليه وآله من كيدهم وأمره بمواجهتهم وكشف مؤامراتهم ضد دعوته الاسلامية الفتية وقيادته النبوية ﴿يا أيُّها النَّبيُّ اتّقِ اللّهَ وَلا تُطِعِ الكافِرينَ وَالمُنافِقينَ إنَّ اللّهَ كانَ عَليماً حَكيماً * وَاتّبِعْ ما يُوحىٰ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إنَّ اللّهَ كان بِما

---

(١) صحيح البخاري ج١ : ٣٧كتاب العلم، وج٨ : ١٦١ كتاب الاعتصام، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج٢ : ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٢) الاحزاب: ١٢.

(٣) المنافقون: ١ ـ ٢.

تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[١]. ﴿يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾[٢]، وقد أعلم اللّٰه سبحانه وتعالىٰ رسوله الكريم بان النصر والعزة سيكونان له وللمؤمنين وبيّن له مصير المنافقين في الدنيا والآخرة ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[٣].

﴿وعد اللّٰه المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبُهُم ولعنهم اللّٰه ولهم عذاب مقيم﴾[٤].

ويوجد الكثير من الروايات والحوادث المتعلقة بالمنافقين منها ما ذكره الامام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: لقد رامت الفجرة الكفرة قتل رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله علىٰ العقبة ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن ابي طالب عليه السلام فما قدروا علىٰ مغالبة ربهم، حملهم على ذلك حسدهم لرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله في (علي) لمّا فخّم من أمره وعظّم من شأنه. من ذلك انه لما خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة وقد كان خلّفه عليها وقال له: ان جبرائيل اتاني وقال لي: يا محمد ان العلي الاعلىٰ يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد اما ان تخرج انت ويقيم علي، أو تقيم انت ويخرج علي، لابدّ من ذلك، فان علياً قد ندبته لاحدى اثنين. لا يعلم احد جلال من اطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري. فلما خلّفه، اكثر المنافقون الطعن فيه، فقالوا: ملّهُ وسئمهُ وكره صحبته، فتبعهُ علي حتىٰ لحقه، وقد وجد [غما شديداً] مما قالوا فيه فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: ما اشخصك [يا علي] عن مركزك؟ قال: بلغني عن الناس كذا وكذا فقال له: اما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا انه لا نبي

(١) الاحزاب : ١ ـ ٢.
(٢) التوبة : ٧٣.
(٣) المنافقون : ٨.
(٤) التوبة : ٦٨.

بعدي؟[١]. ومن تلك العوامل أيضاً قطاع الطلقاء الواسع من الذين أسلموا بعد فتح مكة المكرمة استسلاماً للأمر الواقع لا وعياً للحقيقة وإيماناً بها.

وهكذا فإن هذه العوامل: الجذور الجاهلية، ظاهرة المنافقين، وقطاع الطلقاء، هي اكبر ما كان يُهدد التخطيط النبوي لتنفيذ الاطروحة الإلهية في تشريع الامامة والنص على القيادة المعصومة للأمة من بعده، متمثلة بالائمة من أهل بيته صلى الله عليه وآله، وتقوية اتجاهها بين المسلمين، خصوصاً في قيامها بعد وفاته صلى الله عليه وآله. ولهذا وجد الرسول صلى الله عليه وآله من الضروري ان يركّز دوره على تحديد معالم أُطروحة الامامة في قيادة الأمة الاسلامية وتربية نماذج فريدة تحمل عبء الاستمرار من بعده في الدعوة اليها، وتربية وإعداد الجماعة الصالحة التي تؤمن بها، وتعمل على إقامتها في واقع الأمة، ومقارعة من ينحرف ويدعو الى تفريق صفوف الأُمة عنها، وقد استفاض العديد من الروايات والوصايا عنه صلى الله عليه وآله، كان من أوائلها حديث الدار، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذهِ الآية ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾ **دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي إن الله أمرني أن أُنذر عشيرتي الاقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أُبادئهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره، فصمت حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إنك ان لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن واجمع لي بني عبد المطلب حتى اعلمهم وابلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم فجئنا به فلما**

---

(١) مصادر حديث المنزلة كثيرة منها: الطبراني في الكبير ١: ١٤٨ ح ٣٣٤، ومسلم في صحيحه ١٥: ١٧٤ في فضائل علي، البخاري في صحيحه ٥: ١٢٩ في المغازي (تبوك)، ابن ماجة في سننه ١: ٤٢، الترمذي في سننه ٥ : ٥٩٨ في المناقب.

وضعتهُ تناول رسول اللّه... ثم قال: خذوا بسم اللّه فأكل القوم حتىٰ مالهم بشيء من حاجة ولا ارىٰ إلّا مواضع ايديهم... ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتىٰ رووا جميعاً... فلما اراد ان يكلمهم النبي ﷺ بَدرَهم ابو لهب إلىٰ الكلام فقال: لهدّما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي ﷺ فقال: الغد يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلىٰ ما سمعت فتفرق القوم قبل ان أُكلمهم، فاعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم لي، ففعلت ثم جمعتهم له ثم دعا بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالامس واكلوا حتىٰ مالهم بشيء من حاجة، ثم قال: اسقهم، فأتيتهم بذلك العس فشربوا حتىٰ رووا منه جميعا. ثم تكلم رسول اللّه ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني واللّه ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني اللّه تبارك وتعالىٰ أن ادعوكم، فأيكم يؤازرني علىٰ امري علىٰ ان يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً. قال: قلت واني لاحدثهم سناً وأرمصهم عيناً واعظمهم بطناً واحمشهم ساقاً قلت: انا يا نبي اللّه اكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: هذا اخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب: قد أمرك ان تسمع لعلي وتطيع[1]. ومنها حديث السفينة المعروف والذي جاء فيه: «مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[2].

---

(١) وقد رويت هذهِ الحادثة بطرق اخرىٰ وبالفاظ اخرىٰ متقاربة لا تبتعد عن مفاد الرواية. وأهم المصادر التي اوردت الرواية هي:
أحمد بن حنبل مسند الامام علي بن ابي طالب: ١٥٩ ط مصر، الطبري في تفسيره ١٩: ٦٨ ط. مصر، الثعلبي في تفسيره: ٧٥ مخطوط، سبط ابن الجوزي في التذكرة: ٤٤ ط النجف، ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١: ١٨٧ ط بيروت وللمزيد راجع احقاق الحق ٤: ٦٠ ـ ٧٠.

(٢) الحاكم في مستدرك الصحيحين ٢: ٣٤٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٦: ٢١٦، والهيثمي في مجمعه ٩: ١٦٨، والخطيب البغدادي في تاريخه ١٢: ١٩.

وحديث المودة، فعن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿قل لا اسألكم عليه اجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾ قالوا: «يا رسول اللّٰه ومن قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: (علي وفاطمة وابناهما)»[١]. وحديث الكساء وعشرات الاحاديث النبوية الاخرىٰ. وقد توّج دوره المتواصل هذا وصاياه وأحاديثه وخطبه المسددة بالوحي بخطبة حجة الوداع الشهيرة، التي نص فيها علىٰ الامام علي عليه السلام ولياً وإماماً من بعده استمراراً لولايته وإمامته ﷺ علىٰ المسلمين. فقد قطع المؤرخون وأهل السير أن رسول اللّٰه ﷺ بعد أداء مناسك آخر حجة له عام عشرة للهجرة انصرف راجعاً إلى المدينة المنورة ومعه جموع الحجيج التي قدرها المؤرخون بأكثر من ١٢٤ ألفاً. فلما وصل غدير خم من الجحفة قبل ظهر يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة المبارك نزل الروح الأمين على الرسول ﷺ بقول اللّٰه تعالىٰ: ﴿يا ايُّها الرّسول بَلّغْ ما اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إنَّ اللّٰهَ لا يَهدي القَوْمَ الكافرينَ﴾[٢] وأمره أن يقيم علي بن أبي طالب إماماً على الناس بعده، وبعد أن أتمّ الرسول صلاة الظهر قام خطيباً وسط الناس وأسمع الجميع فقال فيما قال: «... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، فنادىٰ منادٍ: وما الثقلان يا رسول اللّٰه؟ قال: الثقل الاكبر كتاب اللّٰه طرف بيد اللّٰه عزوجلّ وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الاصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا». ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رُئي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: «أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللّٰه ورسوله أعلم، قال: إن اللّٰه

---

(١) الشيخ الشبراوي الشافعي في الاتحاف بحب الأشراف: ١٧ ـ ١٨.
(٢) المائدة: ٦٧.

مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه» يقولها ثلاث مرات، ثم قال: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب».

ثم لم ينصرفوا حتى نزل امين وحي اللّٰه بقوله: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتْمَمتُ عَلَيْكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾[1] فقال رسول اللّٰه ﷺ: «اللّٰه أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي». ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام، وممن هنأه في مقدّم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، وكان عمر يقول: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: «وجبت واللّٰه في أعناق القوم...»[2].

وعدّ رسول اللّٰه ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام يوم الغدير عيداً للمسلمين، بل هو عيد اللّٰه الأكبر[3] وأفضل الأعياد[4]، فهو يوم أكمل اللّٰه سبحانه فيه دينه وأتمّ نعمته. وفيه قال رسول اللّٰه ﷺ: «يوم غدير خم أفضل أعياد أمّتي. وهو اليوم الذي أمرني اللّٰه تعالىٰ ذكره بنصب أخي علي بن ابي طالب علماً لأمتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي اكمل اللّٰه فيه الدين، وأتمَّ علىٰ امتي فيه النعمة،

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الطبراني المعجم الكبير، وابن حجر الهيثمي، والصواعق المحرقة: ٢٥. والهيثمي الشافعي، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٤. وابن عساكر الشافعي، تاريخ دمشق ٢ : ٤٥. والمتقي الهندي، كنز العمال ١ : ١٦٨. والقندوزي، ينابيع المودة: ٣٧. وابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ٢٤. وابن المغازلي الشافعي، مناقب علي بن ابي طالب ١٦ : ٢٣. والنسائي، خصائص امير المؤمنين: ٩٣. والخوارزمي الحنفي، المناقب: ٩٣. والبلاذري، انساب الاشراف ٢ : ٣١٥، وغيرها.

(٣) بحار الأنوار ٩٨ : ٣٠٣ و٣٢١ و٣٧ : ١٥٦.

(٤) بحار الانوار ٨٩ : ٢٦٨.

ورضي لهم الاسلام ديناً»[١].

ولم يكن هذا الاختيار جزافاً، بل هو اختيار قائم علىٰ أساس الحكمة الالهية والإعداد الرسالي والتربية النبوية لشخص الامام علي(عليه السلام)، والذي شكّل ذات الاساس ونفس النهج في اختيار الائمة اللاحقين بعده(عليه السلام) من أهل البيت الطاهرين(عليهم السلام).

ومن يتصفّح سيرة الرسول(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام) يجد شواهد طافحة وسبيلاً قائماً دائماً استوعب الكثير من مفردات السيرة النبوية الشريفة. يحكي دوره(صلى الله عليه وآله) في الاعداد الرسالي والتربية الخاصة للامام علي(عليه السلام) منذ صباه وانفتاحه علىٰ الرسول(صلى الله عليه وآله) والرسالة الالهية، وحتىٰ آخر ساعات حياته الشريفة. فقد آثره بالعطاء العلمي الفريد، وخصّه بالكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها وأسرارها، واختلىٰ به الساعات الطوال في الليل والنهار مناجياً إيّاه بما أفاض عليه الوحي الإلهي، ومرشداً له إلىٰ صراطه المستقيم، ومستعيناً به علىٰ تحمّل أعباء الدعوة الاسلامية ورفع العقبات الكأداء عن طريقها، والخوض في لهوات الفتن التي تعترضها.

ومن فيض ما تواتر في ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي اسحاق: سألت القاسم بن العباس: كيف ورث علي رسول اللّٰه دونكم؟ قال: لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدّنا به لزوقاً[٢].

وفي حلية الاولياء عن ابن عباس انه يقول: كنّا نتحدّث ان النبي(صلى الله عليه وآله) عهد الىٰ علي سبعين عهداً لم يعهد الىٰ غيره[٣].

---

(١) الأميني، الغدير: ١ : ٢٨٣.
(٢) المستدرك للحاكم ج٣: ١٢٥.
(٣) حلية الاولياء ج١ : ٦٨.

وروىٰ النسائي عن ابن عباس عن علي، انه يقول: كانت لي منزلة من رسول اللّه ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق، كنت أدخل علىٰ نبي اللّه كل ليلة، فإن كان يصلي سبح فدخلت، وان لم يكن يصلي أذن لي فدخلت[١].

وروي أيضاً عن الامام عليه السلام قوله: كان لي مع النبي ﷺ مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار[٢].

وروىٰ النسائي عن الامام علي عليه السلام أيضاً انه كان يقول: كنت إذا سألت رسول اللّه ﷺ أعطاني، وإذا سكتّ ابتدأني. ورواه الحاكم في المستدرك ايضاً، قال: صحيح علىٰ شرط الشيخين[٣].

وروىٰ النسائي عن أم سلمة أنها كانت تقول: والذي تحلف به أم سلمة ان كانَ لأقرب الناس عهداً برسول اللّه ﷺ علي عليه السلام قالت: لما كان غداة قبض رسول اللّه ﷺ أرسل اليه رسول اللّه ﷺ وكأن أرىٰ في حاجة اظنّه بعثه فجعل يقول: جاء علي؟ ثلاث مرات، فجاء قبل طلوع الشمس، فلما أن جاء عرفنا أن اليه حاجة، فخرجنا من البيت، وكنا عند رسول اللّه ﷺ يومئذ في بيت عائشة، فكنت في آخر من خرج من البيت، ثم جلست أدناهنّ من الباب، فأكبَّ عليه علي، فكان آخر الناس عهداً فجعل يساره ويناجيه[٤].

وقال امير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة الشهيرة وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد وعناية النبي ﷺ بإعداده وتربيته: «وقد علمتم موضعي من رسول اللّه بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني الىٰ صدره ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ

(١) السنن الكبرىٰ للنسائي ج١ : ٣٦٠.
(٢) السنن الكبرىٰ للنسائي ج٥ : ١٤١.
(٣) السنن الكبرىٰ للنسائي ج٥ : ١٤٢. ومستدرك الحاكم ج٣ : ١٢٥.
(٤) السنن الكبرىٰ للنسائي ج٤ : ٢٦١.

الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر امّه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه عَلَماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول اللهﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة»(١).

ولهذا الارتباط تشير الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في احدىٰ خطبها وتقول: «... وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة اهل الكتاب، كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتىٰ يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله، سيّداً في اولياء الله مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وانتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون تتربّصون بنا الدوائر...»(٢).

وفي خطبة لها امام نساء المهاجرين والانصار تشير فيها إلىٰ ردّة فعل البعض من ملاحظة شدة التقارب بين الرسول والامام علي عليه السلام والىٰ حسدهم لهُ جاء فيها: «... نقموا والله منه نكير سيفه وقلة مبالاته لحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله...»(٣).

ولعدم تكامل عوامل الاذعان والتسليم في واقع الاتجاه المعارض للنص النبوي علىٰ أُطروحة الامامة وتعيينها من قبل الرسولﷺ، فقد قرر أقطاب هذا الاتجاه في مجلس سقيفة بني ساعدة فور وفاة رسول اللهﷺ استلام القيادة

---

(١) نهج البلاغة خ: ١٩٢.
(٢) الاحتجاج للطبرسي ١ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣.
(٣) الاحتجاج للطبرسي ١: ٢٨٨.

الاسلامية، والتصدّي لمقام خلافة الرسول صلى الله عليه وآله للمسلمين، وفق اعتبارات أملاها عليهم منهجهم الخاص في الاجتهاد والنظر للظروف آنذاك.

وقد يسأل سائل عن الاسباب الكامنة وراء عدم تكامل عوامل ترويض هذا الاتجاه وتربيته علىٰ التسليم بالنص النبوي علىٰ الامامة فنقول له: إن منطق الواقع وحقائق التاريخ في تلك الفترة النبوية تكشف لنا أسباباً متعددة من أبرزها المدىٰ المحدود الذي لم يتجاوز العقدين لزمن الممارسة النبوية لمهمة الدعوة والتربية، خصوصاً وأن جيل الانصار لم يعاصر الرسول صلى الله عليه وآله أكثر من عقد واحد كما تضاءل المدىٰ الزمني للتربية النبوية الىٰ أقل من نصف عقد لمسلمة ما بعد فتح مكة.

ومن الطبيعي ان مثل هذه الفترة المحدودة غير كافية لتربية كل جيل المهاجرين والانصار، والوصول بهم الىٰ تلك الرتبة العالية من الاذعان والتسليم لقيادته وقيادة من ينصبه لهم من بعده، خصوصاً اذا أخذنا بنظر الاعتبار التباين الجذري الكبير نفسياً وفكرياً واجتماعياً بين مجتمع الجاهلية المخاطب بالدعوة النبوية، وبين صورة المجتمع الاسلامي المنشود الذي تتحقق فيه الرتبة العالية للعبودية للّٰه تعالىٰ والتسليم بلا حرج لقيادة الرسول الامين صلى الله عليه وآله وخلفائه من اهل بيته الطاهرين عليهم السلام، والتي تقتضي تغييراً جذرياً لهذا المجتمع لا يتحقق عادةً في إطار جيل لم يتخلّص بعد من رواسب الجاهلية.

وسببٌ آخر تمثّل في طبيعة الدور الرسالي للرسول صلى الله عليه وآله وما أفرزه من علاقة خاصة بينه وبين صحابته في بعدها الشمولي والنوعي. فلم يكن دوره صلى الله عليه وآله مقتصراً علىٰ تبليغ الرسالة الالهية وتوعية اتباعه لمفاهيمها وتربيتهم علىٰ ضوئها فقط، بل كانت دعوته قيادة شاملة لجميع جوانب الحركة الرسالية بما فيها من صراع سياسي وقتال عسكري لاعداءٍ مختلفين وفي جبهاتٍ متعددة، وبناء لمجتمع جديد

المعالم والصفات، وادارةٍ لدولة لم يُعهد بمثلها في أوساطهم من قبل، مما جعل علاقته ﷺ بصحابته علاقة معقّدة وحسّاسة لم تنحصر ببعدها الاخلاقي والعبادي الخاص كما كان عليه المسيح عليه السلام مثلاً، فعكست أثرها على مدى وعيهم وانصهارهم الرسالي، وتمثّلهم لمحتوى التربية النبوية الشاملة. ويكشف عن ذلك مثلاً خشيته ﷺ من رد الفعل السلبي لرعيل من اصحابه لو انه نصّب علياً عليه السلام اماماً على الناس بعده في غدير خم، حتى نزل الروح الأمين عليه السلام عليه ﷺ مطمئناً إيّاه بقوله تعالى: ﴿يا ايُّها الرَّسُولُ بَلِّغ ما أُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبّكَ وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ...﴾[1].

وسبب ثالث نجده يكمن في المواجهة العقائدية والاجتماعية لجماعات اهل الكتاب من اليهود والنصارى والتي كان أخطرها أثراً التشكيك ومحاولة التحريف في أُصول العقيدة الاسلامية الذي مارسته هذه الجماعات، بل ونجاح اليهود منهم في استثمار قطاع المنافقين لتشكيل تيارٍ فكري تسرّب الى العديد من مجالات التفكير، وخلق ارضية مناسبة للتأثير على الاتجاهات الفكرية للمسلمين، والتمهيد لدور الدس والتشويه الهادف في الاسلام، الذي نشط لاحقاً خصوصاً في العهد الاموي وما تلته من عهود، وبنظرة متأملة في آيات القرآن الكريم نجد مدى اهتمامه في بيان حقيقة هذا التيار وكشف زيفه ورد أباطيله بالدليل القاطع والبرهان الساطع، وتسديد الرسول ﷺ لمواجهته وتحجيم أثره. منها قوله تعالى: ﴿وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾[2].

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) التوبة: ١٠١.

وقوله تعالىٰ: ﴿إن المنافقين يخادعون اللّٰه وهو خادعهم﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل علىٰ اللّٰه﴾[٢].

ولهذه الاسباب الرئيسية نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله جعل هدفه الأساسي علىٰ ضوء الواقع الممكن بيان معالم الاسلام الكبرىٰ وتفاصيل مفرداته، وإعداد الامة الاسلامية كقاعدة عامة لحركة الاسلام النامية، ومواصلة بنائها الرسالي الجديد علىٰ يد القيادة الاسلامية التي نص عليها وأوصىٰ بها لو ثنيت لها الوسادة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، إلّا ان الرياح ـ كما أسلفنا ـ جرت بما لم تشتهِ السفن. ووقفة تقويمية عابرة علىٰ خلافة وقيادة الخط المعارض بعد الرسول صلى الله عليه وآله تكشف لنا من خلال واضحات تاريخ تلك الفترة ان هذه الخلافة لم تستمر إلّا لعقدين ونيف من الزمن ورغم الدور الكبير الذي مارسه اهل البيت عليهم السلام وفي مقدمتهم الامام علي عليه السلام في دعم الخلافة الراشدة وممارسة دور المرجعية الفكرية لها وللامة في المهمات الخطرة والشؤون الاساسية للخلافة حفاظاً علىٰ الاسلام وتجربته الفتية من السقوط، حتىٰ قال الخليفة الثاني ولمرات عديدة في ذلك: «لولا علي لهلك عمر، ولا ابقاني اللّٰه لمعضلة ليس لها أبو حسن»[٣].

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الكثير من الشواهد والاحداث التي مر بها المسلمون في عهد الخلفاء وقد اوضح الامام علي عليه السلام الدوافع الكامنة وراء وقوفه هذا الموقف الداعم للخلافة في احدىٰ كتبه قال: «فأمسكت يدي حتىٰ رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن

---

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) الاحزاب: ٤٨.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ج٢: ٣٣٩.

لم انصر الاسلام وأهله أن ارىٰ فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتىٰ زاح الباطل وزهق واطمأنّ الدين وتنهنه»(١).

وقد تعامل الامام علي مع الخلافة بحسب اقتضاء المصلحة الاسلامية حفظاً للاسلام وحماية للجماعة الاسلامية من التمزق، ففي عهد الخليفة الاول أبو بكر، نراه عندما اراد ان يغزو الروم يستشير علياً عليه السلام في الامر فيشير عليه الامام علي عليه السلام بما تقتضيه مصلحة الاسلام فيقول له: «إن فعلت ظفرت. فيقول ابو بكر: بشّرت بخير. وأمر الناس بالخروج»(٢).

كذلك عندما قدم جاثليق النصارى يصحبهُ مئة من قومه ليسألَ ابا بكر بصفته خليفة المسلمين نراه يرسل وراء الامام علي عليه السلام ويدعوه لاعانته في الاجابة علىٰ الاسئلة. ومن هذهِ الاسئلة التي وجهها الجاثليق: اخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالىٰ، فدعا علي عليه السلام بنار وحطب واضرمه، فلما اشتعلت قال: اين وجه هذه النار؟ قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها. فقال علي عليه السلام: «هذه النار مُدبّرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها. ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله، لا تخفىٰ علىٰ ربنا خافية»(٣).

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب نرىٰ نفس الموقف فحينما اراد عمر ان يغزو الروم رجع إلىٰ الامام عليه السلام في الامر، فنصحهُ الامام بان لا يقود الجيش بنفسه مبيناً علّة ذلك قائلاً: «فابعث اليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة،

---

(١) من كتاب له إلىٰ أهل مصر مع مالك الاشتر حين ولاه امارتها، نهج البلاغة الرسالة ٦٢.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١١١.
(٣) علي والخلفاء: ٦٠، وكذلك في كتاب قضاء امير المؤمنين للتستري: ٨٦ ط مؤسسة الاعلمي بيروت.

فان أظهره اللّٰه فذاك ما تحب وان تكن الاخرىٰ كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[١].

وعندما وردَ إلى بيت مال المسلمين مال كثير ـ من البحرين ـ قسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والانصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضلٍ فضلَ عندنا من هذا المال؟ قالوا: يا امير المؤمنين إنا شغلناك بولاية امورنا من اهلك وتجارتك... فهو لك، فالتفت عمر الىٰ علي قائلاً: ما تقول أنت؟ قال الامام عليه السلام: قد اشاروا عليك. قال الخليفة: فقل انت، قال علي عليه السلام: لِمَ تجعل يقينك ظناً؟! ثم حدثهُ بواقعة مشابهة جرت في عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم واخيراً اشار عليه بتوزيعه علىٰ الفقراء قائلاً: «اشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وان تفضّه علىٰ فقراء المسلمين» فقال عمر: صدقت واللّٰه[٢].

وفي ظروف أخرىٰ نرىٰ الامام علياً عليه السلام يتخذ اسلوب التوجيه واظهار ما تغاضىٰ عنه القوم فعن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول في مال للكعبة: إن ترك هذا المال في جوف الكعبة لآخذه واقسمهُ في سبيل اللّٰه وفي سبيل الخير، وعلي بن ابي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب؟ باللّٰه لئن شجعتني عليه لأفعلن، فقال علي: اتجعلهُ فينا وصاحبهُ رجل يأتي في آخر الزمان؟ فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلي الكعبة[٣].

وعندما تستدعي الظروف كشف بعض الاسرار الغيبية نرىٰ الامام يفعل ذلك، فبعد ان فتح المسلمون الشام جمع ابو عبيدة بن الجراح المسلمين

---

(١) الخطبة ١٣٤ من نهج البلاغة.

(٢) نجم الدين العسكري، علي والخلفاء: ٨٣، وكذلك في مسند أحمد بن حنبل ١: ٩٤ وكذلك في كنز العمال للمتقي ٤: ٣٩.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي٧: ١٤٧، وفي صحيح البخاري ١٩: ٧٢٧، وفي كتاب علي والخلفاء: ٨٧ نجم الدين العسكري.

واستشارهم في المسير أيكون الىٰ بيت المقدس ام إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب الىٰ أمير المؤمنين عمر، فحيث امرك فامتثله، فكتب ابن الجراح الىٰ عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب استشار المسلمين بالامر. فقال علي عليه السلام: **مُر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الىٰ بيت المقدس، فإذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلىٰ قيسارية فانها تُفتح بعدها ان شاء الله تعالىٰ، وكذا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله** قال عمر: صدق المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وصدقت انت يا ابا الحسن. ثم كتب الى عبيدة بالذي اشار به علي عليه السلام[1].

وبعد انتصار المسلمين علىٰ الفرس في خلافة عمر شاور ابن الخطاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سواد الكوفة فقال بعضهم تقسمها بيننا، ثم شاور علياً عليه السلام في الامر. فقال عليه السلام: **ان قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرها في ايديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا.** فقال عمر لعلي عليه السلام: وفقك الله، هذا الرأي[2].

وعلىٰ رغم كل ذلك فإن هذه الخلافة الراشدة وهذه التجربة القيادية للخط المعارض لاطروحة الامامة المعصومة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله انتهت دون أن تحقق اهدافها في الحفاظ علىٰ الحكومة الاسلامية من الانحراف والسقوط بأيدٍ غير أمينة، فقد خلفت وراءها ساحة اسلامية مليئةً بالصراعات والتناقضات الحادة، فكانت الحروب سجالاً طيلة فترة خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام التي لم تبلغ الخمس سنوات.

وفي كل هذهِ الحروب والمعارك كان موقف الامام علي عليه السلام موقف المدافع عن اصالة الاسلام ووحدة المسلمين بعد ان استغل عدة من الطامعين والمتملقين

---

(١) نجم الدين العسكري، علي والخلفاء: ١٣٣.

(٢) علي والخلفاء، العسكري: ٢٣٩.

الظروف السياسية في عهد الخليفة الثالث فتسلطوا علىٰ رقاب المسلمين واستحلّوا حقاً ليس لهم فكانت معركة الجمل التي قاتل فيها الناكثين سنة ٣٦هـ، ومـعركة صفين التي قاتل فيها القاسطين سنة ٣٧هـ ومعركة النهروان التي قاتل فيها المارقين سنة ٣٨هـ وتلك المعارك الثلاث كانت من المعارك الحاسمة والفاصلة والمهمة في تاريخ الاسلام والتي ميزت الحق عن الباطل، بالاضافة إلىٰ هذه المعارك المـهمة كانت هناك غارات يرسلها مـعاوية للاغـارة عـلىٰ المسـلمين في انحـاء البـلاد الاسلامية ومن الموالين للامام علي عليه السلام، منها: الغارة علىٰ اليمن سنة ٤٠هـ بـقيادة بسر بن أرطاة في زمن خلافة الامام علي عليه السلام حيث ارسله علىٰ رأس ثلاثة آلاف مقاتل واوصاه بوصية جاء فيها «لا تنزل علىٰ بلد أهله علىٰ طاعة علي الا بسطت عليهم لسانك، حتىٰ يروا انه لا نجاة لهم منك وانك محيط بهم، ثم اكـفف عـنهم وادعهم إلىٰ البيعة لي، فمن ابى فاقتلهُ، واقتل شيعة علي حيث كانوا» وقد نفّذ بسر أوامر سيده معاوية بحذافيرها وزاد عليها فظائع وجرائم وكان عدد من قـتلهم بسر من المسلمين ٣٠ ألفا في طريق ذهابه وايابه، وقتل عبد اللّٰه الحارثي عامل اليمن الذي ارسله الامام علي عليه السلام بعدما فرّ عاملها عبيد اللّٰه بن عباس، وقتل خلقاً كثيرا من شيعة الامام علي عليه السلام في اليمن وعندما سمع الامام باعمال هذا المجرم تألم كثيراً وجزع جزعاً شديداً فارسل له جيشاً ليقاتله ويمنعه من ذبح المسلمين ففرّ الىٰ المدينة هارباً ودعا عليه الامام بدعاءٍ جاء فيه «اللهم اسلبه دينه وعـقله» فأصابه ذلك وجُنّ ولم يزل كذلك حتىٰ مات[1].

ومنها أيضاً الغارة علىٰ اهل العراق بإمرة سفيان بن عوف الغامدي حيث امره معاوية ان يدخل العراق مع نهر الفرات واوصاه ان يقتل ويحرق ويسـلب

---

(١) ابن الاثير في الكامل ٣: ٣٨٥، وانساب الاشراف للبلاذري ٢: ٤٥٧.

وجاء في وصيته له «ان هذه الغارات ياسفيان علىٰ العراق ترهب قلوبهم وتجرّئ كل من كان له فينا هوىً منهم ويرى فراقهم، وتدعو الينا كل من كان يخاف الدوائر، وخرِّبْ كل ما مررت به من القرىٰ، واقتل كل من لقيت ممن ليس هو علىٰ رأيك، واحرب الاموال، فانه شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلوب»[١].

وقد تألم الامام عليه السلام للاعمال التي قام بها سفيان من قتل ونهب وحرق وسلب، وحزن حزناً كبيراً، وقد وصف اعمال سفيان في خطبة له بالكوفة تقطر ألماً: «وقتل منكم رجالاً صالحين وقد بلغني ان الرجل من اعدائكم كان يدخل بيت المرأة المسلمة والمعاهدة فينتزع خلخالها من ساقها ورعثها من اذنها فلا تمتنع منه، ثم انصرفوا وافرين لم يكلم منهم رجل كلماً، فلو ان امرأً مسلماً مات من دون هذا اسفاً، ما كان عندي ملوماً بل كان عندي به جديراً»[٢].

ومنها الغارة علىٰ اهل الكوفة بإمرة الضحاك بن قيس الفهري مع أربعة آلاف رجل وقد اوصاه معاوية بما يلي: «سر حتىٰ تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الاعراب في طاعة علي، فأغر عليه وان وجدت مسلحة أو خيلاً فأغر عليها...»[٣]. وكان هذا السفاك يتباهى بأعماله الاجرامية فقد خطب علىٰ منبر الكوفة بعد تلك الوقائع بسنين مفتخراً ومخوفاً أهل الكوفة فقال: «اما اني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم فكنت اول من غزاها في الاسلام، أُعاقب من شئت وأعفو عمن شئت لقد ذعرت المخدرات في خدورهن وان كانت المرأة ليبكي ابنها فلا تُرهبه ولا تسكته الا بذكر اسمي، انا الضحاك بن قيس، أنا...»[٤].

---

(١) الغارات للثقفي: ٤٦٦.

(٢) نهج البلاغة خطبة ٢٧، وسيرة الرسول واهل بيته ١: ٥٨٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ٣: ٣٧٧.

(٤) ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ٢: ١٢١.

كما ارسل معاوية غارات اخرىٰ علىٰ كل المناطق التي كان يشك بوجود ولاء فيها لعلي بن ابي طالب عليه السلام خليفة المسلمين، وقتل بسبب ذلك الآلاف من المسلمين من رجال واطفال، بل وقتل الكثير حتىٰ من أهل الذمة «المعاهدين» وهم الذين اوصىٰ النبي صلى الله عليه وآله بهم وقال انه سيكون خصماً لكل من آذاهم[1]. وكان موقف الامام علي عليه السلام من هذهِ الغارات اللا إنسانية هو الوقوف بوجه تلك الهجمات ومقاومتها وصدها. وهذهِ كلمات من وصية له إلىٰ احد قادته العسكريين الذين بعثهم للتصدي لهجمات معاوية وغاراته علىٰ المسلمين: «**اتق اللّٰه الذي إليه تصير ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً ولا تغصبنّ مالاً ولا ولداً ولا ذرية وان حفيت وترجّلت، وصل الصلاة لوقتها**»[2]. ولنقارن بين وصايا الامام علي عليه السلام لقادة جيشه وعماله عندما يرسلهم لرد ظلم وصد هجوم ضد المسلمين وبين وصايا معاوية إلىٰ امراء جيشه عند ارسالهم للاغارة علىٰ المسلمين وهتك حرمتهم.

وعلىٰ رغم كل هذه الحروب والغارات والمؤامرات المتوالية فقد بذل امير المؤمنين عليه السلام كل جهده لانقاذ الحكم الاسلامي من السقوط بأيدي المنحرفين، إلّا أنّ الاعداء أجهزوا عليه في محرابه، فسقط شهيداً قبل أن يحقق أهدافه. فتسلق الى مقام الخلافة الخطير أبناء الطلقاء من بني أُمية بعد ان مهدوا لذلك عبر اندساسهم في قلب حكومة الخليفة الثالث، وتحولت الخلافة علىٰ ايديهم فيما بعد الىٰ حكم وراثي ليس لمقاييس الاسلام وأحكامه أيّ اعتبار فيه، وبذلك عاد حكم الطاغوت الجاهلي من جديد ليحكم في أغلب الادوار بلباس الاسلام وشكليته.

ومن ابرز الادلة الواقعية علىٰ ذلك هو تنكّرهم للاسلام في أوضح تشريعاته، سواء في سلوكهم الخاص او في إدارتهم لشؤون الامة الاسلامية، بل

---

(١) سيرة رسول اللّٰه واهل بيته عليهم السلام ٥٨٤.

(٢) نفس المصدر السابق.

وإدخالهم في الاسلام من البدع والضلالات الشيء الكثير.

ونشير باختصار الىٰ بعض الامثلة لذلك:

١ ـ في عهد معاوية بن ابي سفيان:

أ ـ الخروج علىٰ بيعة الامة بالخلافة للامام علي عليه السلام وعلىٰ الامام الحسن عليه السلام.

ب ـ أخذ البيعة من المسلمين بالاجبار لابنه يزيد مع علمه بعدم صلاحه لهذا الامر.

ج ـ تغييره لكثير من سنن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وابتداع سنن جديدة ليست من الاسلام في شيء. قال ابن سيرين: وفدَ عمرو بن حزم علىٰ معاوية، فقال له: اذكرك الله في أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمن تستخلف عليها، فقال: نصحت وقلت برأيك وانه لم يبق إلّا ابني وابناؤهم، وابني أحق[1].

٢ ـ في عهد يزيد بن معاوية: أخرج ابو يعلىٰ في مسنده عن ابي عبيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط، حتىٰ يكون اول من يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد»**، ومن مصاديق ثلمه للدين:

أ ـ قتله الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته واصحابه.

ب ـ في سنة ٦٣ هـ بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فارسل اليهم جيشاً كثيراً وأمرهم بقتالهم، ثم السير إلىٰ مكة لقتال ابن الزبير، فجاءوا وكانت وقعة الحرة علىٰ باب طيبة وما ادراك ما وقعة الحرة؟ ذكرها الامام الحسن العسكري عليه السلام مرة فقال: والله ما كاد ينجو منهم أحد، قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، ونهبت المدينة، وافتضّ فيها ألف عذراء فانا لله وانا إليه راجعون! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أخاف اهل المدينة أخافه الله

---

(١) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٦.

وعليه لعنة اللّٰه والملائكة والناس اجمعين» رواه مسلم في مسنده. ويمكن اجمال سبب الثورة بما قاله عبداللّٰه ابن الصحابي الجليل حنظلة غسيل الملائكة «وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيداً»[١] قال: «واللّٰه ما خرجنا علىٰ يزيد حتىٰ خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء: انه رجل ينكح امهات الاولاد، والبنات والاخوات، ويشرب الخمر، ويدَع الصلاة»[٢].

٣ ـ في عهد عبد الملك بن مروان الذي تولى الخلافة سنة ٧٣هـ:

أ ـ في سنة ٧٤ هـ سار الحجاج ـ الذي نصبهُ عبد الملك ـ الى المدينة وأخذ يتعنت علىٰ أهلها ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وختم في اعناقهم وايديهم يذلهم بذلك، كأنس، وجابر بن عبد اللّٰه الانصاري، وسهل بن سعد الساعدي، فانا للّٰه وانا إليه راجعون[٣].

ب ـ وصيته إلىٰ ابنه حين احتضاره: «إذا انا مت فشمر، وائتزر والبس جلد النمر وضع سيفك علىٰ عاتقك، فمن ابدىٰ ذات نفسه [لك] فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه»[٤].

«ولو لم يكن من مساوي عبد الملك الا الحجاج وتوليته اياه علىٰ المسلمين وعلىٰ الصحابة رضي اللّٰه عنهم، يهينهم ويذلهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابة واكابر التابعين ما لا يحصىٰ فضلاً عن غيرهم... فلا رحمهُ اللّٰه ولا عفا عنهُ»[٥].

٤ ـ في عهد الوليد بن عبد الملك: الذي تولّىٰ الخلافة سنة ٨٦ هـ: أخرج ابو

---

(١) ابن الاثير، الكامل ٤: ١٠٣.
(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام ٢: ٣٥٦.
(٣) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢١٥.
(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢١٧.
(٥) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٢٠.

نعيم في الحلية عن ابن شوذب قال: قال عمر بن عبد العزيز عندما كان الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حبارة بالحجاز وقرة بن شريك بمصر: امتلأت الارض والله جوراً(١).

وقد اغتيل في عهد الوليد الامام زين العابدين عليه السلام من خلال دس السم إليه والذي قام بعملية الاغتيال اخوه سليمان بن عبد الملك الذي تولىٰ الخلافة من بعده.

٥ ـ في عهد سليمان بن عبد الملك الذي تولىٰ الخلافة سنة ٩٦هـ وكان مشغولاً بالطعام والنساء والبذخ بشكل جعل المؤرخين يقطعون بكونه افسد ممن سبقهُ من سلاطين بني امية(٢).

٦ ـ هشام بن عبد الملك: وفي عهدهِ اعاد أيام يزيد والحجاج الدموية فتصدىٰ لاهل البيت عليهم السلام وفي عهده ثار الشهيد زيد بن علي عليه السلام وأمر هشام بصلب جثته ومن ثم حرقها وذر رمادها في نهر الفرات، وقتل خيرة اصحاب واتباع الامام الباقر عليه السلام، ثم أقدم علىٰ اغتيال الامام محمد الباقر عليه السلام بدسّ السم إليه في عام ١١٤هـ.

ولم يتوان أئمة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم في التصدي لهم، وكشفوا للامة انحرافهم عن الاسلام وضلال حكمهم الزائف، فتحملوا هم وأتباعهم بسبب ذلك ألوان التنكيل والتشريد والقتل، وقد اشرنا إلىٰ اننا لم نجد اماماً منهم عليهم السلام ممن عاصر هؤلاء الطغاة إلا كان مقتولاً أو مسموماً علىٰ أيديهم.

تلك هي حقيقة اطروحة النص النبوي علىٰ الامامة وحقيقة جذورها الممتدة في عمق الدعوة الاسلامية للرسول صلى الله عليه وآله.. وهذه هي حقيقة الخط المعارض

---

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٢٢٣.

(٢) د. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ١: ٣٢٤.

الذي منع من تبوؤ موقعها المفترض لها وقيمة اطروحته وتجربته العملية وما آلت إليه.

أما ما هي قيمة اطروحة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في القيادة الاسلامية وقيمة تجربتها في واقع الامة؟ وما هو السبيل لملء الفراغ القيادي المباشر في واقع الامة المعاصر؟ فهذا له بحث مستقل إن شاء اللّٰه، نقول فيه قول اللّٰه عزوجل في كتابه المجيد: ﴿قُلْ هذِهِ سَبيلي أدْعو إلىٰ اللّٰهِ علىٰ بَصيرَةٍ أنا وَمَن اتَّبَعَني وَسُبْحانَ اللّٰهِ وَما أنا مِنَ الْمُشْرِكين﴾[1].

---

(١) يوسف: ١٠٨.

اساس الحكومة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

« شبهة ورد »

حدود الشبهة المعاصرة :

إنَّ من أبرز التحديات المعاصرة التي تواجهها الأمة الاسلامية وصحوتها الرائدة هي مسألة الحكم والحكومة كأطروحة نظرية في مقابل الاطروحات الوضعية ، وكقابلية على التطبيق في الواقع واستيعاب المستجدات والتطورات الهائلة في مجال تقنين حركة الانسان وحاجاته المتجددة كماً وكيفاً ، خصوصاً وان التحدي هذا قد حُشدت له كل عوامل القوة المادية العظمىٰ التي تمتلكها الكارتلات الدولية للانظمة الوضعية ، مدعومة بالاجواء المحمومة للعقل الجمعي المختلق بأعظم وسائل التقنيات الاعلامية المعاصرة ، في سعتها وفنونها واساليبها المتنوعة ، للتحكم في اتجاهات الرأي العام للمجتمعات الانسانية .

وكلما صدع للاسلام صوت ولاحت بوارق انتصاره في أُمة من الناس أو بقعة من الأرض تصاعدت الوتيرة الاعلامية والهجمة الثقافية والسياسية لمختلف اجهزة الاستكبار العالمي ويعلو ضجيجها بشعار الديمقراطية العائم ، فهي تثيره دخاناً وتلوح به عصاً : تارةً بهدف جرّ الدول الضعيفة ـ وخصوصاً ذات الاغلبية الاسلامية ـ إلى احضان المعسكر الرأسمالي الغربي ، وتارةً أُخرىٰ لتمرير مخططاتها في احتواء الموجة الاسلامية المتنامية التي تطالب باقامة الحكومة الاسلامية وتحكيم شرعة الله وقوانينه في واقعهم السياسي والاجتماعي ، وثالثةً لتشويه صورة النظام الاسلامي الرائد وتجربته الفريدة في ايران الاسلام ... فتتهمه احياناً

بالدكتاتورية والاستبداد ، وأُخرىٰ بالقصور عن تحقيق مصالح المجتمع وسعادته ، واخيراً ـ وهو الاخطر ـ محاولتها الدس والتشويه لخلق تصورات منحرفة ، خصوصاً في اوساط المثقفين ، مدعية ان النهج الديمقراطي هو السبيل الذي لا بد من الاخذ به لتطوير النظام السياسي الاسلامي وسد ثغراته وتجديده ليتناسب وتطلعات الشعوب لتقرير مصيرها ولينسجم والنظام السياسي الدولي القائم علىٰ اساس ديمقراطيتهم الغربية . وهذا في حقيقته محاولة تمهيدية لاحتواء النظام الاسلامي وتفريغه من محتواه الالهي الاصيل ، بل واسقاطه في حضيض انظمتهم الوضعية ونظرياتهم المادية . وليس هذا بغريب أو جديد في اُفق المواجهة مع الجاهلية الحديثة وشياطينها الانسية .

جذور الشبهة :

ولنتناول القضية من جذورها ، ثم نجلي الحقيقة ونظهر الحق مميزاً عن الباطل ليدمغه ويعلو عليه ، انطلاقاً من قوله تعالىٰ : **﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لَو أردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنّا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق علىٰ الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون ﴾**[1] .

منذ الغزو الحضاري الاوربي لعموم الشرق وخصوص الحواضر الاسلامية ، والنظريات الوضعية تتوالىٰ في الافق الثقافي بكل مؤسساته السياسية والاعلامية والتعليمية وغيرها من جوانب المجتمع والدولة ، متّخذةً أشكالاً متنوّعة وأنماطاً براقة توحي بالحداثة والجدّة ، وهي في الواقع لا تخرج عن اُصول الثقافة العلمانية ومقولاتها التي لا تتفاوت كثيراً في إنكارها ورفضها للدين ودوره في بناء الانسان والمجتمع والدولة علىٰ اُسس الحقّ والعدل .

(١) الانبياء : ١٦ ـ ١٨ .

والعلمانية ـ كما هي مبانيها ـ بين حدّين في نظرتها إلىٰ الدين ؛ ففي حدّها المتطرّف الأول تنكر الدين وتقيم نظريتها علىٰ اساس الالحاد المطلق ، وفي حدّها المتطرّف الثاني تحاصر الدين وتجرده من هُويته الاجتماعية ، بل والانسانية ، وتجعله مجرّد تصورات ذهنية محضة وحالة ذاتية محاصرة في الباطن ، إذ ليس له أيّة مصداقية واقعية تعبّر عن إيمان الانسان به ، وليس له أيّ انعكاس ملموس ومحسوس في سلوكه كإنسان اجتماعي . والديمقراطية ـ كنظرية سياسية تأسست علىٰ ضوء مقولة العقد الاجتماعي لـ « جان جاك روسو » في اقامة السلطة والحكومة في الواقع الانساني ـ تقع في الحدّ المتطرّف الثاني من صور العلمانية التي نادت بها اوربا إبّان الثورة الصناعية .

ولقد أخذت العلمانية بريقها وموقعها في اوربا لعاملين رئيسيين احدهما سلبي والآخر ايجابي :

أمّا العامل السلبي منهما فهو الدكتاتورية المطلقة التي حكمت اوربا قروناً بما فيها دكتاتورية الكنيسة وهيمنتها باسم الدين والرب ، والتعسف البشع لرجالاتها في مواجهة التجديد والابداع العلمي والحرية الفكرية والثقافية ، وما رافق ذلك من اضطهاد للعلماء والمفكرين وسفكٍ لدمائهم لمجرد اكتشافهم حقائق أو وصولهم إلى نظريات علمية مخالفة لنظريات الكنيسة .

وأمّا العامل الايجابي فقد تمثّل بالثورة الصناعية التي قلبت موازين التفكير الاوربي ـ خصوصاً تجاه الكنيسة ـ الذي ظلّ متحجراً علىٰ العديد من النظريات العلمية الباطلة والمقولات الخرافية المتخلفة ، اثبتت الثورة الصناعية وما رافقها من اكتشافات علمية خلافها ، وحطمت قدسية الكنيسة ومقولاتها ، معلنةً ـ كرد فعل علىٰ منهج الكنيسة ـ اُلوهية العلم في منهجه التجريبي المادي ، وأنه المقياس الأوحد في صدق وكذب أيّة رؤية فكرية أو دعوىٰ نظرية ، بما في ذلك المقولات

الدينية .

لهذا وذاك احتلّ العلم والمختبر العلمي مكان الدين والكنيسة في تنقيح العقائد والنظريات وقبولها أو رفضها . وهذا ما أُطلق عليه اسم العلمانية .

والديمقراطية في واقعها نظرية قائمة على الأساس العلماني في مجاله السياسي ، فهي منهج وطريقة منح السلطة وتشكيل الحكومة وبناء الدولة وأجهزتها بمعزل عن الدين ومؤسساته .

ونحن هنا في معرض بيان الاساس المقوّم للحكومة في كل من النظرية الاسلامية والنظرية الديمقراطية ثم نعقد مقارنة نكتشف من خلالها مدىٰ التباين النظري بين الديمقراطية والاسلام في المنهج السياسي ... وهل هناك نقاط التقاء علىٰ المستوىٰ النظري أو التطبيقي أم لا ؟

جواب الشبهة :

وقبل الدخول في مفردات الجواب لا بدّ لنا من الإشارة إلى مسألتين مهمّتين :

المسألة الاولى : خطأ الاسقاط التنظيري على الاسلام

ان الاسقاط التنظيري علىٰ الدين الاسلامي الذي يقوم به العلمانيون من المنادين بالديمقراطية العلمانية ومحاكمته علىٰ أساس تصوّراتهم عن الكنيسة كرؤية وموقف خطأ فاحش ؛ ذلك لأن العلمانية وديمقراطيتها جاءت كردّ فعل تجاه السلطة المتحجرة للكنيسة وحكومتها الفكرية والسياسية في الحقبة المظلمة ، وهذا يختلف أمره كليّاً والدين الاسلامي وعلماءه ومفكريه ؛ حيث إنّ الاسلام في مبانيه ـ اصولاً وفروعاً ـ يقوم علىٰ اساس المنهج العقلي في الاستدلال والبرهان علىٰ عقائده ؛ وانطلاقاً من ذلك تقوم عملية الاستنباط لأنظمته وتشريعاته من

مصادرها الشرعية في مختلف مجالات الحياة بما فيها المجال السياسي ونظريته حول السلطة والحكم . وهكذا كانت سيرة علمائه ومؤسساته الرسالية بالرغم من محاولات التحريف والتزوير التي حاول أعداء الاسلام وحكام الجور القيام بها علىٰ مرّ العصور للإجهاز علىٰ أصالة الدين الاسلامي أو لتوظيفه في خدمة مصالحهم وأهوائهم الخاصة تكريساً لدكتاتوريتهم في السلطة والحكم .

المسألة الثانية :الفارق في اساس الحكومة بين النظرية الاسلامية والنظرية الوضعية

إن عملية تقويم أيّة نظرية أو أُطروحة في مجال الولاية والحكم لا بدّ فيها من النظر إلى فارق أساسي بين النظريات والاطروحات الوضعية من جهة والأُطروحات الإلهية المتمثلة بنموذجها الأكمل في الدين الاسلامي من جهة أُخرىٰ ، وهو أن السلطتين التشريعية والتنفيذية في الأنظمة الوضعية من صنع البشر وليس وراءهم أو فوقهم أيّ مصدر أو سلطة عُليا ، وأنّ السلطة في أحسن صورها القائمة علىٰ اساس العقد الاجتماعي تفتقر إلى القدرة علىٰ اصابة واقع العدل والقسط والمصلحة الاجتماعية ، بل ان للميول والرغبات والمصالح الشخصية أو المشتركة للفئة المنتخَبة مطلق العنان في التحكم فيها . أمّا في الاسلام فإن السلطة التشريعية مقوّمة بواقع العدل والقسط والمصلحة الاجتماعية ، وهذا لا يمكن تحقيقه ومعرفته إلّا من خلال الرسالات الالهيّة ، لان الله وحده هو العالم بالمصالح والمفاسد الواقعية للحياة الانسانية ، وطريقته في بيان تشريعه وايصاله إلى البشرية هي ارسال الرسل الأمناء بكتبه وبياناته ، وهو مفاد قوله تعالىٰ : ﴿ لقد ارسلنا رُسُلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط ... ﴾[١].

﴿ ولقد بعثنا في كل أُمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ... ﴾[٢].

﴿ هو الذي بعث في الامّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ... ﴾[٣].

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾[٤].

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة الدالّة علىٰ ذلك .

أمّا السلطة التنفيذية الموظفة لتطبيق هذه الشريعة الواصلة واقامة حكومتها في الناس فأمرها منحصر بالانسان العالم العادل الخبير والقادر علىٰ تحمل مسؤولية اقامة العدل والقسط في المجتمع الانساني ؛ لذا فان الله سبحانه يصطفي لها من البشر الأعلم بشريعته والعادل الأقدر علىٰ الاستقامة عليها والأكفأ في حملها رسالةً إلى الناس ، وهو المنصب الذي يصطلح عليه في الاسلام بالإمامة أو الولاية ، وهو مفاد قوله تعالىٰ :

﴿ وإذ ابتلىٰ ابراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمّهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾[٥].

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾[٦].

﴿ والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعينٍ واجعلنا

---

(١) الحديد : ٢٥ .
(٢) النحل : ٣٦ .
(٣) الجمعة : ٢ .
(٤) البقرة : ١٢٩ .
(٥) البقرة : ١٢٤ .
(٦) السجدة : ٢٤ .

للمتقين إماماً ﴾[١].

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة الدّالة علىٰ ذلك .

مقارنة بين الأساسين :

ولعقد المقارنة المفترضة نقول : ان هناك أمرين اساسيين من مقولات الوجدان الانساني لا بد من توفرهما معاً وفق المنطق العقلي والعقلائي لتسوغ إقامة الحكومة وبسط سلطانها التشريعي والتنفيذي وإعمال ولايتها علىٰ الناس :

الأول : مصدرٌ مشروع تستمدّ منه الحكومة المفترضة السلطة والولاية .

الثاني : قيام سلطة الحكومة المفترضة وبرامجها وفق المصالح الاجتماعية وبهدف تحقيق العدل في واقع المجتمع .

أمّا الأمر الأول : ففي الديمقراطية العلمانية ـ بمختلف صورها ـ يكون مصدر السلطة والحكومة في التشريع والتنفيذ هو الناس أو مجموعة منهم ، أمّا في الاسلام فمصدر السلطة والولاية هو الله تعالىٰ ، وهذا كما يشمل أصل الولاية والحكومة فهو يستوعب السلّم الطولي لها من السلطتين التشريعية والتنفيذية ـ علىٰ فرض صحّة هذا التقسيم علىٰ ضوء الاسلام ـ والله سبحانه يصطفي لتبليغ رسالاته وتشريعاته الناسَ والولاية عليهم مَن تمحّض الايمان والاخلاص والعدالة علىٰ دينه وارادته سبحانه وتأهّل لمنصب الولاية الإلهية بجعله واعتباره مبلّغاً وإماماً وحاكماً يبلّغ الناس رسالات ربه ، ويمارس هذه السلطة والولاية عليهم وفق الانظمة والتشريعات الالهية المبلغة إليه منه سبحانه ، كما له أن يجعلها ويعتبرها لمن يليه ممّن تتوفر فيه مواصفات الولاية الالهية بشكل خاص أو عام ، حسب الظروف والعوامل التي تمرّ بها مسيرة المجتمع الانساني .

---

(١) الفرقان : ٧٤.

وفي هذا الأمر نقطة افتراق اساسية وجوهرية ـ كما هو واضح ـ بين الديمقراطية العلمانية والنظرية السياسية في الاسلام.

وأمّا الأمر الثاني: فعلىٰ أساس الديمقراطية العلمانية تبقىٰ مشكلة تشخيص المصالح والمفاسد الواقعية للحياة الانسانية في بُعديها الفردي والاجتماعي مستعصية وقائمة تفتقر إلى حلٍّ واقعي يصدقه العقل والمنطق ويذعن له الوجدان وتطمئنّ به النفس. وعليه فإن معالم طريق تحقيق العدالة والسعادة للمجتمع الإنساني علىٰ اساس الديمقراطية العلمانية تبقىٰ غامضة تاركة المجتمع يتخبّط في مجال تشخيص التشريع والنظام الصالح واختيار السلطة والحكومة العادلة والمؤتمنة علىٰ مصالحه وأهدافه. وبتعبير آخر ان العقبة الكؤود في وجه الديمقراطية العلمانية هي مسألة الجهل بالمصالح والمفاسد وعدم إحراز العدالة كشرط في مَنْ يتمّ اختياره للسلطة والولاية، فهما نَقصان جوهريان تعجز الديمقراطية العلمانية عن رفعهما بعيداً عن الدين الحق.

ويمكننا تفصيل هذه المشكلة الأساسية بالنظر إلى أهم جوانبها من خلال طرح هذه المقارنة:

١ ـ كيف يمكننا أن نتصور قدرة الناس ـ عند غياب الدين الإلهي الحق ـ علىٰ اختيار ما به تحقيق المصلحة الاجتماعية في التشريع والتنفيذ، وهم يجهلون مقاييس الصواب والخطأ في الاختيار ؟! اضافة إلى انهم محكومون بطبيعتهم الاولية للأهواء والنزعات الخاصة!

٢ ـ كيف يمكننا عملياً معالجة مشكلة التصرف بآراء الأكثرية من الناس عن طريق شراء الأصوات أو التغرير بالوعود الكاذبة والاعلام الخادع أو ممارسة الارهاب لتحميل اختيار معيّن دون غيره بعيداً عن لحاظ المصلحة

الاجتماعية وسبيل العدالة ؟ وكشاهد شاخص علىٰ ذلك ما يحصل في الدول المدّعية للديمقراطية ، كما في امريكا ودول اوربا الغربية ومن يحذو حذوهم من دول العالم الثالث ، وما جرىٰ في الجزائر وتركيا وامثالهما ليس ببعيد عن ذاكرتنا.

٣ ـ ما هو الضمان لاستقامة المنتخَبين للحكم والسلطة وتغليبهم لمصلحة المجتمع علىٰ مصالحهم الذاتية وأهوائهم الخاصة عند تشريع الأنظمة والقوانين أو تنفيذها ؟ خصوصاً وان المقياس والغاية لديهم لا يعدوان هذه الحياة المادية بكل زينتها وشهواتها ، بل اننا نجد هذه الفئة المنتخبة تنتهي عادة إلى تغليب مصالحها الفردية والفئوية عند التشريع وسنّ القوانين . أمّا في المجال التنفيذي فتعمد إلى التعسف الحكومي وبسط سطوتها الانتهازية علىٰ الشعوب والأُمم عن طريق تشكيل الاجهزة العلنية والسرّية لإحكام السيطرة وإعمال النفوذ ولمنع إعمال أيّة ارادة خارج ارادتها وسلطتها . والنموذج البارز لذلك هو النظام الحاكم في أميركا ودول الغرب عموماً ومن سار علىٰ نهجهم السياسي من دول العالم الثالث .

ولم تنفع كل عمليات الترقيع والتحديث للديمقراطية العلمانية حيث ظلّت عاجزة عن حسم هذه المشاكل ورفع صور التهافت عن مبانيها وبنائها ، علىٰ أن أصل هذه المشكلة يكمن في عجز الانسان ـ فرداً أو مجتمعاً ـ عن تشخيص المصالح والمفاسد الواقعية في مجالات حياته الخاصة والعامة ، فكيف يمكنه اصابة الأصلح في السلطة والولاية علىٰ صعيدي الصواب في التشريع والعدالة في التطبيق ؟! والتجربة الإنسانية الوضعية طرّاً بكل انتكاساتها وصراعاتها وما تحملته من آلام ومعاناة وشقاء إلى يومنا هذا دليل صارخ وشاهد حيّ علىٰ ذلك .

أمّا في الاسلام فلأن المشرّع والحاكم المطلق هو الله تعالىٰ وهو العالم بمصالح ومفاسد الحياة الانسانية فلا وجودلهذه المشكلة ؛ فهو العادل الذي خلق بالحق وقدّر بالحق وشرّع بالحق وأعطىٰ كلاًّ حقّه بلا حيف ولا ظلم ، وعندما يُرسل

رسله لتبليغ تشريعاته للناس يصطفي الصادق الأمين، وعندما يعيّن حاكماً عليهم يختار الاعلم بتشريعاته وذا العدالة الأوثق في الاستقامة عليها وصاحب العزم الأكفأ في حمل رسالته وتطبيقها في حياة الناس.

لذا فإن التشريعات والقوانين الصالحة للبشرية مضمونة من الله لعلمه سبحانه بمصالح ومفاسد الحياة، وعامل العدالة والكفاءة في تحقيق المصلحة العامّة عند التطبيق شرط اساسي جعله الله ـ منظمّاً إلى شرط العلم والفقاهة بشريعته ـ في كلّ حاكم يلي امور الناس، وبذلك تتكامل الشروط ويتحقق الأمران الضروريان المسوغان لإقامة أيّة حكومة وبسط سلطانها علىٰ الناس؛ فالمصدر المشروع الذي تستمدّ منه سلطتها وولايتها علىٰ الناس هو الله سبحانه لكونه الكمال المطلق، إذ الأصل أنْ لا ولاية لأحد علىٰ أحد إلّا بمرجّح، فكيف إذا كان الانسان محض الافتقار، والله سبحانه ذاته عين الكمال المطلق.

كما ان العلم والفقه بالشريعة الالهية والعدالة والاستقامة عليها هو الضمان لسير الحاكم وحكومته وفق المصالح الاجتماعية ونهج العدل الإلهي في واقع المجتمع.

وهنا يتكامل لدينا الرد الحاسم والجواب التام علىٰ الشبهة التي حاول انصار الديمقراطية العلمانية إلصاقها بالحكم الاسلامي من أنه ينتهي إلى الاستبداد والدكتاتورية، وذلك في إطار ادعائهم بأنّ مثل هذا الحكم الديني يعني الالتزام بالثيوقراطية، التي تقول بان السلطة الحاكمة هي التي تستمدّ سلطتها وقدرتها علىٰ الحكم من الله تعالىٰ وتضفي القدسية علىٰ أوامرها ونواهيها من قدسيته، لذا فحكمها مطلق لا منازع له ولا رادع، ومن ثم فهي مصونة من أيّ حساب، فالرادّ عليها رادّ علىٰ الله وهو علىٰ حد الشرك به، وهل هذا إلّا أشد أنواع الاستبداد والديكتاتورية ؟!

فما اتضح لنا سابقاً أن هناك أمرين أساسيين قائمين في نظرية الحكومة الاسلامية ينفيان بشكل قاطع ورود هذه الشبهة مطلقاً :

الأمر الأول : كون التشريع لله تعالىٰ وهو العالم بكل شيء دون الانسان ، وما يمارسه الانسان ليس إلّا الاجتهاد في استنباط الاحكام الإلهية من مصادرها الشرعية وتنقيح موضوعاتها الخارجية ، وبذلك يتحقق أول شروط السلامة من اهواء الاستبداد والديكتاتورية الانسانية في الحكم .

الأمر الثاني : ان الله سبحانه لم يترك أمر منصب الحكم تتحكم فيه الاهواء الانسانية التي غالباً ما تقوم علىٰ اساس القهر والغلبة اللذين هما قواما أيّة ديكتاتورية واستبداد في الحكم ، بل وضع شروطاً أساسية لا بد من توفرها في الحاكم حدوثاً وبقاءً ليكون صالحاً لمنصب الحكم والولاية في الاسلام . وعمدة هذه الشروط ـ كما أسلفنا ـ هي الفقاهة والعلم بالشريعة ، والعدالة والاستقامة عليها، والعزم والكفاءة في حمل رسالته سبحانه والحكم علىٰ ضوئها . وللأُمة الاسلامية الراشدة مراقبة مدىٰ توفر هذه الشروط في الحاكم والدوام عليها ، وإلّا فإنّه يسقط عن مقام الولاية ومنصب الحكم . وتاريخ الأُمّة الاسلامية الغابر والمعاصر حافل بشواهد المواجهة المختلفة ، خصوصاً تلك التي قادها أئمة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم من العلماء المجاهدين ضد الحكام المنحرفين عن الاسلام .

وبهذين الامرين الاساسيين القائمين في نظرية الحكومة الاسلامية نقطع بعدم الانسجام بين طبيعة وشكل الحكم الاسلامي وبين الديكتاتورية والاستبداد ، فهما متباينان جوهرياً ولا يلتقيان أبداً .

ويتأكد هذا عقلياً وشرعياً وفق مباني المدرسة الاسلامية الكبرى لأهل البيت عليهم السلام التي ترىٰ العصمة في الحاكم الاسلامي ؛ فالرسول صلى الله عليه وآله بعنوانه رسولاً مبلغاً وبعنوانه والياً حاكماً معصوم من الخطأ والزلل ، وأنه صلى الله عليه وآله نصَّ ـ بأمر الله

سبحانه ـ على الخلفاء والحكام من بعده ، وانهم معصومون ، أمّا في عصر غيبة الامام المعصوم فانه عليه السلام قد جعل بالتنصيب العام الحكم والولاية في مَنْ تتوفر فيهم الشروط الاساسية للحاكم الاسلامي الصالح من العلم والفقاهة ، والعدالة ، والعزم والكفاءة ، وهذا ما نراه اليوم نموذجاً متوفراً في حكومة الفقيه العادل الكفوء في ايران الاسلامية .

هذه هي وجوه المقارنة الاساسية بين الديمقراطية العلمانية في الحكم ونظرية الحكم الاسلامي . فهما متقابلان لا شيء من احدهما يلتقي مع الآخر .

الشورىٰ في الحكم :

أمّا لو جرّدنا الديمقراطية عن علمانيتها واخذناها بما هي مجرد انتخاب وتصويت ، أي بما يساوق الشورىٰ في الاسلام ، فالأمر سيختلف عند ذلك .

وهنا لا بد لنا من توضيح معنىٰ الشورىٰ في الاسلام ، فنقول : ان الشورىٰ يدّعىٰ لها معنيان رئيسيّان :

المعنىٰ الأول :

انها الاساس الذي يثبت به جزء أو كل شؤون منصب الحكم والولاية العامة .

وهو المعنىٰ الذي ذهبت اليه المذاهب الاسلامية الاخرىٰ وسارت عليه الخلافة في مرحلتها الاولىٰ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويقوم على اساس شورىٰ المسلمين وهي ان تكون الولاية للمسلمين على انفسهم وهم يمنحونها بالطريقة التي يتوافقون عليها إلى من يرونه مناسباً لها ضمن الضوابط العامة للانسان المسلم .

ورغم عدم وضوح الطريقة التي تمارس بها الشورىٰ لاختيار الولي وتعيينه إلّا انها عملاً مورست بأربعة اساليب في مرحلة الخلافة الاولىٰ وهي :

الاسلوب الأول : طريقة شورى أهل الحل والعقد ، وفيها تجتمع مجموعة مختارة من المسلمين ليتفقوا بالاجماع أو بالاغلبية على اختيار الخليفة وبيعته ويكون هذا الاتفاق ملزماً لبقية المسلمين بالاقرار والبيعة . وهي الطريقة التي تم بموجبها اختيار الخليفة الأول أبي بكر وبيعته في سقيفة بني ساعدة ثم الطواف به في ازقة المدينة والمسح بيده على كل من صودف في الطريق من بقية المسلمين في المدينة .

الاسلوب الثاني : طريقة تعيين الخليفة السابق للخليفة اللاحق بعد استشارة مجموعة من كبار المسلمين ، والزام سائر المسلمين بها ، وهي الطريقة التي تم تولية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بها .

الاسلوب الثالث : طريقة حصر الخليفة السابق الاختيار في انتخاب الخليفة اللاحق بالأكثرية المطلقة في معينين يرىٰ فيهم الصلاحية والأهلية لهذا المنصب وعند التساوي ترجح كفة من فيهم أحدهم المعين من قبل الخليفة السابق. وهي الطريقة التي تم انتخاب الخليفة الثالث عثمان بن عفان حيث حصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الترشيح والانتخاب في ستة اشخاص افترض انهم موضع رضا المسلمين ويقوم هؤلاء الستة بانتخاب واحد منهم بالأكثرية المطلقة ، وعند التساوي ترجح الكفة التي يكون فيها عبد الرحمن بن عوف . وهذه الطريقة هي تلفيق بين الشورى النسبية والتعيين .

الاسلوب الرابع : طريقة البيعة العامة لأهل الحل والعقد وجمهور المسلمين . وهي الطريقة التي تم بها انتخاب الخليفة الرابع الامام علي بن أبي طالب عليه السلام باجتماع عموم المسلمين وكبار الصحابة في المدينة ، وقد أبلغ في وصفها أمير

المؤمنين عليه السلام بقوله: « فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع إليّ، ينثالون عليَّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم »[١].

ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه الاساليب ومدىٰ مشروعيتها اسلامياً ولا مناقشة صحة المعنىٰ الأول للشورىٰ أو عدم صحته فان له محله[٢]، انما الذي يهمنا هنا هو ان القول بالشورى بهذا المعنىٰ لا يقصد منه اصحابه ـ ولو نظرياً على الأقل ـ سلب الولاية التشريعية عن الله سبحانه والتصرف بها من قبل الحاكم، والخليفة المنتخب بالشورىٰ، كما ان سلطته التنفيذية كحاكم يفترض تقيدها بقيود الاسلام المقررة شرعاً، كالعلم والعدالة والكفاءة ـ ولو بالجملة ـ وإلّا فعلىٰ الأمة ـ وخصوصاً علماءها ـ نصيحته واتمام الحجة البالغة عليه، فان لم ينفع ذلك فلها عزله وانتخاب حاكم أصلح غيره من بين المسلمين. وهذا يختلف في اساسه عن اساس النظام الديمقراطي في منح السلطة والحكم كما هو واضح.

المعنىٰ الثاني:

انها طريقة لتجميع وتطوير التجارب والخبرات وتوظيفها لإسناد الحاكم والحكومة الاسلامية والمشاركة في تحمل مسؤولية أداء وظائفها الرسالية، وهو المعنىٰ الذي تذهب اليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وهذا وإن كان لا يصدق بمضمونه المذكور بحق الرسول صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام إلّا أنه يصدق في مقام ترشيد المسلمين وتربيتهم وتأليف قلوبهم وشدّها نحو الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بما هم حكام، وهو مدلول الآية الكريمة في قوله تعالىٰ مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ فبما رحمةٍ

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٣ (المعروفة بالشقشقية).

(٢) راجع علىٰ سبيل المثال كتاب الحكومة الاسلامية للامام الخميني قدس سره، وكتاب اساس الحكومة الاسلامية وكتاب ولاية الأمر للسيد كاظم الحائري، وكتاب الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق للسيد محمد باقر الحكيم.

من الله لِنتَ لهم ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكّل على الله إن الله يحبُّ المتوكلين﴾.[١]

ومن اساليب تحقيق المعنىٰ الثاني للشورىٰ هو الانتخاب والتصويت ، بل ان مشاورة أهل الخبرة والتجربة من المتخصصين في مختلف شؤون الحياة من قبل الحاكم الاسلامي في عصر الغيبة هي أحد ملاكات تحقق شرط الكفاءة والتدبير في ادارة شؤون الحكم الاسلامي .

وقد يوجب الحاكم الاسلامي عند اقتضاء مصلحة الاسلام والمجتمع وفي اطار ظروفه الداخلية وما يحيطه من اوضاع سياسية سائدة في العالم انتهاج اسلوب الانتخاب والتصويب ، كما وقد يُلزم بنتائجه . والذي نراه اليوم في الجمهورية الاسلامية الايرانية هو مصاديق حاكية عن هذا النهج ، كالتصويت علىٰ نظام الجمهورية الاسلامية والتصويت علىٰ الدستور الاسلامي وانتخاب مجلس الفقهاء العدول وانتخاب الاخير فقيهاً عادلاً كفوءاً من بينهم لولاية أمر المسلمين وقيادتهم وانتخاب رئيس الجمهورية مشروطاً بامضاء ولي الأمر القائد وانتخاب اعضاء مجلس الشورىٰ وفق شروط النائب الصالح ، وهكذا في اختيار رئيس الجمهورية المنتخَب أعضاءَ حكومته واجهزتها التنفيذية مشروطاً بموافقة أغلبية أعضاء مجلس الشورىٰ ـ باعتباره ممثلاً للشعب ـ وامضائه له ، وغير ذلك مما هو واقع أو يستجدّ حسب مقتضيات مصلحة المجتمع الاسلامي .

فبهذا المعنىٰ من الديمقراطية نجد أنه اسلوب مساوق لمعنىٰ الشورىٰ في الاسلام الذي ندب اليه القرآن الكريم والرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، كما وقد يجب ـ كما أوضحناه ـ وفق ضوابط وهدف تحقيق مصلحة الاسلام

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

وأُمته الجيدة . وتشخيص هذه المصلحة يتم وفق قواعد الشريعة من قبل ولي الأمر والحاكم الاسلامي الجامع للشرائط الشرعية التي فرضها الاسلام فيه .

بهذه الحدود وعلىٰ هذا الاساس يمكننا أن نتصور للديمقراطية اللّاعلمانية ـ بمعنىٰ الانتخاب والتصويت ـ موقعاً ومكاناً في المنهج السياسي الاسلامي .

لغة المصطلحات ومنطق العقلاء :

وبالرغم من اننا لسنا معقّدين من هذه الاطلاقات الاصطلاحية إذا كان الهدف منها هو ايصال الحقيقة إلى طلابها وتيسير الخطاب والبيان لمن لا يفهمه إلّا بهذه الاصطلاحات ، ولكننا نخشىٰ سوء السريرة ومداخل الخلط والتشويه للمتربصين بالاسلام وحركته الرسالية الرائدة ، فلا شك ان للإسلام لغته واصطلاحاته العقائدية والشرعية الخاصة به ، كما ان للأنظمة والاطروحات الوضعية لغتها واصطلاحاتها الخاصة بها ، وبين اللغتين فوارق اساسية ؛ فاستعمال إحداها في بيان مطالب الأُخرىٰ لا يخلو من احتمال الخلط أو القصور في مفادها .

وعليه فمن أراد معرفة مباني وحقائق مبدأ معيّن عليه أن يحوطها بلغة ذلك المبدأ واصطلاحاته الخاصة ، ويتجنب اسقاطات الاصطلاحات الاجنبية عليه .

علىٰ ان لغة المنطق والعقل هي لغة مشتركة بين العقلاء يكفي استرشادها والتوجه اليها لتتوحد الرؤية علىٰ ضوئها . ونهج القرآن الكريم والرسول الأمين صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام واحد في هذا السبيل . فمن الروائع القرآنية التي تختصر لنا مقولتنا هذه في اصول الحكم والحاكم علىٰ هذا النهج قوله تعالىٰ في المصدر المشروع للولاية والسلطة : ﴿ ... افمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتّبع أم من لا يهِدّي إلّا أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون ﴾[1] .

---

(١) يونس : ٣٥.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومنطق تحميل العقيدة بالقوة

« شبهة ورد »

صدق الله العلي العظيم في كتابه الكريم وهو يصف عمل الكافرين بقوله: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحرٍ لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[1].

هذه هي حقيقة عمل الكافرين في كل الادوار والعصور ومع كل الانبياء والرسل ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، فهم يتخبطون في اباطيلهم وشبهاتهم حول الرسل والرسالات الالهية المتوالية. ولقد اشتد امرهم مع الاسلام ونبيه صلى الله عليه وآله واهل بيته الطاهرين عليهم السلام، لما له من الهيمنة علىٰ الدين كله وانفتاح الناس عليه وانتصارهم علىٰ أهوائهم بالدخول فيه افواجاً لا يحجبهم عن ذلك عِرقٌ ولا يحدهم مصر. ويتجدد مكاء الكفرة وتصديتهم كلما جاء نصر الله وفتحه وعلت كلمته وامتدت في الآفاق دعوته، وتنادت الامم والشعوب تسليماً وايماناً به، وكفراً بالطاغوت وجهاداً له.

ودأباً علىٰ سنتهم هذه تعبأوا وتنادوا لمواجهة المدّ الاسلامي، والصحوة

---

(١) النور: ٣٩ و ٤٠.

الرائدة المنطلقة من بؤرة النور المحمدي الاصيل التي أسرجها الامام المجدد الخميني الكبير رحمه الله بثورته الاسلامية العملاقة، التي ملأت الآفاق بنور هديها وأيقظت الشعوب لترىٰ الحق حقاً فتتبعه والباطل باطلاً فتحربه.

وكان من أول وابرز ردود فعل الكفر ودوائره في خضم هذه المواجهة هو التهمة بالارهاب، ودعوىٰ تصدير المسلمين ثورتهم ورسالتهم إلىٰ الشعوب والامم الاخرىٰ بالقوة والعنف. وهي فرية باطلة قام اساسها علىٰ دعوىٰ أن الاسلام لم ينتشر علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله والعهود التي تلته إلّا بالقوة والسيف، فدعوته صلى الله عليه وآله قائمة علىٰ الارهاب والتسلط، وهو اليوم كذلك، وقد اخذت هذه الفرية كيفيات وصيغاً مختلفة لتتناسب ومراحل مواجهة الكفر وكيد قواه الغاشمة للاسلام والمسلمين.

وفي مقدمة من نظر لهذه الشبهة وتمحل ادعاءها هم الحاقدون من رجال الاستشراق ودعاة الصليبية، ولعلهم بذلك أرادوا أن يبرروا محاكم تفتيشهم الدموية بعد سقوط الاندلس بأيديهم، ويدفعوا عنهم اصوات الانكار علىٰ حروبهم الصليبية التي اهلكوا فيها الحرث والنسل وأفنوا اجيالاً من المسلمين الابرياء طيلة قرون متمادية.

إلّا أن الاهم في استهدافهم من إثارة هذه الشبهة هو الحط من قيمة الاسلام وعقائده، وقدرته علىٰ اثبات احقيته المطلقة وهيمنته علىٰ الاديان كلها، وتهافت جميع الاطروحات الوضعية امامه بالحجة البالغة والدليل الحاسم. وهم يعرفون حق المعرفة أن الاسلام بسمو مبانيه وتكامل تشريعاته ملك العقول وتألقت بعشقه القلوب واستسلمت النفوس لبياناته المشرقة بالحق.

وهذه المسألة ينبغي تناولها بالنظر إلىٰ المباني والعمل علىٰ رفع الستار عن دعواهم الباطلة هذه حتىٰ يرىٰ طالب الحق أنها كسراب بقيعة إذا جاءه الظمآن لم

يجده شيئاً.

وفي معرض ردّ هذه الشبهة يجب ابتداءً أن نشير إلىٰ اصول عقلائية وعقلية هي المدخل المنطقي لبيان موقف الاسلام من القوة في نشر دعوته واعلاء كلمته وهي:

١ ـ أن الاسلام مأخوذ في مبانيه الاساسية توجيه الخطاب للبشرية جمعاء، ودعوتهم إلىٰ عقائده وتشريعاته التي يرىٰ بالدليل والحجة أنها تضمن لهم العدل والسعادة بدلالة قوله تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿وما أرسلناك إلّا كافّةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾[٢]. وغيرها من الآيات الكريمة.

بل يؤكد حتمية ظهوره بالهدىٰ والحق الملازم للحجة والبرهان في قوله تعالىٰ: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كلّه ولو كره المشركون﴾[٣].

ولكونه فرقاناً بين الحق والباطل القائم بالملازمة علىٰ الدليل والبرهان في قوله سبحانه: ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾[٤].

وهذا أمر يلتزم العقلاء بلوازمه وفي مقدمتها حق العمل لنشر دعوته هذه في الناس، واقامة سلطته علىٰ من اعلن اسلامه وايمانه به، وهذا يختلف تماماً عن مفهوم الاستعمار الذي يعني تسلّط قوم علىٰ قوم بوازع عرقي، أو فئة علىٰ اخرىٰ بوازع الغلبة السياسية أو التفوق الاقتصادي والاجتماعي.

(١) سبأ: ٢٨.
(٢) الانبياء: ١٠٧.
(٣) التوبة: ٣٣، والصف: ٩.
(٤) الفرقان: ١.

فإقامة سلطة الاسلام علىٰ مَن قَبِلَ به يعني تسليط مبادئ الاسلام وقوانينه وتشريعاته، التي انزلها الله تعالىٰ وارسل رسله بها للناس علىٰ اختلاف اجناسهم واقطارهم وازمانهم، تحقيقاً لمصالح البشرية في اقامة الحق والعدل ودرءاً للمفاسد عنها بازهاق الباطل وازالة الظلم.

٢ ـ أن أي حق يحكم به العقل ويذعن له العقلاء يتفرّع عليه حق المطالبة به وازالة الموانع والعقبات التي تقف في طريق تحقيقه، بل استخدام الوسائل الكفيلة لاحقاقه. فنشر الاسلام والدعوة إليه حق باعتباره دعوة عالمية وخطاب لكل البشرية في كل مكان وزمان، وهو المفروض اولاً، وعليه تترتب كل لوازمه التي تضمن القيام به كما قلنا.

وتأسياً علىٰ هذا الاصل العقلائي نجد مايلي:

أولاً: أن آيات الحث علىٰ القتال في القرآن الكريم ـ وكما نُقّح في محله[1] ـ لا دلالة فيها إطلاقاً علىٰ تشريع القتال لتحميل العقيدة الاسلامية محضاً، كقوله تعالىٰ: ﴿إن الله اشترىٰ من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فَيقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتَلْ أو يَغلِبْ فسوف نؤتيه اجراً عظيماً * ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربَّنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً * الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل

(١) راجع الحائري: السيد كاظم ـ كتاب الكفاح المسلح في الاسلام: (٢٣ ـ ٦٤).
(٢) التوبة: ١١١.

الطاغوت فقاتلوا اولياءَ الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾(١).

وقوله أيضاً: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تُكلَّفُ إلّا نفسَك وحرِّض المـؤمنين عسىٰ الله أن يكف بأس الذين كفروا والله اشدُّ بأساً واشدُّ تنكيلاً﴾(٢) وامثالها من الآيات الكريمة.

وأنها منحصرة في موارد الحرب الدفاعية وما في حكمها من الحروب التي تسمىٰ بالوقائية، أو التي تستهدف إزالة الموانع والعقبات التي تقف في طريق نشر الدعوة الاسلامية وتحرير الناس من الطاغوت وأسر الاوهام الباطلة، بقرينة دفع الفتنة كغاية تشير اليها بعض الآيات الكريمة واحباط خطط الاعداء المتربصين بالدعوة الاسلامية للقضاء عليها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الاولين * وقـاتلوهم حـتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصيرٌ * وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نِعمَ المولىٰ ونِعمَ النصير﴾(٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم مـن حـيث اخـرجـوكم والفتنة أشدّ من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتىٰ يقاتلوكم فـيه فـإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين * فإن انتهوا فإن الله غـفورٌ رحـيمٌ * وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنةٌ ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عـدوان إلّا عـلىٰ الظالمين﴾(٤).

ثانياً: كما نجد أن التجربة الاسلامية الكبرىٰ التي قادها رسول الله ﷺ قد

---

(١) النساء: ٧٤ ـ ٧٦.

(٢) النساء: ٨٤.

(٣) الانفال: ٣٨ ـ ٤٠.

(٤) البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣.

انطلقت من أفق هذه الاصول وحدود مفادها فنجد هـذه التـجربة الاسـلامية الرائدة تحكي لنا هذه الاصول فيما يلي:

أ ـ أن جميع معارك وغزوات رسول الله ﷺ لم تكن في مـبدئها وهـدفها تحميل العقيدة الاسلامية، ويمكـننا تـصنيف صـور اسـتخدام القـوة في مـعارك وغزوات رسول الله ﷺ بالشكل التالي:

الأولىٰ: صور الحرب الدفاعية: وبملاحظة تفصيلية لكل منها لا نجد فيها أية دلالة علىٰ استخدام القوة لتحميل العقيدة الاسلامية واليك تقريراً عن ابرزها:

١ ـ واقعة بدر: بمراجعة اسـتعراضـية لهـذه الغـزوة نجـد في ارهـاصاتها ومقدماتها أن «كرز بن جابر» أغار علىٰ آبال اهل المدينة وأغنامهم ونهبها فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة إلىٰ حوالي بدر كي يظفروا به فلم يمكنهم ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ مع المسلمين مرة أخرىٰ للهجوم علىٰ قافلة قريش في عودتهم من الشام إلىٰ مكة. قال رسول الله ﷺ: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله يغنمكموها» فاطّلعت قريش علىٰ الوضع فخرجت من مكة إلىٰ بدر بهدف الدفاع عن قافلتهم فشاور رسول الله ﷺ المسلمين في الحـرب أو الرجـوع إلىٰ المدينة فكانت المشورة هي التصميم علىٰ الحرب، وحينما اطّلع المسلمون علىٰ فرار القافلة ونجاتها اغتم بعضهم لفوات الغنيمة التي كانت مع القافلة التـجارية مـن ايديهم، ونزلت الآية الكريمة: ﴿وإذْ يعدكم الله إحدىٰ الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحقّ الحق بكلماته ويـقطع دابـر الكافرين﴾[1].

وابتدأت الحرب بمجيء الاسود المخزومي إلىٰ حوض ماء المسلمين ليهدمه

---

(١) الانفال : ٧.

أو يشرب منه، فوقعت الحرب بينه وبين حمزة رضي الله عنه وقتله حمزة، ثم ابتدأت قريش بطلب المبارزة. وقد يضاف إلىٰ ذلك دوافع دفاعية اخرىٰ قائمة علىٰ اساس ظلم مشركي مكة للمسلمين وخصوصاً من كان في مكة منهم، وكذلك منعهم عن القيام بنشر دعوتهم الاسلامية في مجتمع مكة المكرمة وسلب حريتهم في ذلك.

وفي حكم ذلك كل صور خروج المسلمين ومواجهتهم لكفار قريش وقوافلهم المنطلقة من مكة سواء وقعت الحرب أم لم تقع.

٢ ـ غزوة بني قينقاع وغزوة بني قريضة جاءتا ردّاً دفاعياً علىٰ نبذ اليهود من بني قينقاع وبني قريضة لعهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، والغاء المعاهدة المبرمة معهم علىٰ أن لا يحاربوه ولا يعينوا احداً علىٰ حربه. أما غزوة بني النضير فهي الاخرىٰ جاءت دفعاً لمؤامرة يهود بني النضير بمحاولتهم اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ معركتا أُحدٍ والخندق كانتا دفاعيتين محضتين ضد هجوم كفار قريش كما هو معروف تاريخياً.

٤ ـ فتح مكة هو أيضاً جاء ردّاً علىٰ نقض مشركي قريش لمعاهدة صلح الحديبية، واسترداداً لحقوق مسلمي مكة التي اهدرت باستلاب اموالهم واخراجهم من مكة ظلماً وجوراً وهتك اعراضهم والنيل من كرامتهم. ومعركة حنين جاءت امتداداً لفتح مكة وردعاً للجيش الذي عبأته هوازن لقتال المسلمين.

٥ ـ غزوة تبوك، وهي الاولىٰ من نوعها ـ بعد غزوة مؤتة ـ في الدفاع عن حدود بلاد السلام التي أعدّ الروم العدة لغزو الاجزاء الشمالية منها.

الثانية: صور الحرب الوقائية أو الابتدائية: وقد اقترنت مفرداتها بظهور أول دولة اسلامية بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة، وانتشار الدعوة الاسلامية في أرجاء واسعة من الجزيرة العربية وقوة شوكة المسلمين فيها، وعند

استعراضنا لتفاصيل هذه الحروب لانجد فيها استخداماً للقوة في تحميل العقيدة الاسلامية. وتنحصر صور هذا النوع من الحرب بما يلي:

١ ـ معركة خيبر، التي كانت معركة وقائية ردّ بها رسول الله ﷺ علىٰ تهييج يهود خيبر لقبائل العرب علىٰ حرب النبي ﷺ وتأسيسهم حرب الاحزاب من قبل، وكسر شوكتهم لئلا يتكرر منهم ذلك.

٢ ـ غزوة مؤتة، وهي أولىٰ غزوات المسلمين في مواجهة الروم والمستعربة من أنصارهم ردّاً علىٰ قتلهم الدعاة والمبلغين الذين ارسلهم النبي ﷺ لتبليغ ونشر الاسلام في مناطق الحدود الشامية، وقتل شرحبيل حاكم تلك المناطق لحارث بن عمير الازدي سفير النبي ﷺ إلىٰ امير الشام وقتئذٍ وهو حارث بن ابي شمر.

٣ ـ تعبئة جيش اسامة والامر بإنفاذه، وقد جاءت هذه التعبئة بعد غزوة تبوك التي انسحب فيها الروم بعد هجومهم علىٰ الحدود الشمالية لبلاد المسلمين عندما رأوا جيوش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ قد أقبلت، وفي حينها عدل رسول الله ﷺ بعد مشورة كبار الصحابة عن قتالهم. إلّا أنه ﷺ قبيل وفاته أمر بتعبئة جيش ضم جلّ الصحابة بقيادة أُسامة بن زيد لحرب الروم لئلا تسوّل لهم انفسهم معاودة الاعتداء علىٰ بلاد المسلمين.

وهكذا كما ترىٰ فهي مشروع حرب وقائية أو ابتدائية وليست مشروع حرب لتحميل العقيدة الاسلامية محضاً.

ب ـ موقف أئمة اهل البيت عليهم السلام من غزوات حكّام الخلافة الاسلامية بعد رسول الله ﷺ حيث أنها محكومة بمبدأ اساسي أعلنه رسول الله ﷺ وأكّده أئمة اهل البيت عليهم السلام من بعده، وهو أن الجهاد مشروط بقيادة أو اذن الامام العادل ضماناً لتحقيق صورته الشرعية وهدفه الرسالي المنشود بدلالة روايات عديدة منها:

عن الامام الرضا عليه السلام في كتابه إلىٰ المأمون: «والجهاد واجب مع الامام

العادل»[١].

وعن الامام ابي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال امير المؤمنين عليه السلام: لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن علىٰ الحكم ولا يُنفذ في الفيء أمر الله عزّوجلّ، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدوّنا في حبس حقنا والإشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهلية»[٢]. وغيرها من الروايات.

بل نجد أن أئمة اهل البيت عليهم السلام خصوصاً في عهد حكّام الخلافتين الاموية والعباسية يحرمون خوض الحروب والغزوات لبلاد الكفر والشرك تحت لوائهم، لأن الاصل في حروبهم وغزواتهم هذه هو توسيع رقعة خلافتهم المنحرفة وبسط سلطانهم الباطل، وعليه لا يمكن تحميل هذه الحروب والغزوات علىٰ الاسلام والأئمة من اهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله. وما ورد عنهم من ترخيص في هذا السبيل منحصر أمره بحفظ ثغور المسلمين وبحد الدفاع المحض عن بلاد الاسلام وبيضته من كيد الكفار والمشركين المتربصين بالاسلام والمسلمين.

وفي روايات كثيرة تصريح بذلك، منها ما في خبر يونس بسند صحيح قال: «سأل أبا الحسن عليه السلام رجل وأنا حاضر، فقال له: جعلت فداك، إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي سيفاً وقوساً في سبيل الله، فأتاه فأخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل، ثم لقيه أصحابه فأخبروه أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز (يعني خلفاء بني العباس)، وأمره بردّهما. قال: فليفعل. قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له قد قضىٰ الرجل. قال: فليرابط ولا يقاتل. قال: مثل قزوين وعسقلان والديلم وما أشبه هذه الثغور؟ فقال: نعم. قال: فإن جاء العدو إلىٰ الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال: يقاتل عن بيضة الاسلام. قال:

---

(١) الوسائل ١١: ١١، الباب ١ من ابواب جهاد العدو، ح ٢٤.

(٢) الوسائل ١١ : ٣٤، الباب ١٢ من ابواب جهاد العدو، ح٨.

يجاهد؟ قال: لا إلّا أن يخاف علىٰ دار المسلمين. أرأيتك لو أن الروم دخلوا علىٰ المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟ قال: يرابط ولا يقاتل، وإن خاف علىٰ بيضة الاسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان، لأن في دروس الاسلام دروس ذكر محمد صلى الله عليه وآله»[١].

وقد نستثني بعض الحروب والغزوات التي وقعت أيام الخلفاء الثلاث الأوائل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي يستشعر فيها تأييد أو رضا الامام علي عليه السلام عليها أو أنها شارك فيها الامام الحسن عليه السلام، وهي تُحمل علىٰ حروب الدفاع الوقائية أو الابتدائية وعلىٰ اساس مبدأ اسقاط حكم الطاغوت وتحرير الناس من استعبادهم وطغيانهم، ليتمتعوا بحرية الاسلام وينفتحوا علىٰ حقائقه وانوار هدايته. وهكذا فهي لا تخرج عن حدود الحقوق العقلائية والعقلية كحق رفع الموانع التي تحول بين الناس وبين إدراكهم لحقيقة الدعوة الاسلامية ومبانيها الحقة.

ثالثاً: أن الاصل في الدعوة الاسلامية هي انتهاج سبيل الحكمة والموعظة الحسنة بدلالة قوله تعالىٰ: ﴿ادعُ إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربّك هو أعلم بمن ضَلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[٢]. بل لا يجوز في الشريعة الاسلامية البدء بالقتال إلّا بعد عرض الاسلام علىٰ العدو، وإن كان غازياً، فان قَبِلَ به باعلان الشهادتين حقنت دماءهم واموالهم واعراضهم، وهو في واقعه طلب التسليم لسلطة الاسلام العادلة في مقابل سلطة الطاغوت، ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله واهل بيته الطاهرين عليهم السلام هم أبرز مصداق لهذا النهج في نشر الدعوة الاسلامية.

وقد بلغوا الكمال في الحجة والبيان رغم كل ما تعرضوا له من اضطهاد

(١) الوسائل ١١ : ١٩، الباب ٦ من ابواب جهاد العدو، ح ٢.
(٢) النحل : ١٢٥.

وتشريد ولم تكن معارك وغزوات رسول الله ﷺ رغم كونها دفاعية أو وقائية أو ابتدائية إلّا بعد أن أتمّ الحجة واسقط العذر في البلاغ. وعلىٰ هـذا النهـج كـانت رسائل الرسول ﷺ إلىٰ ملوك ورؤساء الامم الأُخـرىٰ والتي دعـاهم فـيها إلىٰ الاسلام، وعند استقرائنا لما وصلنا منها[١] نلحظ فيها حقيقة ما قلناه، منها:

١ ـ رسالته ﷺ الىٰ قيصر ملك الروم:

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد بن عبدالله الى هرقل عـظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان تولّيت فانّما عليك اثم (الاريسين) ، ويا اهل الكتاب تعالوا إلىٰ كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بـعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولّوا فقولوا : اشهدوا بأنّا مسلمون ـ محمّد رسول الله »[٢].

٢ ـ رسالته ﷺ الى كسرى ملك فارس:

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله إلىٰ كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتّبع الهدىٰ وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك اثم المجوس »[٣].

٣ ـ رسالته ﷺ الى ملك مصر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد بن عبدالله إلى المقوقس عظيم القبط ،

---

(١) راجع : مكاتيب الرسول ١ : ٩٠ ـ ١٣٦.
(٢) مكاتيب الرسول ١ : ١٠٥ .
(٣) مكاتيب الرسول ١ : ٩٠.

سلام على من اتّبع الهدىٰ ، أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين فان توليت فانّما عليك اثم القبط . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا : اشهدوا بأنّا مسلمون »[١].

٤ ـ رسالته ﷺ الى النجاشي ملك الحبشة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة ، سلام على من اتّبع الهدىٰ ، أما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا إله إلّا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيّبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عزّوجلّ وقد بلّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتّبع الهدى »[٢].

٥ ـ رسالته ﷺ الى ملك اليمامة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله الى هوذة بن علي ، سلام على من اتّبع الهدىٰ ، واعلم ان ديني سيظهر إلىٰ منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك »[٣] .

٦ ـ رسالته ﷺ إلىٰ ملك غسان :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله إلىٰ الحارث بن ابي شمر سلام على من اتّبع الهدىٰ وآمن به وصدق واني ادعوك ان تؤمن بالله وحده لا

---

(١) مكاتيب الرسول ١ : ٩٧.

(٢) مكاتيب الرسول ١ : ١٢٠ .

(٣) مكاتيب الرسول ١ : ١٣٦ .

شريك له يبقى ملكك »[١].

رابعاً: أن الحكم الشرعي الاسلامي بتخيير أهل الكتاب بين قبول الاسلام أو دفع الجزية كضريبة مقابل تمتعهم بحماية الدولة الاسلامية لهم، تعبير آخر علىٰ عدم اعتماد الاسلام مبدأ استخدام القوة في تحميل العقيدة الاسلامية؛ إذ لو كان الهدف من استخدام القوة تحميل الاسلام عليهم لما كان هناك خيار يتضمن بقاءهم علىٰ دينهم.

خامساً: هناك فرق في سعة وقوة التأثير وتنوع اساليب نشر الدعوة الاسلامية بين حالتي قوة المسلمين وسلطتهم وبين ضعفهم وعدم سلطتهم. وامتلاكهم للقوة والسلطة لا يعني ابداً استخداماً للقوة في نشر الدعوة وتبليغها خارج دائرة الاصول العقلائية التي أشرنا لها. إذ إن الحرية الانسانية والعدالة الالهية تتحقق بأفضل صورها في ظرف سلطة الاسلام واقتداره، حيث يصبح الناس وجهاً لوجه امام حقائق الاسلام وفرقانه المطلق بلا ارهاب ولا موانع ولا أوهام، فتنفتح عقولهم وتشرق نفوسهم بنور الاسلام وهديه، وهو مالا يتحقق في ظرف اقتدار الطواغيت وانبساط سلطانهم وانحسار سلطة الاسلام أو غيابها؛ لاتكائهم علىٰ القوة والقهر في سياسة الناس واستعبادهم واخراجهم من النور إلىٰ الظلمات كما هي طبيعتهم وقوامهم، وكما هي سيرتهم عبر التاريخ طراً. وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ هذه الحقيقة بقوله عزّوجلّ: ﴿الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات﴾[٢]. وهذا هو الملاك الذي يكمن في حكمة بسط سلطان الاسلام وتمكين عدله في الناس تحقيقاً للطف الالهي في هداية الناس للحق ورشدهم وكمالهم علىٰ صراطه. وهو مضافاً إلىٰ ذلك حق بلحاظ كونه لازماً

---

(١) مكاتيب الرسول ١ : ١٣٤.

(٢) البقرة : ٢٥٧.

عقلياً للدعوة العالمية المشار إليه في الاصل الثاني القاضي بإزالة جميع الموانع والعقبات التي تحول بين الناس ووعي الدعوة وبيانها بكامل الحرية والاختيار، وهذا مالا يتحقق في ظل سلطة الطاغوت وهيمنته.

بعد هذه المناقشة العلمية لا تفوتنا الاشارة إلىٰ اننا ومن خلال تتبع الواقع الفكري والسياسي المعاصر للمواجهة بين الكفر العالمي من جهة والاسلام وامته الراشدة بهدي مدرسة أهل البيت عليهم السلام من جهة اخرىٰ نكشف عن أن اتهام المسلمين بالارهاب والصاق فرية تحميل العقيدة الاسلامية بالقوة لم يكن مجرد شبهة أُطلقت علىٰ الصعيد الفكري والعقائدي كما هي في السابق، وإنما اتخذت في هذه المرحلة الحساسة من مسيرة الاسلام وحركة المسلمين العالمية، كأمة وكدولة، مسار مواجهة ميدانية علىٰ كافة الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلىٰ الفكرية والعقائدية، مما يكشف لنا خبث النوايا الاستكبارية وراء هذه الحملة الاعلامية المسعورة ضد المسلمين، وارهابهم بتهمة الارهاب، وكانهم تعبأوا ليعيدوا للحياة مرة اخرىٰ تاريخهم الملطّخ بدماء المسلمين ولكن بلباس ما يسمونه اليوم بالنظام الدولي الجديد، بهدف استئصال عوامل الحياة والقوة في أية منظومة تقوم اسسها علىٰ الاسلام رسالة ونظاماً للحياة.

الخاتمة

مدرسة أهل البيت عليهم السلام
رائدة الوحدة الاسلامية

مدرسة أهل البيت عليهم السلام رائدة الوحدة الاسلامية

ليس جزافاً أن نقول: إن مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي المدرسة الرائدة والمرشحة الاولىٰ لاداء الدور القيادي في هذا السبيل؛ لما تتميز به اطروحاتها العلمية والاجتماعية والسياسية من قدرة محكمة، وسيرة تاريخية متواصلة لتحقيق هذا الهدف المقدس.

ففي اطروحاتها العلمية مثلاً تتميز باعتمادها منهج الدليل والبرهان في مختلف جوانب المعرفة، والالزام بالحجة البالغة والبيان التام، كما هو القرآن الكريم في آياته البيّنات، وكما هو الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في السنّة الشريفة. ولا غرابة في ذلك؛ فمدرسة أهل البيت عليهم السلام تأسست علىٰ يد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، علىٰ أساس اعلانه الخالد بتلازم الثقلين المباركين كتاب الله وعترته الطاهرة، ووصيته لأمته بهما في قوله صلى الله عليه وآله: «**إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[1].

والذي يقلّب صفحات التاريخ الرائد لأئمة أهل البيت عليهم السلام، يجدهم مُثلاً عُليا في السير علىٰ هذا النهج القرآني، والسيرة النبوية الشريفة، حتىٰ أذعن لحججهم وبياناتهم أئمة المذاهب الاسلامية الأُخرىٰ، ونهلوا ما تيسر لهم من منهلهم القرآني الحق. ولعل أبرز تلك الحقب المجيدة ما كان علىٰ يد الامامين الصادقين الباقر والصادق عليهما السلام، حتىٰ غدا أكثر من أربعة آلاف عالم ومحدث معاصر للامام الصادق عليه السلام يقول: حدثني جعفر بن محمد الصادق، لذا نجد أن الكثير من رواة

---

(١) صحيح الترمذي ٥: ٦٦٢.

الحديث هؤلاء معتمدون عند الفريقين، ويوثقهم أهل المذاهب الإسلامية الأخرى، ويروون عنهم المئات من الاحاديث، من امثال أبان بن تغلب الربعي، وأبي حمزة ثابت بن ابي صفية الثمالي، وهما من تلامذة الأئمة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، وأبي أرطاة الكوفي القاضي، وحرب بن شريح (شريح) بن المنذر المنقري، والحكم بن عتيبة الكندي، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وسليمان بن مهران الاسدي الكاهلي، وشيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي، وعبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب القريشي الهاشمي العلوي، وعبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري، وعبد الله بن عطاء الطايفي المكي، وعبيد الله بن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي، وعبد الرحمن بن طلحة الخزاعي، وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج، وعبد الملك بن جريج، وعطاء بن ابي رباح، وعلقمة بن مرثد الحضرمي (أبي حارث الكوفي)، وعمرو بن دينار المكي، وأبي اسحق السبيعي، والقاسم بن الفضل الازدي (أبي مغيرة البصري)، وقرة بن خالد الدوسي، (أبي محمد البصري)، وابي كثير النواء، وليث بن ابي سليم القريشي (أبي بكر الكوفي)، ومحمد بن سوقة، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومخوّل بن راشد النهدي، ومعمر بن يحيىٰ بن سام، وموسىٰ بن سالم مولى آل العباس بن عبد المطلب (أبي يهضم)، ويحيىٰ بن ابي كثير الطائي، ويحيىٰ الكندي الكوفي، وكلهم من تلامذة الإمام الباقر عليه السلام، وعبد الرحمن بن عمرو بن ابي عمرو (أبي عمر الاوزاعي)، وهو من تلامذة الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، وحفص بن غياث من اصحاب الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام، وعشرات غيرهم[1].

---

(١) راجع تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزّي، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي، وطبقات ابن سعد، وميزان الاعتدال للذهبي، والجرح والتعديل للرازي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، والمعرفة والتاريخ للنسوي، وحلية الاولياء لأبي نعيم الاصفهاني، والتاريخ الكبير للبخاري، والضعفاء للعقيلي.

إن ما نجده اليوم من مساحة التوافق الواسعة في الطرح الاصولي والفقهي بين المذاهب الاسلامية المختلفة في محورية مذهب أهل البيت عليهم السلام، هو من بركات هذا النهج وعطاءات هؤلاء الأئمة المعصومين عليهم السلام.

واصلت هذه المدرسة الاسلامية الكبرىٰ نهجها هذا، وتراكمت فيها معطيات أجيال متوالية من العلماء والفقهاء والمحدثين، حتىٰ أصبحت اغنىٰ مدرسة في تراثها وعطائها العلمي الاصيل.

ولم يقتصر نهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام علىٰ الجانب العلمي، رغم أنه الأهم لكونه الاساس في بناء وحدة اسلامية اصيلة وراسخة، بل إنه تكامل ليشمل عموم هيكل بناء الامة الواحدة، وتوحيدها اخلاقياً واجتماعياً وسياسياً. وبمراجعة واعية وموضوعية لسيرة أهل البيت عليهم السلام نجد نهجاً واحداً وخطاً جلياً، يحكي هذه الحقيقة ويهدف إلىٰ ذلك الهدف المقدس، منها ما في سيرة امير المؤمنين علي عليه السلام في زمن الخلفاء الثلاثة الأولين، فحينما وجد أن اصل الاسلام ووحدة الأمة الاسلامية مهددة بالخطر، أعلن موقفه الرسالي من الخليفة الأول: حفظاً لوحدة المسلمين وتقوية لشوكتهم، رغم وضوح حقه في الخلافة، وبيعة المسلمين له في حضور رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر حجة الوداع عند غدير خم، وقد قال في ذلك: «فأمسكت يدي حتىٰ رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلىٰ محق دين الله وملّة محمد...»[1].

وقال أيضاً: «فرأيت أن الصبر علىٰ ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين....».

ولم يثنه عن موقفه هذا ارجاف المرجفين، كأبي سفيان حين قدم المدينة

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٦٢.

وجـاء لعـلي عليه السلام فـقال: «والله إني لأرىٰ عـجاجة لا يـطفئها إلّا دم... أيـن المستضعفان؟ أين الأذلّان عليّ والعباس؟»، وقال: «ابسط يدك حتىٰ أبـايعك» فزجره عليّ وقال: «إنك والله ما أردت إلّا الفتنة وإنّك والله طالما بغيت الاسلام شرّاً لا حاجة لنا في نصيحتك»[1].

وحينما اراد الخليفة الأول غزو الروم استشار جماعة فقدّموا وأخروا، ولم يقطعوا برأي، فاستشار علياً في الأمر، فقال: «إن فعلت ظفرت، فـقال: بـشّرت بخير»[2].

وشاوره الخليفة الثاني في الخروج إلىٰ غزو الروم فنصحه الامام عليه السلام بعدم الخروج بنفسه، وأن يرسل رجلاً شجاعاً وخبيراً بفنون القتال، ويبعث معه أهل الخبرة والنصيحة، وأن يبقىٰ هو في المدينة، وقال له: «فابعث إليهم رجـلاً مجـرباً واحفز معه اهل البلاء والنصيحة، فإن أظـهره الله فـذاك مـا تحب، وإن تكـن الأخرىٰ كنت ردئاً للناس، ومثابة للمسلمين»[3].

وعن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب: قال: «جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي عليه السلام: من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترك أرض الشرك، ففعله عمر»[4]. وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

وفي الجانب الاقتصادي شاور الخليفة الثاني الصحابة بعد انتصار المسلمين علىٰ الفرس في سواد الكوفة، فقال بعضهم: «تقسمها بيننا» ثم شاور علياً عليه السلام في الامر، فقال عليه السلام: «إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرّها في

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٣٣.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤.
(٤) تاريخ الطبري ٢: ٢٥٣.

أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا»، فقال عمر: «وفقك الله. هذا الرأي»[١].

وفي شؤون الدولة وعمالها استشار الخليفة الثاني علياًﷺ فيما بلغه من أحد عمّاله، باع ما يحرم بيعه وجعل الثمن في بيت المال، فقال عليﷺ: «إما أن تعزله، وإما أن تكتب إليه ألّا يعود»[٢].

ونهج اتباع عليﷺ وشيعته نهج إمامهم، فلم ينكصوا عن تسنّم مناصب إدارية كبرىٰ في ظل حكومة الخليفة الثاني، فقبل سلمان الفارسي ولاية المدائن، وقبل عمار بن ياسر ولاية الكوفة، وقبل غيرهم من شيعة عليﷺ وأتباعه مناصب حسّاسة اخرىٰ، كما أخلص إمامهم عليﷺ في مشورته ونصحه، وذبه عن الاسلام ووحدة المسلمين طيلة فترة الخلفاء الثلاثة الأولين، وفي عهد خلافته حتىٰ سقط شهيداً في محرابه.

وعندما انتهىٰ اجتماع اهل الشورىٰ الستة بقرار ترشيح عثمان للخلافة بعد وفاة الخليفة الثاني، قال أمير المؤمنينﷺ لهم: «لقد علمتم أني أحق بها من غيري، ووالله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ... التماساً لأجر ذلك وفضله»[٣]. وكان أمير المؤمنينﷺ لا يتوانى في إعانة الخليفة الثالث، ويشير عليه برأي عندما يطلب منه ذلك ولاسيما في القضاء.

وبذل امير المؤمنينﷺ غاية الجهد لمنع وقوع الفتنة في أواخر خلافة عثمان حفظاً لوحدة المسلمين، فحذّر الخليفة من بعض الولاة الذين كانوا وراء إثارة الفتنة بين المسلمين، كما حذره من مروان الذي كان محور المؤامرات التي تحاك لإشعال الفتنة، فقال له: «والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وايم الله إني

---

(١) علي والخلفاء: ٢٣٩.

(٢) انساب الاشراف ٢: ٧٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦: ١٦٦.

لأراه سيوردك ثم لايصدرك»، إلّا أن استمرار مروان بدوره التآمري افشل كل محاولات احتواء الفتنة، وعندما طالبت المعارضة عثمان بتسليم مروان أبىٰ فحدث الحصار[1] وانتهىٰ بقتل عثمان.

واستمر نهج امير المؤمنين عليه السلام ايام خلافته في حفظ وحدة المسلمين، وتقوية شوكتهم، ومحاصرة الفتن التي مزّقت صفوفهم، وما حروبه الشهيرة الثلاث (للناكثين والمارقين والقاسطين) إلّا من أجل القضاء علىٰ رؤوس الفتنة والمؤامرة علىٰ وحدة الامة ووحدة كيانها السياسي الشرعي.

وعندما تحولت الخلافة الاسلامية إلىٰ ملكية وراثية علىٰ عهد معاوية واصبحت حكراً علىٰ بني أمية، بلا ميزان حق ولا عدل، اجتهد أهل البيت عليهم السلام في كشف هذا الانحراف الخطير للأمة؛ حفظاً لهويتها الاسلامية، ولوحدتها وهي خير امة أخرجت للناس. وذلك بتعرية هذه الخلافة الباطلة، وبيان مدىٰ بعدها وانحرافها عن الاسلام، فكان هذا الهدف من ابرز اهداف صلح الامام الحسن عليه السلام علىٰ الصعيد السياسي، وكانت نهضة الامام الحسين عليه السلام وشهادته مع أهل بيته وصحابته بتلك الصورة المأساوية، وسبي نساء واطفال العترة الطاهرة، متمماً حاسماً في تحقيق ذلك الهدف علىٰ الصعيد الارادي والعاطفي.

وبعد أن استقرت نتائج هذه المرحلة في دور أهل البيت عليهم السلام في حماية الأمة من الانحراف، وحفظ وحدتها علىٰ اصول الاسلام الحق، بدأت مرحلة جديدة بدأها الإمام السجاد عليه السلام، واتصلت حلقاتها في حياة الأئمة من بعده، ولاسيما في عهد الصادقين عليهما السلام. وكان من أبرز ما تصدىٰ إليه أهل البيت عليهم السلام في هذه المرحلة، هو إحباط محاولات الخلافة المنحرفة في الزمنين الاموي والعباسي، من تحكيم

---

(١) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٣٥هـ، الكامل في التاريخ، البداية والنهاية.

سلطانهم علىٰ اساس جهل المسلمين بدينهم، وترسيخ حالة التفرق والتشرذم في اطار فرق ومذاهب شتىٰ. من ذلك ما روي عن أبي حنيفة أنه قال: «ما رأيت افقه من جعفر بن محمد [الصادق عليه السلام]. لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد، فهيّئ له من المسائل الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إلي ابو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه، وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه، وأوما إلي فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله، هذا ابو حنيفة. قال جعفر: نعم. ثم أتبعها: قد أتانا. كأنه كره ما يقول فيه قوم أنه إذا رأىٰ الرجل عرفه، ثم التفت المنصور إليّ فقال: يا أبا حنيفة، ألق علىٰ أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتىٰ أتيت علىٰ الأربعين مسألة. ثم قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أن اعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[1].

وعلىٰ الصعيد الأخلاقي والاجتماعي رسّخ أهل البيت عليهم السلام مبادئ ومفاهيم، كانت عاملاً اساسياً في اظهار وحدة الأمة شامخة تتصاغر أمامها كل محاولات سلاطين الجور، من النيل منها، والتلاعب بمقدراتها.

من تلك المبادئ والمفاهيم ما عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لشيعته ومريديه: «خالقوا الناس بأخلاقهم، صلّوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذنين فافعلوا، فإنكم إذا فعلتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية، رحم الله جعفراً ما كان أحسن ما يؤدّب

---

(١) مناقب ابي حنيفة للموثق ١: ١٧٣، جامع اسانيد ابي حنيفة ١: ٢٢٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ١٥٧.

اصحابه، وإذا تركتم ذلك، قالوا: هؤلاء الجعفرية فعل الله بجعفر، ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه»[١].

وعنه عليه السلام أنه قال لشيعته مؤكداً ضرورة وحدتهم مع سائر المسلمين: «من صلىٰ معهم في الصف الأول كان كمن صلىٰ خلف رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

ومنها ما عن عبد الله بن سنان قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوصيكم بتقوىٰ الله، ولا تحملوا الناس علىٰ اكتافكم فتذلّوا. إن الله تبارك وتعالىٰ يقول في كتابه: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾، عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، واشهدوا لهم وعليهم، وصلّوا معهم في مساجدهم...»[٣].

ولم يجد طغاة بني العباس سبيلاً إلّا محاصرة اهل البيت عليهم السلام، ومحاولة عزلهم عن الأمة؛ ليخلو لهم الميدان وما يريدون، فسجنوا الإمام الكاظم عليه السلام، ودسوا له السم في السجن، واستقدموا الأئمة عليهم السلام من بعده وأخضعوهم لرقابتهم المباشرة.

وقد واصل اتباع اهل البيت عليهم السلام السير علىٰ نهجهم عليهم السلام، من العمل لترسيخ وحدة المسلمين عقائدياً واخلاقياً وسياسياً.

ولولا كيد أعداء الاسلام واعداء اهل البيت عليهم السلام، لوجدنا أن مساحة التوافق تصل إلىٰ حد التطابق الشمولي، ولزالت كل هذه الفوارق والخلافات التي سعىٰ سلاطين الجور ووعّاظهم إلىٰ تأسيسها، وتعميقها علىٰ اسس من الجهل المركب والدعوات الباطلة، فأضرت كثيراً في بناء الأمة الواحدة، ووحدة الكلمة علىٰ هدي القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وأصبحت الشقة الوهمية بين المذاهب الاسلامية تتسع وتتبلور، مكوّنة رؤىً متعصبة يتبادل اصحابها التهم دون وعي

---

(١) الفقيه ١: ٣٨٣، ح٣٨.
(٢) الكافي ٣: ٣٨٠، ح٦.
(٣) البحار ٧١: ١٥٩، ح١٤.

وإدراك.

وهنا نقف لنوجه دعوتنا إلىٰ كل المخلصين، من علماء ومجاهدين علىٰ اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الاسلامية، للعودة إلىٰ أوليات الاسلام، وسيرة الرسول الاعظمﷺ واهل بيته الطاهرين، وسلوك منهج العقل والدليل في تحديد معالم الاسلام المحمدي الاصيل، وتوحيد متبنياته ومقولاته، العقائدية والتشريعية وخلق أجواء الاخوة والحوار والتفاهم البنّاء بين أبناء الأمة الاسلامية، علىٰ اختلاف مذاهبهم وفرقهم.

وبالاصرار علىٰ هذا النهج سنجد أن الفوارق والاختلافات المخلّة بوحدة الأصالة الاسلامية، ستتهاوىٰ وتتلاشىٰ أمام روح الأخوة والانفتاح الرحب، وأمام الدليل القاطع والبرهان الساطع وفق منطق القرآن الكريم والسنّة الصحيحة ونهج مدرسة أهل البيت. وبذلك تستحكم الاسس المبدأية لهوية الأمة الاسلامية الواحدة عقائدياً وتشريعياً، ويكون الدين كلّه لله، والحمد لله رب العالمين.

الفهرست الاجمالي

فهرس الآيات الكريمة

الحج

المؤمنون

النور

الفرقان

المجـادلة

الحـشر

الصف

الجمعـة

المنافقون

التغـابن

القلـم

القيامة

الطارق

العـصر

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس مصادر الكتاب

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ اثبات الهداة ـ الحر العاملي.

٣ ـ احقاق الحق ـ التستري.

٤ ـ احياء الميت ـ السيوطي.

٥ ـ إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ـ الطبرسي.

٦ ـ الاتحاف بحب الأشراف ـ الشبراوي الشافعي.

٧ ـ الاحتجاج ـ الطبرسي.

٨ ـ الأخبار الطوال ـ الدينوري.

٩ ـ الآداب السلطانية ـ الفخري.

١٠ ـ الارشاد ـ المفيد.

١١ ـ الاستيعاب ـ ابن عبد البر.

١٢ ـ الاصابة ـ ابن حجر العسقلاني.

١٣ ـ الاقبال ـ ابن طاووس.

١٤ ـ الأمالي ـ الشيخ المفيد.

١٥ ـ الامام الصادق عليه السلام ـ عبد الحميد الجندي.

١٦ ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة ـ أسد حيدر.

١٧ ـ الامام علي عليه السلام ـ عبد الفتاح عبد المقصود.

١٨ ـ الامامة والسياسة ـ ابن قتيبة.

١٩ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير الدمشقي.
٢٠ ـ التاريخ الكبير ـ البخاري.
٢١ ـ الترغيب ـ المنذري.
٢٢ ـ التوحيد ـ الصدوق.
٢٣ ـ التهذيب ـ الشيخ الطوسي.
٢٤ ـ الجرح والتعديل ـ الرازي.
٢٥ ـ الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق ـ السيد محمد باقر الحكيم.
٢٦ ـ الحكومة الاسلامية ـ الامام الخميني ﷺ.
٢٧ ـ الدر المنثور ـ السيوطي.
٢٨ ـ الرياض النضرة ـ المحب الطبري.
٢٩ ـ السقيفة ـ المظفر.
٣٠ ـ السنن الكبرىٰ ـ النسائي.
٣١ ـ السيرة الحلبية ـ الحلبي الشافعي.
٣٢ ـ السيرة النبوية ـ ابن كثير.
٣٣ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام.
٣٤ ـ السيرة النبوية ـ دحلان.
٣٥ ـ الصراط المستقيم ـ النباطي العاملي.
٣٦ ـ الصواعق المحرقة ـ ابن حجر.
٣٧ ـ الضعفاء ـ العقيلي.
٣٨ ـ الطبقات الكبرىٰ ـ ابن سعد.
٣٩ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الاندلسي.
٤٠ ـ الغارات ـ الثقفي.

٤١ ـ الغدير ـ الأميني.

٤٢ ـ الفتوح ـ أحمد بن أعثم.

٤٣ ـ الفرائد ـ الحمويني.

٤٤ ـ الفصول المهمة ـ ابن الصباغ المالكي.

٤٥ ـ الكافي ـ الكليني.

٤٦ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.

٤٧ ـ الكشف والبيان ـ الثعلبي.

٤٨ ـ الكفاح المسلّح في الاسلام ـ السيد كاظم الحائري.

٤٩ ـ اللهوف ـ السيدا بن طاووس.

٥٠ ـ المحاسن ـ البرقي.

٥١ ـ المراجعات ـ السيد شرف الدين.

٥٢ ـ المعارف ـ ابن قتيبة.

٥٣ ـ المعجم الكبير ـ الطبراني.

٥٤ ـ المعرفة والتاريخ ـ النسوي.

٥٥ ـ المغازي ـ الواقدي.

٥٦ ـ المناقب ـ ابن المغازلي الشافعي.

٥٧ ـ المناقب ـ أحمد بن حنبل.

٥٨ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ السيد الطباطبائي

٥٩ ـ النصائح الكافية ـ محمد بن عقيل.

٦٠ ـ أجوبة مسائل ابن مهنا ـ العلامة الحلي.

٦١ ـ أخذ الثأر ـ ابن نما الحلي.

٦٢ ـ أساس الحكومة الاسلامية ـ السيد كاظم الحائري.

٦٣ـ أسد الغابة ـ ابن الأثير.

٦٤ـ أسرار الشهادة ـ الفاضل الدربندي.

٦٥ـ أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين.

٦٦ـ أمالي الصدوق ـ الصدوق.

٦٧ـ أنساب الأشراف ـ البلاذري.

٦٨ـ بحار الأنوار ـ المجلسي.

٦٩ـ تاريخ ابن كثير ـ ابن كثير.

٧٠ـ تاريخ ابي الفداء.

٧١ـ تاريخ الاسلام ـ الذهبي.

٧٢ـ تاريخ الاسلام ـ د.حسن ابراهيم حسن.

٧٣ـ تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري.

٧٤ـ تاريخ الخلفاء ـ السيوطي.

٧٥ـ تاريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي.

٧٦ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي.

٧٧ـ تاريخ دمشق ـ ابن عساكر.

٧٨ـ تحف العقول ـ الحراني.

٧٩ـ تذكرة الحفاظ ـ الذهبي.

٨٠ـ تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي.

٨١ـ تفسير ابن كثير الدمشقي.

٨٢ـ تفسير البغوي ـ البغوي.

٨٣ـ تفسير الثعالبي.

٨٤ـ تفسير الثعلبي.

٨٥ـ تفسير السيوطي.
٨٦ ـ تفسير الطبري.
٨٧ـ تفسير العياشي.
٨٨ ـ تفسير الكشاف ـ الزمخشري.
٨٩ـ تنبيه الخواطر ـ ورام بن ابي فراس.
٩٠ ـ تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني.
٩١ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ المزّي.
٩٢ ـ جامع الأصول ـ ابن الأثير.
٩٣ ـ جامع أسانيد أبي حنيفة.
٩٤ ـ جلاء العيون ـ المجلسي (بالفارسية).
٩٥ ـ جلاء العيون ـ عبد الله شبّر.
٩٦ ـ جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم.
٩٧ ـ حلية الأولياء ـ أبو نعيم.
٩٨ ـ حياة الامام الحسن عليه السلام ـ القرشي.
٩٩ ـ حياة أمير المؤمنين عليه السلام ـ السيد الصدر.
١٠٠ ـ حياة محمد صلى الله عليه وآله ـ هيكل.
١٠١ ـ خصائص النسائي ـ النسائي.
١٠٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ حسن الأمين.
١٠٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ فريد وجدي.
١٠٤ ـ دلائل الصدق ـ محمد حسن المظفر.
١٠٥ ـ ذخائر العقبىٰ ـ الطبري.
١٠٦ ـ رياض المصائب ـ الموسوي التنكابني.

١٠٧ ـ زوائد مسند البزار ـ ابن حجر.

١٠٨ ـ سفينة البحار ـ القمي.

١٠٩ ـ سنن ابن ماجة ـ ابن ماجة.

١١٠ ـ سنن البيهقي ـ البيهقي.

١١١ ـ سنن الترمذي ـ الترمذي.

١١٢ ـ سنن الدارمي ـ الدارمي.

١١٣ ـ سير أعلام النبلاء ـ الذهبي.

١١٤ ـ سيرة الأئمة الاثني عشر ـ هاشم معروف الحسني.

١١٥ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ محسن الأمين.

١١٦ ـ سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ ـ مؤسسة البلاغ.

١١٧ ـ شرح الأخبار ـ القاضي لقمان.

١١٨ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد.

١١٩ ـ شرف النبوة ـ أبو سعيد.

١٢٠ ـ شواهد التنزيل ـ الحاكم الحسكاني.

١٢١ ـ صحيح البخاري ـ البخاري.

١٢٢ ـ صحيح الترمذي ـ الترمذي.

١٢٣ ـ صحيح مسلم ـ مسلم.

١٢٤ ـ صلح الحسن عليه السلام ـ الشيخ راضي آل ياسين.

١٢٥ ـ عبقات الأنوار ـ مير حامد حسين.

١٢٦ ـ علل الشرائع ـ الصدوق.

١٢٧ ـ علي عليه السلام والخلفاء ـ نجم الدين العسكري.

١٢٨ ـ علي وبنوه ـ طه حسين.

١٢٩ ـ عمدة الطالب ـ ابن المهنا.

١٣٠ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ الصدوق.

١٣١ ـ غاية المرام ـ الألباني.

١٣٢ ـ غرر الحكم ـ الآمدي.

١٣٣ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ـ العسقلاني الشافعي.

١٣٤ ـ فضائل الخمسة ـ الفيروزآبادي.

١٣٥ ـ قضاء أمير المؤمنين عليه السلام ـ التستري.

١٣٦ ـ كفاية الأثر ـ الحافظ الكنجي.

١٣٧ ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي.

١٣٨ ـ كنز الفوائد ـ الكراجكي الطرابلسي.

١٣٩ ـ لسان العرب ـ ابن منظور.

١٤٠ ـ مثير الأحزان ـ ابن نما الحلي.

١٤١ ـ مجلة رسالة الثقلين ـ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

١٤٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن.

١٤٣ ـ مجمع الزوائد ـ الهيثمي.

١٤٤ ـ مستدرك الصحيحين ـ الحاكم.

١٤٥ ـ مستدرك الوسائل ـ النوري.

١٤٦ ـ مسند أحمد ـ أحمد بن حنبل.

١٤٧ ـ مشكاة الأنوار ـ الطبري.

١٤٨ ـ مصباح الشريعة ـ عبد النبي النمازي.

١٤٩ ـ مصباح المتهجد ـ الشيخ الطوسي.

١٥٠ ـ معجم رجال الحديث ـ السيد الخوئي.

١٥١ ـ مقاتل الطالبيين ـ الاصفهاني.

١٥٢ ـ مقتل الحسين عليه السلام ـ الخوارزمي.

١٥٣ ـ مقتل العوالم ـ البحراني الأصفهاني.

١٥٤ ـ مقتل محمد بن ابي طالب.

١٥٥ ـ مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله ـ الأحمدي.

١٥٦ ـ مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهرآشوب.

١٥٧ ـ مناقب الشافعي ـ الحاكم.

١٥٨ ـ مناقب أبي حنيفة ـ الموثق.

١٥٩ ـ من لا يحضره الفقيه ـ الصدوق.

١٦٠ ـ منهاج السنة ـ ابن تيمية.

١٦١ ـ ميزان الاعتدال ـ الذهبي.

١٦٢ ـ ميزان الحكمة ـ ري شهري.

١٦٣ ـ نفس المهموم ـ القمي.

١٦٤ ـ نور الأبصار ـ الشبلنجي.

١٦٥ ـ نور الثقلين ـ الماحوزي.

١٦٦ ـ نهج البلاغة ـ تنظيم صبحي الصالح.

١٦٧ ـ نهج السعادة ـ المحمودي.

١٦٨ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي.

١٦٩ ـ ولاية الأمر ـ السيد كاظم الحائري.

١٧٠ ـ ينابيع المودة ـ القندوزي.

فهرس المحتويات